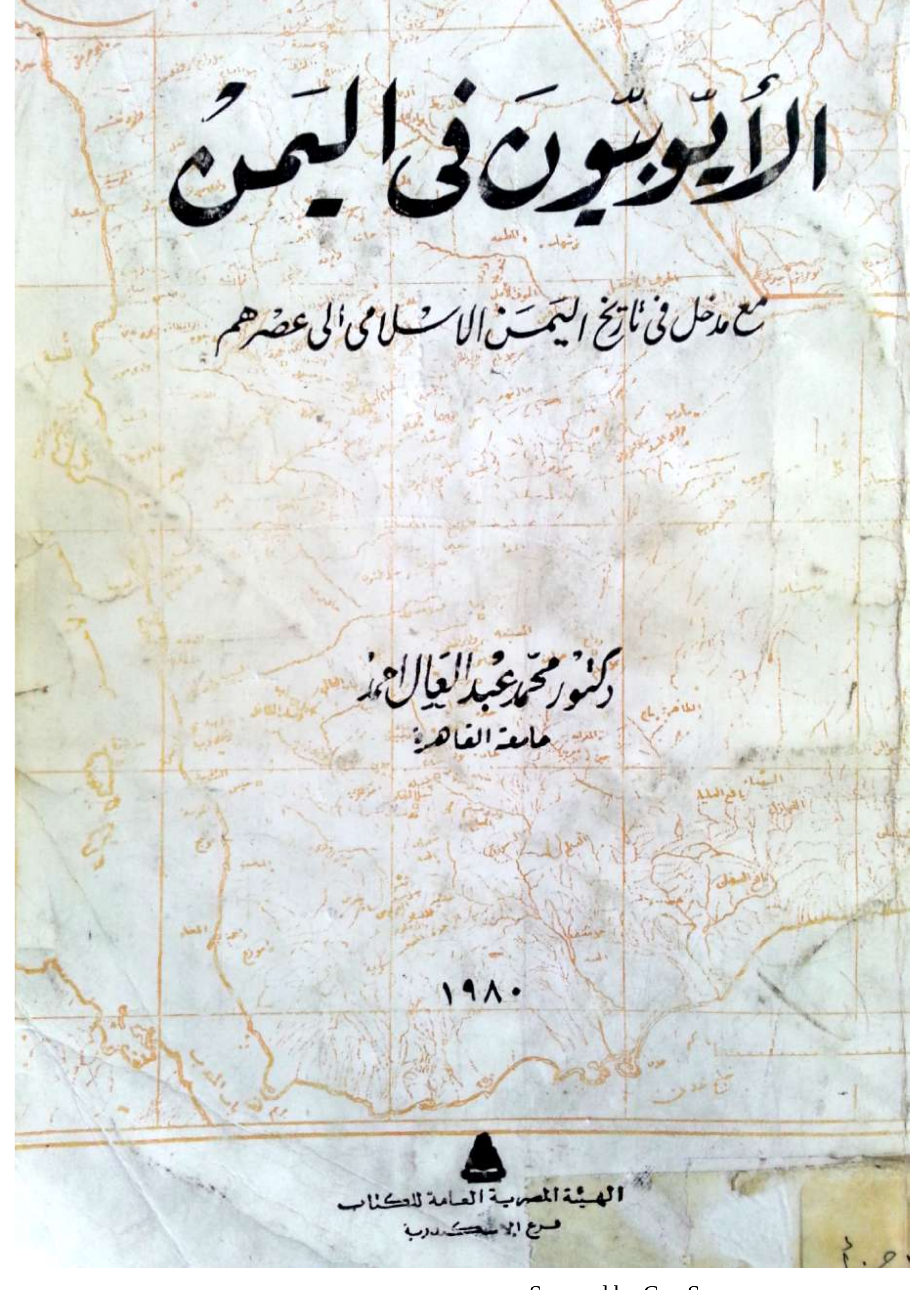

الأيوبيون في اليمن
مع مدخل في تاريخ اليمن الاسلامي الى عصرهم
دكتور محمد عبد العال احمد
جامعة القاهرة
١٩٨٠
الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الاسكندرية

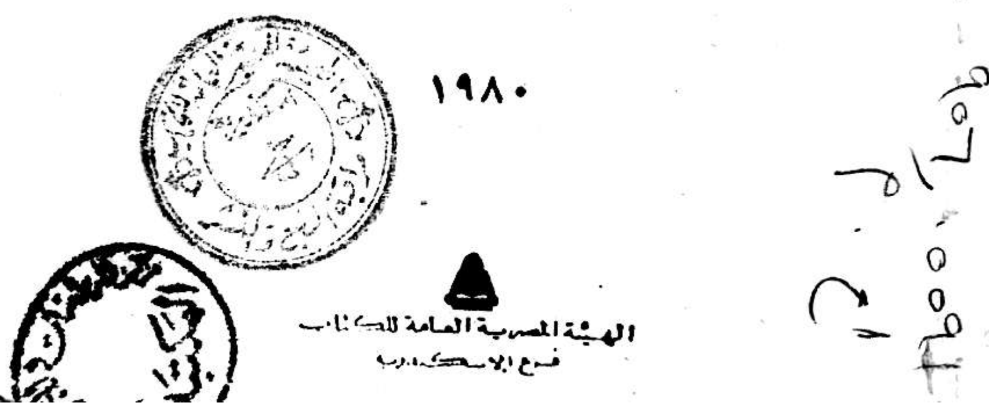


الأيوبيون في اليمن

مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم

دكتور محمد عبد العال أحمد
جامعة القاهرة

١٩٨٠



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

يعتبر تاريخ الأيوبيين فى اليمن من الموضوعات التى لم تلق عناية المؤرخين، فبالإضافة إلى أنه يشكل حلقة هامة من تاريخ اليمن الإسلامى فى العصر الوسيط، فإنه يكشف عن جانب جديد من تاريخ الأيوبيين هناك، ويلقى مزيدا من الضوء على فترة هامة من فترات الكفاح العربى الإسلامى الموحد، من أجل القضاء على الوجود الصليبي فى بلاد الشام .

وإن نظرة شاملة على مسرح الحوادث بالمنطقة العربية قبيل العصر الأيوبى، لتظهر بجلاء مدى التفكك والانهيار اللذين أصابا الأمة العربية وقتذاك، نتيجة للصراع المذهبي التقليدى الذى كان مستعرا بين الخلافتين العباسية والفاطمية . فمع نهاية القرن الخامس وأوائل السادس الهجرى ، انقسم ملك هاتين الدولتين فى بلاد الشام إلي إمارات ودويلات متناحرة تحارب بعضها بعضا ، مما أغرى الصليبيين على استغلال ذلك ، واجتياح المشرق العربى متخذين من الدين ستارا يخفون خلفه مطامعهم وأهدافهم الحقيقية، واستطاعوا الاستيلاء على سواحل الشام ، وأصبحوا يشكلون خطراً كبيرا على العالم الإسلامي بأسره . وهكذا كان التفكك العربى أكبر عون للصليبيين ، ليس فقط فى تثبيت وجودهم ، بل ومساعدتهم فى التوسع على حساب تلك القوى المنهكة .

واستمر الأمر كذلك حتى تمكن عماد الدين زنكى من بعث حركة المقاومة ضد الصليبيين، ووجد أن ذلك لا يتأتى تحقيقه إلا بتوحيد المشرق العربى ، فتحمل عبء الكفاح حتى أثمرت جهوده ، ونجح فى استعادة إمارة الرها من الصليبيين وطردهم منها سنة ١١٤٤ م. وواصل ابنه نور الدين محمود السير على

سياسته التى ترى أن التخلص من الخطر الصليبى ، إنمـا يكون بتوحيد قوى العرب والمسلمين، باعتبار أن الصراع دينى فى أساسه،وأن الصليبيين يستهدفون القضاء على المسلمين ، من أجل ضمان تحقيق كافة الأهداف الأخرى .

ولا شك أن تلك الجهود التى بدأها أتابكة الموصل كانت بمثابة الأساس المتين الذى بنى عليـه صلاح الدين ، فقـد نجحت جهوده فى استكمال تحقيق توحيد الجبهة العربية الإسلامية ، ولم تمض سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م حتى كانت دولته تكوّن جبهـة قوية متماسكة ، تمتـد من برقه غربا إلى الفرات شرقاً ومن الموصل وحلب شمالا إلى بلاد النوبة واليمن جنوبا . وانضم الكثير من أبناء تلك المناطق إلى جيش صلاح الدين الذى تمكن من أن يرد لبيت المقدس عروبته ، وأن يحـــرز على الصليبيين انتصارات عظيمة خلدها له التاريخ بأحرف من نور .

وفى إطار توحيد الجبهة العربية الإسلامية وتكتيل الجهود ضد الصليبيين، كان الفتح الأيوبى لبلاد اليمن ، بقيادة تورانشاه بن أيوب سنة ٥٦٩/١١٧٤م من أجل انضمام تلك البلاد لحركة الجهاد ، والإسهام فى تحقيق تلك الأهداف. هذا إلى جانب تأمين الحـدود الجنوبية لدولة صلاح الدين ، وذلك بإحكام السيطرة على المنفذ الجنوبى للبحر الأحمر والقضاء على أية محاولة صليبية لانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية فى الحجاز، أو الاتصال بالحبشة المسيحية وإغرائها بالانضمام إلى المعسكر الصليبى .

وهكذا كان الفتح الأيوبى لبلاد اليمن من بين تلك الأهداف التى كرس صلاح الدين حياته لها، كما تم توحيد تلك البلاد داخليا فى ظل دولة الأيوبيين ، وتخلص اليمنيون من الانقسامات الداخلية والحروب الأهلية التى سادت بلادهم

فى كثير من الأحيان ، وظلت اليمن تابعــة للأيوبيين إلى أن استقل نوابهم بنو رسول بحكمها ، بعد وفاة الملك المسعود بن الكامل محمـــد الأيوبى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م .

وموضوع هذا الكتاب كان فى أساسه رسالة الماجستير ، قدمت إلى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٨ ، وكانت تحت إشراف الأستاذ الجليل الدكتور سعد زغلول عبد الحميـد أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة الاسكندرية وقتذاك ، وكانت بعنوان ، « دولة بنى أيوب فى اليمن » ، فإليه يرجع الفضل فى الإشراف وحسن التوجيه ، لأنه لم يبخل فى سبيل ذلك بالوقت والجهد والعمل الصادق ، حتى صار الموضوع إلى ماهو عليه ، جزاه الله خيرا ، ومتعه بموفور الصحة والسعادة .

أما عن المصادر ، فهى متنوعة ، لأنه لم يكن فى الإمكان الاكتفاء بالإعتماد على المصادر الأيوبية نقط ، لأن ذلك من شأنه ألا يؤدى إلى إنجاز الدراسة بالشكل المطلوب ، بسبب اقتصار المؤرخين المعاصرين للدولة الأيوبية على ذكر الحوادث المتعلقة بمصر والشام والصراع ضـد الصليبيين ، ولذلك لم تحظ أخبـار الأيوبيين فى اليمن من كتاباتهم إلا بالنزر اليسير ، الذى لا يتعدى ذكر الحملات والإمدادات التى كان يتم إعدادها وإرسالها من مصر إلى اليمن ، دون تتبع أخبارها بعد وصولها إلى هناك ، لبعد تلك البلاد عن مسرح الحوادث فى مصر والشام . وهـكذا كان الاعتماد على تلك الكتابات بالنسبة لأخبار الأيوبيين فى اليمن أمراً غير مجـد ، ويكفى دليلا على ذلك أن نشير إلى أن مؤرخا كابن شداد ، وهو من أهم المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين ـ لم يذكر فى كتابه عن سيرة صلاح الدين سوى إشارات سريعة وغير دقيقة عن أسباب الحملة الأيوبية على اليمن ، لا تتعدى أسطرها عـدد أصابع اليد الواحدة ، ممـا

جعل المـادة التاريخية التى حوتهـا تلك المصادر عن هـذا الموضوع لا تشفى غـلة الدارس ، ولا تساعد بالتالى على تكوين صورة واضحة لمعالم تاريخ الأيوبيين فى اليمن .

وحتى يمكن إخراج هذه الدراسة فى صورة أوضح ، كان من الضرورى الرجوع إلى مصادر تاريخ اليمن ، وهذه لاتزال مخطوطة فى معظمها . ومن ناحية أخرى ، فإن تاريخ تلك البـلاد يكتنفه كثير من الغموض وخاصة فى العصر الوسيط ، ويحتاج البحث فيـه إلى تكتيل الجهود ومضاعفتهـا لابراز معالمه . وإذا كنا نعتبر أن طبيعة البلاد الجبلية قد ساعدت على تقسيم اليمن إلى مناطق متعادة ومنفصلة عن بعضها ، مما جعل من الصعب خضوعها لحكومة مركزية موحدة فى كثيرمن الأحيان ، فإن ذلك يوضح كيف استطاع الصراع المذهبي بين قوى الشيعة ـ اسماعيلية وزيدية ـ وبين أهل السنة، تمزيق الوحدة السياسية للبلاد خـلال كثير من العصور، مما كان له أكبر الأثر على كتابات كثير من المؤرخين اليمنيين طبقا لميولهم المذهبية أو الطائفية ، فبرز التحيز فى كثير من كتاباتهم ، وأهملوا ذكر الدويلات المعادية، أو لجأوا إلى تصويرها تصويرا مجانبا للواقع . ومن ناحيـــة أخرى ، قام البعض بإخفاء المؤلفات التاريخية وتستروا عليهـا ، لاعتبارات سياسية أو مذهبية . وهكذا لم تنتشر تلك المصادر وضاع الكثير منها ، ولم يعد من السهل التعرف على أخبار تلك الدويلات إلا من خلال تلك الشذرات القليـلة المتناثرة ، والتى وردت عرضا فى ثنايا بعض تلك المؤلفات ، وجاءت معظم معلوماتها مضطربة ومتناقضة فى كثير من الأحيان .

وإذا كان ذلك هو الحـال بالنسبة لتاريخ اليمن بصفة عامـة ، فإن الأمر

يصبح أكثر صعوبة بالنسبة لتاريخ الأيوبيين فى تلك البلاد ، ذلك أن مؤرخى الزيدية نظروا إلى الأيوبيين كغزاة ، ولهذا أهملوا ذكرهم ، واهتموا بصفة خاصة بتدوين سير الأئمة ، وجعلوا منها ملاحم لتصوير بطولاتهم وإبراز مكانتهم وكراماتهم بطريقة تختلط فيها الحقيقة التاريخية بالخيال الأسطورى .

وهكذا كان من المحتم تكريس الجهود للبحث عن المصادر الأساسية ، من أجل الحصول على القدر الكافى من المادة التاريخية التى يمكن الاعتماد عليها فى إنجاز دراسة الموضوع . وفى هذا الإطار ، كانت زيارتى الأولى لليمن سنة ١٩٦٤ من أجل الاطلاع على المخطوطات اليمنية فيها ، وتصوير ما يمكن الاستفادة منها . وقد أتاحت تلك الزيارة لى فرصة المشاركة فى مجهودات بعثة وزارة الثقافة والإرشاد المصرية ، التى وصلت إلى صنعاء خلال شهر نوفمبر من نفس العام ، أثناء وجودى فيها ، وكان من بين أعضائها الصديق المرحوم الأستاذ فؤاد سيد خبير المخطوطات بدار الكتب المصرية ، وهو من كبار المهتمين بالتراث اليمنى ، فاستفدت من خبراته ، وشاركته ما قام به من ترتيب وتنظيم وتبويب وفهرسة وتصنيف مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء وغيرها من المكتبات المصادرة ، وإعدادها للاطلاع ، وانتقاء النادر منها وتصويره . وقد تم إعداد قائمة بتلك المصورات ، وقامت دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٧ بإصدار تلك القائمة الخاصة بالمخطوطات المصورة بالميكرو فيلم من الجمهورية العربية اليمنية والمودعة صورها بدار الكتب المصرية .

وهكذا أتاحت لى تلك الزيارة فرصة الإطلاع على مجموعات قيمة من المخطوطات ، أسهمت مع غيرها من مقتنيات دار الكتب المصرية ومعهد

المخطوطات بالجامعة العربيـة ومكتبة البلدية بالاسكندرية ومكتبات جامعتى القاهرة والاسكندرية ، بالإضافة إلى ما تم تصويره من دور الكتب العالمية ، فى استكمال المادة التاريخية اللازمة لهذه الدراسة .

ولا يفوتنى الإشارة ، أنه استكمالا للفائدة ، فقد قمت قبل تقديم الكتـاب للنشر بإعادة النظر فى الرسالة ، وأجريت بعض التغييرات ، وعدلت من بعض الآراء أو وضحت ما خشيت أن يكون غامضا فيها ، كما ألحقت ملحقين فى نهاية الكتاب ، لم يكن أى منهما ملحقا بأصل الرسالة ، يتعلق الملحق الأول بتحقيق نص عن الفتح الأيوبى لليمن من مخطوطة « السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن » للمؤرخ اليمنى بدر الدين محمد بن حاتم . ويعتبر هذا النص من أقدم النصوص المتعلقة بتاريخ الأيوبيين فى اليمن ، كنت قد قمت بإعداده اعتمادا على مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٤١١ تاريخ ، وسعيت فى نفس الوقت للحصول على نسخة المتحف البريطانى رقم ٢٧٥٤١ إضافات . فلما استكملت التحقيق على أساسهما ، وجدت أنه من المناسب نشر النص ملحقا بهذا الكتاب لصلته بموضوعه .

أما الملحق الثانى ، فهو دراسة عن المراحل التنفيذية لمشروع تجميع التراث اليمنى ، وهو تقرير قمت بإعداده بعـد دراسة ميدانية بتكليف من المسئولين باليمن الجنوبية ، لوضع أسس تجميع التراث اليمنى . وإن تمخضت هذه الدراسة عن إنشاء مركز الدراسات اليمنية هناك ، وقيامه بتنفيذ تجميع أصول أو مصورات هذا التراث ، المخطوط منه والمنشور ، فإنه إنما يشجع على تنمية الدراسات المختلفة المتعلقة باليمن والجزيرة العربية ، ولذلك كان من المناسب نشر التقرير المشار إليه ملحقا بهذا الكتاب .

وأخيرا ، أرجو أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد المتواضع فى دراسة وإبراز جانب من تاريخ بلاد اليمن خلال تلك الفترة، كما أرجو أن أكون قد وفقت في استكمال دراسة جانب آخر من تاريخ الأيوبيين فيها ، وأن أتمكن ويتمكن معى غيرى من الباحثين من مواصلة البحث الجاد في تاريخ المناطق العربية التى لم تحظ بنصيبها الكامل من الدراسة والبحث .

وبالله التوفيق

الاسكندرية فى ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٠ .
١٤ أبريـــل ١٩٨٠ .

دكتور محمد عبد العال أحمد
معهد البحوث والدراسات الافريقية

الفصل الأول

حالة اليمن قبل الفتح الأيوبي

جغرافية البـــلاد :

للتعرف على بلاد اليمن قبل الفتح الأيوبي يحسن أن نعرض لجغرافية بلاد العرب التي تكون اليمن طرفها الجنوبي .

وتختلف المصادر العربية في تحديد بلاد العرب ، فمنها مايقتصر على تحديدها بالمنطقة التي يحيط بها البحر من « بحـر فارس » شرقا إلى « بحـر القلزم » غربا (١) . ومنها ما يتجاوز ذلك شمالا ، بحيث يمثل التحديدالسابق ثلاثة أرباع بلاد العرب (٢) .

وتختلف المصادر أيضا بالنسبة لتقسيمها ، فقد قسمها المقدسي إلى « أربع كور جليلة وأربع نواحي نفيسة . والكور ، أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . النواحي ، الأحقاف والأشحار واليمامة وقرح » (٣) . أما الهمداني فقد جعلها خمسة أقسام (٤)، هي : تهامة ونجد والحجاز والعروض

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ليدن ١٩٠٦ ، ص ٦٨ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٨ ، ج ١ ص ١٩ .

(٣) المقدسي : نفس المصدر ص ٦٨ .

(٤) لقد تسمت سلسلة جبال السراة ـ الممتدة من أقصى جنـوب الجزيرة العربية الى بادية الشام في الشمال ـ الجزيرة الى تسمين متمايزين « فصار ماخلف هـذا الجبل من =

واليمن[١]. وزاد ابن حوقل عليها بادية العراق وبادية الجزيرة – فيما بين دجلة والفرات – وبادية الشام [٢]. « وفيها خلاف يطول ذكره » [٣].

وكما هو الحال بالنسبة لبلاد العرب يختلف الكتاب فى تحديد اليمن . فحده الشمالى – جهة الحجاز – يختلف باختلاف نقطة البداية التى اعتمدتها المصادر القديمة ، فمنها ما بدأ من بلدة الهجيرة [٤] بالمنطقة النجدية . ومنها ما اعتمد حصن السرين على ساحل تهامة كأساس لبداية هذا التحديد .

= غربيه الى أسياف البحر ، من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها الى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها : الغور ، وتهامة تجمع ذلك كله – وغور الشام لا يدخل فى ذلك . وصار مادون ذلك الجبل فى شرقيه من صحارى نجد الى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك كله ... وصار الجبل نفسه سراته – وهو الحجاز – وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية فيد والجبلين الى المدينة ومن بلاد مذحج : تثليث وما دونها الى ناحية فيد ، فذلك كله حجاز ، وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض – وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها – والعروض يجمع ذلك كله . وصار ماخلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان الى عدن أبين وما يليها : اليمن . وفيها التهائم والنجود ، واليمن يجمع ذلك كله » (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، طبع مصر ، ص ٥١ ، البكرى . معجم ما استعجم ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ، ج ١ ص ٨–٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، ليبزج ١٨٧٠ ، ج ٤ ص ١٠٣٥) .

(١) الهمدانى : صفة الجزيرة ص ٥١ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٦–٧٧ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ج ١ ص ١٨–١٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٤) الهجيرة أو الهجرة ، وهى الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن ، وتقع على مسافة ستين فرسخا الى الشمال من صنعاء (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ ، ص ١٣٥ .

فالحد النجدى يبدأ من بلدة الهجيرة ميجها إلى ناحية الغرب على جبـال السراة، فيصعد الجبل عند بلدة عثر ، ثم يميل إلى الشمال قليلا ويهبط إلى ناحية البحر عند ميناء حمضة الواقعة جنوب حلى (١) ، وهـذا الحد يمتد إلى الشمال قليلا من خط عرض ١٧° . وبالتالى إلى الجنوب من السرين (٢) ، وهذا هو تحديد الهمدانى الذى نقله عنه ياقوت (٣) .

أما الحد الشمالى الثانى فيتجه من السرين (٤) على ساحل تهـامة إلى الشرق حتى ينتهى إلى ناحية يلملم ، ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجـد اليمن (٥) .

---

(١) حلى ، مدينة باليمن على ساحل تهامة وتعرف بحلى ابن يعقوب ، وبينها وبين مكة ثمانيه أيام .(عمارة : تاريخ اليمن ، لندن ١٨٩٢ ، ص ٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٣) .

(٢) عبد المحسن الحسينى : الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، مجلة كليـة الآداب جامعه الاسكندرية ، المجلد ٦ ، ٧ سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، ص ١١٩ .

(٣) ويحدد الهمدانى مسار هذا الحد بقوله : « فالى حدود الهجـيرة وتثليث وكتنة وجرش منحدراً فى السراة الى شعف عنز ، وشعف الجبل أعلاه ، الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كدمل بالقرب من حمضة ، وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة » (صفة جزيرة العرب ص ٥١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٠٣٥)

(٤) السرين : ميناء قديمة ،وهى ساحل كنانة (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٢٠) بين جدة والقنفدة . وتقع الى الجنوب من جبل يلملم الذي يمتد من الشرق الى الغـرب ، فيعترض الطريق الساحلى الواصل بين الشمال والجنوب ، مما يحول دون سيطرة الحجاز عليها (عبد المحسن الحسينى : نفس المرجع ص ١١٩) وهى على أربعة أيام من مكة (القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٥) .

(٥) عبد المحسن الحسينى : نفس المرجع ص ١١٨ « فما كان من حـد السرين حتى ينتهى على ناحية يلملم ، ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا ، فمن اليمن . فيكون ذلك نحو ثلثي بلاد العرب » (الاصطخرى :مسالك الممالك ، ليدن =

وهذا الحد يسير مع خط عرض ٢٠° تقريبا ، ولهـــذا فهو يقع إلى الشمال كثيرا من الحد النجدى .

وهكذا نجد أن خط الحدود فى منطقة جبـال السراة ـ المنطقة الوسطى بين نجد وتهامة ـ يختلف تبعا لموقعه من نقطتى البداية [1] ، كما اعترى حدود اليمن كثير من التغيرات ، طبقا للاتفاقيات والظروف السياسية القائمة .

أما الحد الشرقى لليمن فيبدأ ـ كما يذكر الهمدانى من « حـدود عمـان ويبرين [2] إلى حد ما بين اليمن واليمامة » [3] حيث يتصل بالحـدود الشمالية لليمـن .

أما الحد الجنوبى لليمن فيسير محـــاذيا للمحيط الهندى وخليج عدن .

أما البحر الأحمر فهو الحد الغربى لبلاد اليمن [4] .

= ١٩٢٧ ، ص ١٤ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٩ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ج١ ص ٣٩ ـ ٤٠) .

(١) عبد المحسن الحسينى : نفس المرجع ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢) يبرين هى الرابع الخالي (عبد المحسن الحسينى : نفس المرجع ص ١١٦).

(٣) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٥١ .

(٤) وينقل ياقوت عن الهمدانى قوله ، « وأول احاطة البحر باليمن من ناحية دما (من أوائل بلاد عمان من جهة الشمال) فطنوى فالجمة (سن خارج البحر) فرأس الفرتك فأطراف جبال اليحمد وما سقط وانقاد منها الي ناحية الشحر (الشط الضيق ، وهو يقع على ساحل بحر الهند بين عدن وعمان) فالشحر ، فغب الخيس فغب العيب فغب القمـر فغب القار (وهذه من بلاد مهرة) فالحيرج والأشنار . وفى المنتصف من هذا الساحل تمرا بين عمان وعدن ، ريسوت (وهو موئل كالقلعة ، والبحر محيط بها الا من جانب البر)»... =

وتلحق ببلاد اليمن الجزر المحاذية لسواحلها ، كجزر فرسان قرب ساحل جيزان ، وكمران إلى الغرب من الصليف ، ودهلك في جنوب البحر الأحمر ، وزقر بقرب زبيد ، وبريم (ميون) ، وفاطمة المحاذية لها من الغرب عند باب المندب . كما تلحق باليمن جزر سقطرى وكوريا موريا الواقعة فى جنوب المهرة (١) .

وتنقسم بلاد اليمن فى الفترة التى نحن بصدد دراستها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي : تهامة فى الغرب والمنطقة الجبلية الوسطى والهضبة الشرقية . ويشتمل كل قسم منها على عدد من المخاليف (٢) .

= ثم ينعطف البحر على اليمن مغربا وشمالا من عدن فيمر بساحل لحج وأبين وكثيب برامس (وهو رباط) وساحل بنى مجيد من المندب ، فساحل العميرة والمارة فالى غلافقة (ساحل زبيد) فكمران فطينة فالمردة (ساحلا المهجم والكدراء) الى منهق جابر (وهو رأس عزيز كثير الرياح حديدها) الى الشرجة — ساحل بلد حكم — فبابة جازان الى ساحل عثر فرأس عثر إلى ساحل حمضة فهذا مايحيط باليمن من البحر » الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٥١ — ٥٢ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٣٦ .

(١) الويسى ، حسين بن على : اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ١—٢ .

(٢) المخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكورة لأهل العراق والرساتيق لأهل الجبال والطساسيج لأهل الأهواز (ابن منظور : لسان العرب ، المجلد التاسع ، طبع بيروت ١٩٥٦ ، ص ٨٤) . ويقول الفيروز أبادى أن المخلاف هو الرجل الكثير الاخلاف (القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ ، ج ٣ ص ١٣٧) ويذكر الزبيدى أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكنا وكثروا فيها ولم يسعهم المقام فى موضع واحد أجمعوا رأيهم على المسير في نواحى اليمن فيختار كل بنى أب موضعا يعمرونه ويسكنونه ، فكانوا إذا صاروا فى ناحية واختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم تلك القبيلة المتخلفة فيها ، فسموها مخاليف لتخلف بعضهم عن بعض (تاج العروس : ج ٦ ص ٩٧) .

فتهامة اليمن ، وهي السهل الساحلي الممتد بمحاذاة البحر الأحمر ابتداء من السرين شمالا إلى نهاية ذلك البحر جنوبا ، ومنها بمحاذاة خليج عدن والمحيط الهندي في الجنوب . ويختلف اتساع هذا السهل اختلافا بينا في أماكن متعددة، فيتراوح عرضه في المنطقة المطلة على البحر الأحمر ما بين ستين ومائة كيلو مترا (١) ، ويقل عن ذلك في الجزء المطل على خليج عدن والمحيط ، بحيث يكاد السهل يتلاشى في أقصى الجنوب الغربي . ثم يأخذ في الاتساع في بعض الأماكن إلى مسافة قد تصل أحيانا إلى خمسين كيلوا مترا (٢) .

وتنقسم منطقة تهامة ـ المطلة على البحر الأحمر ـ إلى منطقتين رئيسيتين قبيل الفتح الأيوبي ، فالمخلاف السليماني (٣) ـ في الشمال ـ وعاصمته حرض ، ويمتد هذا المخلاف إلى الشمال من تلك المدينة حتى حدود الحجاز ، ويحكم هذا القسم الأشراف من بني سليمان (٤).

---

(١) سليمان حزين : تقرير عن أعمال بعثة جامعة القاهرة الى اليمن وحضرموت سنة ١٩٣٦ ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد الرابع ج ٢ ص١٩٢).

(٢) سليمان حزين : نفس المرجع ص ١٩٣.

(٣) ينسب المخلاف السليماني الى الأشراف بنى سليمان (الجندى : السلوك ج ١ لوحة ١٠٠) .

(٤) ينتسب بنو سليمان الى موسى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن أبي طالب ، وكانوا قد تغلبوا على مكة وأسسوا فيها دولة السليمانيين سنة ٣٠١ هـ ، وفى سنة ٤٥٤ هـ هزمهم الهواشم وطردوهم منها ، فنزحوا الى اليمن ونزلوا بالمخلاف السليماني (عمارة : تاريخ اليمن ص ٥ ـ ٦ ، ١٢٢ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٠ ـ ١١) ولا تزال ذريتهم معروفة فى تهامة عسير (حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ ص ١٥٢).

أما القسم الثاني ، وهو دولة بني مهدي (١). فيقع إلى الجنوب من المخلاف السليماني مباشرة، وعاصمته زبيد . أما منطقة تهامة المطلة على خليج عدن والمحيط فتشمل عدن ، وفيها دولة بني زريع، ثم حضرموت والشحر وكانتا تحت حكم آل راشد بن أبي قحطان الحميري (٢).

أما منطقة الجبال الوسطى ، فتقع إلى الشرق من سهل تهامة المطل على البحر الأحمر . وهي عبارة عن الجزء الجنوبي لجبال السراة ، وتتكون من قمم الجبال العالية ومنحدراتها ، والهضاب الواقعة بينها . ويتراوح ارتفاع هذه المنطقة ما بين ٥٠٠ و ٣٥٠٠ مترا فوق سطح البحر (٣) . وتحصر هذه المرتفعات فيما بينها مناطق سهلية مستوية السطح يطلق عليها اسم القيعان ، وغالبا ما تكون تلك القيعان على ارتفاع قد يزيد على ١٥٠٠ مترا فوق سطح البحر (٤) .

وتنقسم منطقة الجبال إلى عدة أقسام تبدأ من مخلاف المعافر (٥) في الجنوب ، الذي يمتد من شمال عدن إلى مدينة إب (٦) - ويعرف هذا القسم باليمن الأسفل - وعاصمته تعز . ويلي هذا القسم ، اليمن الأعلى وعاصمته

---

(١) مؤسس هذه الدولة هو علي بن مهدي .

(٢) صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي (القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ص ٨٠ .

(٣) سليمان حزين : تقرير بعثة جامعة القاهرة ص ١٩٢ .

(٤) سليمان حزين : نفس المرجع ص ١٩٢ .

(٥) مخلاف المعافر هو بلاد الحجرية الآن (الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن ص ٧).

(٦) إب ، مدينة باليمن الأسفل تقع الى الشمال من ذي جبلة .

صنعاء، ويمتد إلى الشمال من مدينة إب إلى نهاية أعمال صنعاء. ثم منطقة البون[1] وعاصمتها ريدة. وإلى الشمال والغرب من البون تقع منطقة الظاهر. أما صعدة فتلي بلاد الظاهر شمالا، ثم منطقة نجران فى أقصى شمال اليمن. وتضم هذه المنطقة أكثر مخاليف بلاد اليمن[2].

أما الهضبة الشرقية، فهى منطقة منبسطة موازية لتهامة وسلسلة الجبال، وتقع فى شرق اليمن على مسافة ٢٥٠ كيلو مترا تقريبا من البحر الأحمر. ويتراوح عرض هذه الهضبة ما بين ١٠٠ و ١٥٠ كيلوا مترا. ويبلغ ارتفاعها عند بدايتها فى الغرب نحو ألفى متر فوق سطح البحر، ثم تأخذ فى الانحدار تدريجيا كلما اتجهنا شرقا حتى تضيع بين رمال الربع الخالى[3]. وتضم هذه المنطقة الجوف وبيحان ورداع والعوالق ويافع وغيرها[4].

أما سكان اليمن فيمثلون الجنس العربى تمثيلا يمتد إلى أعماق التاريخ، فكلهم من القحطانيين[5]. وينقسم شعب[6] قحطان إلى ثلاثة أقسام

---

(١) البون منطقة من أوسع قيعان نجد اليمن (الهمدانى: الاكليل، القاهرة ١٣٦٨هـ ج ١٠، ص ١٦ حاشية ٢.

(٢) تضم منطقة الجبال كثيراً من المخاليف منها المعافر والجند والسحول ويحصب وعنس وآنس ووصاب وعتمة وحراز وشبام وسنحان وصنعاء وهمدان وحجور ووادعة وصعدة ورازح ونجران وغيرها (الجرافى: المقتطف ٧).

(٣) بيربى، جان جاك: جزيرة العرب ص ٣١.

(٤) الجرافى: المقتطف ص ٧. (وبهذه المنطقة أغلب الآثار اليمنية).

(٥) القحطانيون نسبة إلى قحطان بن عابر (الجرافى: المقتطف ص ١٨).

(٦) شعب: أعظم من القبيلة ثم يليها القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة. وقد سمى الشعب شعبا لتشعب القبائل منه. (نشوان بن سعيد الحميرى: منتخبات فى أخبار اليمن ص ٣٤).

وكيسية ، بنو حمير (١) وبنو مالك وبنو عريب (٢) .

فمن حمير،تتفرع قبائل ذو رعين ويريم ويافع ووحاظة وذو الكلاع وحراز وصحول وذو أصبح وغيرها .

ومن بني مالك،قبائل همدان والأزد وبنى خثعم .

ومن بطون همدان،حاشد وبكيل (٣) وبنـــو يام وجشم وشهاب (٤) وخولان (٥) ومن بطون الأزد،الأوس والخزرج .

أما بنو عريب،فمنهم قبائل بنوطي وبنو مذحج وبنو مرة ، ومن بطون مذحج،بنو الحكم وسنحان وبنو عنس وبنو مراد وجنب ، ومن بنى مرة، كندة وغيرها .

ومما يذكر أن كثيرا من البلاد اليمنية سميت بأسماء القبائل التي سكنتها(٦)، ولا تزال معظم تلك الأماكن محتفظة بمسمياتها هذه إلى الوقت الحاضر .

---

(١) حمير من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (الجراف: المقتطف ص١٨).

(٢) مالك وعريب أيضا زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان (الجراف : المقتطف ص ١٨) .

(٣) تعتبر قبيلتي حاشد وبكيل من أكبر وأقوى القبائل اليمنية إلى اليوم .

(٤) Kay : Yaman; its Early Mediaeval History. London, 1892, pp. 215 - 218.

(٥) ابن منظور : لسان العرب جـ ١٣ ص ٢٤٠ .

(٦) نشوان بن سعيد الحميري : منتخبات في أخبار اليمن ص ١٠٢ ، Kay : op. cit, pp. 215 - 218.

الصراع المذهبي في اليمن وأثره على النواحي السياسية :

كانت بلاد اليمن قبل الفتح الأيوبي تعاني من وطأة الفتن الداخلية والاختلافات المذهبية ، مما أدى إلى انقسام البلاد وتفتتها إلى دويلات صغيرة أنهكتها المنازعات والمنافسات ، وأفقدتها وحدتها السياسية . وإن نظرة سريعة إلى ماضي اليمن التليد ، لتظهر مدى الفارق الكبير بين ذلك الرقي والتقدم الذي تشهد به آثار تلك البلاد وسدودها - وبين هذا التدهور الذي كانت قد وصلت إليه ، فقد أسهم اليمنيون بنصيب كبير في الحضارة الإنسانية ، وانتشرت قبائلهم في شتى البقاع ، حتى أن بعض الروايات تذكر أن أصل البربر في بلاد المغرب من اليمن ، وأنهم من أبناء النعمان بن حمير بن سبأ (١) . فلما جاء الإسلام وأصبحت اليمن إحدى الولايات الإسلامية ، إشترك اليمنيون مع إخوانهم أبناء الأقطار الإسلامية الأخرى في الفتوحات الإسلامية ، وساهموا بنصيب كبير في نشر لواء الإسلام (٢) .

حركات الانفصال في اليمن في العصر العباسي :

ظلت اليمن الموحدة تكون إحدى الولايات التابعة للدولة الإسلامية ، وتتابع عليها الولاة من قبل خلفاء الرسول ﷺ والدولتين الأموية والعباسية . ولقد بدأت الحركات الاستقلالية فيها منذ أيام العباسيين الأوائل ، فعلى أيام

---

(١) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ ، ص ٢٦ .

(٢) لا تزال بعض قلاع الأندلس مثل قلعة همدان قرب غرناطة وقلعة خولان قرب إشبيلية وقلعة يحصب وغيرها ، تشهد أسماؤها اليمنية على ما قام به هؤلاء القوم من مجهودات في الفتوحات الإسلامية . (الجرافي : المقتطف ص ٤٤ ، الويسي : اليمن الكبرى ص ٢٥٣) .

الخليفة العباسى المأمون خرج الأشاعر (١) فى وادى زبيد عن طاعة الخلافة العباسية (٢) ، فجيش إليهم المأمون جيشا بقيادة محمد بن زياد (٣) استولى به على تهامة سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، واختط فيها مدينة زبيد (٤) وجعلها عاصمة لدولته (٥) .. وملك ابن زياد : حضرموت وديار كندة (٦)

---

(١) الأشاعر عرب من القحطانين يقيمون بوادى زبيد . ومن أشهر رجالاتهم أبو الحسن على الأشعرى صاحب المذهب الذى يعرف أتباعه بالأشاعر (Kay: Yaman, p. 213) .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ص ٢ .

(٣) محمد بن زياد ، من ولد عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان المعروف بزياد ابن أبيه (ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢١٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧ ، Kay : op.cit., p. 219) وكان قد وشى به إلى المأمون ثالث ثلاثة ، فحملوا إليه فى سنة ١٩٩ هـ ، فسألهم عن أنسابهم فانتسب ابن زياد الى يزيد بن معاويه بن أبى سفيان ، وقيل الى عبيد الله بن زياد ، وانتسب الثانى الى سليمان بن هشام بن عبد الملك (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٥) ، وانتسب الثالث الى بنى تغلب وزعم أن اسمه محمد بن هارون ، فبكى المأمون وقال : « أنى لى بمحمد بن هارون ، يعنى أخاه الأمين وكان قد قتل سنة ١٩٨ هـ . ثم قال ، أما الأمويان فيقتلان ، وأما التغلبى فيترك رعاية لاسمه واسم أبيه (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٥ ــ ٢١٦) . فقال له ابن زياد : « ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين ، زعمون أنك حليم كثير العفو ، متورع عن سفك الدماء بغير حق . فان كنت تقتلنا على ذنوبنا ، فانا لم نخرج عن الطاعة ولم نفارق فى بيعتك رأى الجماعة ، وإن كنت تقتلنا من أجل جنايات بنى أمية فيكم فان الله تعالى يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاستحسن المأمون كلامه وعفى عنهم جميعا .(عمارة: تاريخ اليمن ص ٢ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٦) .

(٤) عمارة : تاريخ اليمن ص ٣ .

(٥) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٦ .

(٦) ديار كندة من جبال اليمن مما يلى حضرموت وجبال الرمل ، وقاعدتها دمون. (ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢٦٧ ، ج ٤ ص ٢٢٥) .

والشحر [١] ومرباط [٢] وأبين [٣] ولحج وعدن والتهايم إلى حلى [٤] .. وملك من الجبال الجند [٥] وأعمالها ومخلاف جعفر وصنعاء وصعدة ونجران وبيحان ، وواصل ابن زياد الخطبة لبنى العباس » [٦] .

استقلال بنو زياد بملك اليمن :

لقد عظم أمر ابن زياد ، وتوارث بنوه الملك بعده ، واستغلوا موجة الاضطرابات التى تعرضت الخلافة العباسية لها نتيجة مقتل الخليفة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ – ٨٦١ م) ، وسم المنتصر (٢٤٧ – ٢٤٨ هـ / ٨٦١ – ٨٦٢ م) ، وخلع المستعين [٧] (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ – ٨٨٦ م) .

---

(١) تقع الشحر على ساحل بحر الهند من ناحيـة اليمن بين عدن وعمان (ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٦٣ ، مراصـد الاطلاع جـ ٢ ص ٧٨٥) ويسمى ببـلاد المهرة (ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٢٢٦) .

(٢) مرباط مدينة من مدن الشحر على ساحل البحر بين عمـان وحضرموت (مراصد الاطلاع ص ١٢٥٣) وهى على يوم ونصف يوم من ظفار (Kay : Yaman, p. 223) .

(٣) أبين مخلاف مشهور فى جنوب اليمن على سـاحل البحر الهندى ، وإليـه تضاف عدن (ابن سمرة طبقات فقهاء اليمن ص ٢٠٦) .

(٤) انظر ما سبق ، ص ١٥ هـ ١ .

(٥) الجنـد مخلاف باليمن الى الشمال الشرقى من تعز على نحو نصف مرحلة منها (القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٤) .

(٦) عمارة : تاريخ اليمن ص ٤ .

(٧) لقد بدأت مظاهر الضعف تدب فى جسم العباسيين منذ أوائل العصر العباسى الثانى لزيادة نفوذ الأتراك واستبدادهم بالسلطة ، وكان المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك . وقد زاد خطرهم فى خلافة المتوكل ، وأصبح الخليفة العباسى ، منذ ذلك الحين =

فاستبدوا بملك اليمن ، واقتصرت تبعيتهم للخلافة العباسية على الناحية الإسمية المتمثلة فى الدعاء للخليفة على المنابر .

انتشار التشيع فى اليمن على أيام بنى زياد :

كانت بلاد اليمن سنية كبقية الأمصار ، وكان الغالب عليها مذهب مالك وأبى حنيفة (١) ، أما المذهب الشافعى فقد انتشر من صنعاء إلى عدن إبتداء من المائة الرابعة (٢) .

ولقد كان لطبيعة بلاد اليمن الوعرة ، وصعوبة الانتقال بين أجزائها المختلفة ، وبعدها عن مركز الخلافة العباسية فى بغداد ، وانشغال ولاة العباسيين فيها ، أن اختارها الخارجون على بنى العباس لتكون ملجأ لهم . وكان الشيعة فى اليمن يلجأون إلى المناطق الجبلية والحصون العالية والنائية ، يعتصمون بها وينشرون فيها مذهبهم ودعوتهم فى الخفاء وبعيدا عن المخاطر ، حتى قيل أن جبال اليمن كانت على مذهب الشيعة ، وسائر البلاد بقيت على مذهب أهل السنة مع اختلاف (٣) .

ومما شجع الشيعة على اختيار اليمن أنها حظيت بزيارة على بن أبى طالب

= ألعوبة في أيديهم، ان شاءوا أبقوه ، وان شاءوا خلعوه أو قتلوه . (حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٠ ، ج ٣ ص ٢ – ٩) .

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ .

(٢) ابن سمرة : نفس المصدر ص ٨٨ .

(٣) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدي ص ٣٠٧ ، Hogarth (D. G.) : Arabia, Oxford. 1922. p. 90.

ثلاث مرات فى عهد الرسول (١) ، فكان ذلك من أهم الأسباب التى ساعدت على سرعة انتشار التشيع فيها . وصفوة القول ، أن بلاد اليمن كانت من أنسب البلدان التى وقع الاختيار عليها لنشر الدعوة الشيعية . ولهذا تعرضت دولة بنى زياد – على أيام أبى الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد – لهزات داخلية عنيفة وأخذت الاضطرابات تدب فى البلاد نتيجة لنشاط دعاة الشيعة (٢) . وبدأت دولة بنى زياد فى التقلص نتيجة لقيام الدولتين الشيعيتين – الإسماعيلية والزيدية – واستقلال أصحاب الأطراف بأعمالهم ، مثل بنى يعفر بصنعاء وسليمان بن طرف فى عثر بمنطقة تهامة الشمالية .

---

(١) لقد تركت زيارات على بن أبى طالب لليمن أثرا كبيرا فى نفوس أهل اليمن ، فكثر بها أنصاره ولعل جهاد قبائل همدان معه فى صفين لخير شاهد على ذلك . ومن قوله لهم : « يا معشر همدان ، أنتم درعى ورمحى » (حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ١٣ ، ١٧) .

(٢) يتفق الشيعة على أحقية على بن أبى طالب فى الخلافة بعد الرسول ، ومن بعده ابنه الحسن فالحسين ثم على زين العابدين . وقد جعلت الزيدية الإمامة من بعده لولده زيد (الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ٢٨) . اما الإمامية ، فقد جعلوها لمحمد الباقر بن على زين العابدين ومن بعده لولده جعفر الصادق . وبموت جعفر حدث انقسام آخر فى صفوف الشيعة فرأى البعض بإمامة اسماعيل بن جعفر – وهم الإسماعيلية – ورأى غيرهم بإمامة أخيه موسى الكاظم بن جعفر ثم فى الأئمة من بنيه الى الإمام الثانى عشر ، وهم الإثنى عشرية . (ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٦ – ٢٠٧ ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ج ١ ص ١٨٨) . ويطلق الإثنى عشرية على أنفسهم اسم الجعفرية نسبة الى جعفر الصادق ، لأنهم يأخذون بفقهه ويتبعون آراءه فى العقائد وفى الأحكام الفقهية ، فهو إمامهم فى الأصول وفى الفروع معا . (محمد أبو زهره : الميراث عند الجعفرية ص ٢٣) .

انتشار الدعـــوة الإسماعيلية :

قامت الدعوة الإسماعيلية (١) فى اليمن سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م على يد منصور اليمن (٢) وعلى بن الفضل الجدنى (٣) . وأصبحت تلك البلاد مركزا رئيسيا

---

(١) تتفق فرقة الإسماعيلية مع الإثنى عشرية فى الإمامة حتى جعفر الصادق ، وتختلف منها من بعده ، فتقول بإمامة اسماعيل بن جعفر بنص من أبيه ، لأن الإمامة عندهم تكون للابن الأكبر . واذا كان قد تعذر قيام اسماعيل بالإمامة لوفاته فى حياة ابيه ، فانه لا يتعذر بقاؤهـا فى عقبه ، اذ يستمر النص عاملا بالنسبة لعقب ، ولهذا انتقلت الإمامة بعد جعفر الصادق ـ عن طريق اسماعيل ـ الى محمد المكتوم ، وهو أول الأئمة المكتومين أو المستورين . (محمد أبو زهرة : المذاهب الإسلامية ص ٨٩ ـ ٩٠ ، الميراث عند الجعفرية ص ٢٤) . ومن المعروف أن الإسماعيلية من غلاة الشيعة (انظر ، ابن مالك الحمادى : كشف أسرار الباطنية ـ تحقيق زاهد الكوثرى ـ فى مواضع متفرقة .

(٢) هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى ، وسمى بمنصور اليمن . وينتسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبى طالب . وقد كان جده ـ وهو أحد أعيان الكوفة ـ إثنى عشري المذهب (محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٢٢) . فلما دخل ميمون القداح الكوفة تعرف بمنصور هذا ، ولما رأى فيه رجاحة عقل ونجابة ، لم يزل به حتى مال الى معتقده ، وصار من دعاته الذين يدعون الا ولده عبيد (الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٢٢ ، الجندى : أخبار القرامطة ـ نشرها هنرى كاى ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة ـ ص ١٤٠) .

(٣) هو على بن الفضل الجدنى الخنفرى من عرب يقال لهم جيشان ينسبون الى ذى جدن . وكان فى أول أمره إثنى عشريا ، حج الى مكة ثم خرج منها مع ركب الحاج العراق قاصدا زيارة قبر الحسين ، فلما وصله أخذ يبكى ويولول ويصيح ، ويعدد مناقب الحسين ويذكر فضائله ـ وميمون القداح ملازم للضريح ومعه ولده عبيد ـ فلما بصرا به على تلك الحال علما بأنه ممن يميل اليهما فطمعا فى اصطياده وعملا على استمالته . وخلا به ميمون وعرفه أنه لا بد لولده عبيد من دولة تقوم ويتوارثها بنوه ، ولكن لا تكون بدايتها فى

لنشر هذه الدعوة (١) . وقد اختلف المؤرخون حول الشخصية التى عهدت لهذين الداعيين بالتوجه إلى اليمن . فيذكر الحمادى (٢) أن ميمون القداح(٣) هو الذى عهد إليهما بذلك ، فى حين يرى مؤرخو الشيعة أن الإمام المستور

اليمن على يد بعض دعاته . فقال له ابن الفضل : « ذاك ممكن فى اليمن ، والناموس جائز عليهم » فأمره ميمون بالتثبت والوقوف حتى ينظر فى الأمر ، ثم أرسله مع الحسن بن زادان المعروف بمنصور اليمن الى بلاد اليمن لنشر الدعوة الفاطمية فيها (الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٢١ — ٢٢ ، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ٧٥ حاشية ٢ ، الجندى : اخبار القرامطة ص ١٣٩) .

(١) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدى ص ٢٣٢ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى ، من فقهاء السنة باليمن فى اواسط المائة الخامسة . وكان قد تظاهر بالتشيع والدخول فى الدعوة الفاطمية أيام الصليحيين باليمن بغية التحقق من أصل مذهبهم . وظل معهم حتى خبر خبرهم ودرس ظاهرهم وباطنهم ، ثم ألف كتابه المعروف « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » وقد اعتمد على هذا الكتاب كثير من المؤلفين الذين تصدوا للكلام عن الدعوة الفاطمية باليمن . (انظر ، كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٠ ، ١١) .

(٣) كان ميمون القداح يهوديا من مدينة سلمية بالشام ، وكان أحبار اليهود ومن أهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب . وكان يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق وكان قد حسد الاسلام « واعتنار على دينه» وحرص على هدم الشريعة المحمدية لعداوة اليهود للاسلام وأهله وبغضهم للرسول . ولهذا لم ير وجها يدخل به على الناس ليردهم عن الاسلام غير المكوف هو وولده عبيد على قبر الحسين بن على والدعوة الى أهل بيت الرسول . (الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ١٧ — ١٩ ، الجندى : أخبار القرامطة ص ١٣٩) .

الحسين بن أحمد [1] هو الذى كلفهما بذلك [2] .

ومهما يكن من شيء ، فقد خرج على بن الفضل وزميله منصور اليمن فى نهاية سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م من الكوفة إلى القادسية ومنها إلى مكة ، فلما أديا فريضة الحج توجها إلى اليمن للدعوة إلى عبيد الله المهدى ، فوصلا إلى غلافقه فى أوائل سنة ٢٦٨ هـ ، ثم افترقا ـ بعـــد أن اتفقا على أن يتصل كل منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ـ فاتجه منصور اليمن إلى مدينة الجند ، وكانت غايته عدن لاعة ـ غربى صنعاء ـ فوصلها برفقـة بعض التجار من أهلها [3] . أما على بن الفضل فقد تنقل إلى أن بلغ بلاد يافع الجبلية حيث استقر بها [4] .

وقد نهج الداعيان منهجا واحدا فى نشر دعوتها فى البـلاد وأقبـلا على العبادة ، وأظهرا التفقه فى الدين والتضلع فى المذاهب السنية ، وتظاهرا بالزهد والتقشف والصلاح ، فمال إليهما خلق كثير . وعندئذ قام منصور اليمن ببناء معقل له ولأتباعه فى موضع يقال له (عبر محرم) ـ وهـو جبل قرب جبـل

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهـدى ص ٤٥) وهو آخر أئمة دور الستر (محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، تاريخها ، نظمها ، عقائدها ص ٢٨) ويذكر المقريزى أنه الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفـاطميين الخلفا ، القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٠) .

(٢) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدى ص ٤٥ ، ١١٢ ، ٢٣٢ ، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ٣١ .

(٣) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٣٢ .

(٤) نشوان بن سعيد الحميرى . الحور العين ص ١٩٧ .

مسور – وكذلك فعل ابن الفضل فبنى حصنا فى ناحية بلاد يافع الجبلية (١).

كان لضعف الدولة العباسية وعجزها عن توجيه الجيوش إلى اليمن لبعدها ووعورة طرقها وطبيعة البلاد الجغرافية المعقدة، كما كان لضعف دولة بنى زياد فى اليمن، ومقتل محمد بن يعفر (٢) – صاحب صنعاء – واختلاف بنى يعفر من بعده (٣)، أن تهيأت الظروف لانتشار عقائد المذهب الإسماعيلى بين أهل اليمن (٤). وقد اتخذ الداعيان من معقليهما قاعدة ينطلقان منها ويتوسعان على حساب المناطق المجاورة لهما. وعمل كل منهما على تنظيم صفوف أتباعه، فتمكن منصور اليمن من الاستيلاء على جبل مسور – من أعمال صنعاء – ونقل مقر قيادته إلى حصن فايز – على جبل مسور – وأخذ فى تحصينه وأعلن منه مذهبه. ثم قام بالاستيلاء على جميع مخاليف مغرب اليمن، فأخذ بلاد عيان وبنى شاور وحملان وذخار وشبام وجبلها كوكبان وغيرها. فجاءه الناس طوعا وكرها، ودخل كثير من أهل تلك المناطق فى دعوته (٥).

---

(١) الحمادى: كشف أسرار الباطنية ص ٢٨.

(٢) بنو يعفر من ذرية ذى حوال الحميرى. وكان جدهم عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالى نائبا عن والى المعتصم العباسى على صنعاء، فلما توفى عبد الرحيم خلفه ابنه يعفر – وهو رأس الدولة – وقد بدأت دولتهم سنة ٢٣٠ هـ بعد ما استولى يعفر بن عبد الرحيم على صنعاء من نائب العباسيين فيها. وقد استمرت دولتهم إلى سنة ٣٨٩ هـ. وكانت لهم – مع صنعاء – يحصان ونجران وجرش (انظر، عمارة: تاريخ اليمن ص ١٠٥ – العرشى: بلوغ المرام ص ١٨، زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة جـ ١ ص ١٧٩).

(٣) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود: نفس المرجع ص ٣٤.

(٤) حسن ابراهيم حسن وطه شرف: عبيد الله المهدى ص ٣٠٦.

(٥) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود: نفس المرجع ص ٣٥.

وظل منصور اليمن متمسكا بالدعوة الإسماعيلية أمينـا عليها ومواليـا لهـا حتى وفاته .

أما على بن الفضل فقد قام بعدة هجمات على المناطق المجـاورة ، ولم يلبث أن استولى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م على مدينة المذيخـرة ـ وهي مـدينة عظيمة بجبل ريمة ـ وجعلها دار ملكه ، وأظهر بها مذهبه . ثم استولى على مخلاف جعفر والجند ، وكان قد ملك صنعاء سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ولكنها ظلت مثـار شد وجذب بينه وبين أسعد بن يعفر (١) ، ولم يستقر أمره فيها نهائيـا إلا سنة ٢٩٩ هـ (٢) / ٩١١ م .

ولقد ظل الداعيان على بن الفضل ومنصور اليمن مخلصين للدعوة الفاطمية ، وكان عبيد الله المهدى على عزم المسير إلى اليمن ، ولكنه عدل عن ذلك عندما علم بميل ابن الفضل إلى الاستقلال والخروج على الدعوة ، ذلك أنه لما اتسع ملكه وقويت شوكته في اليمـن دعا إلى نفسه وخلـع طاعة الفاطميين (٣) ، وأبطل الدعوة لعبيد الله المهدى واستقل بأمر البلاد عن الفاطميين والعباسيين معا (٤) . وقد حاول منصور اليمن أن يثنيه عن ذلك ، وأرسل يحـذره فلم يلتفت إليه . وتطورت الأحداث بين الداعيين ، وخرج على بن الفضل سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م لمحاربة منصور اليمن (٥) ، ولزم حصاره حتى طلب الصلح

---

(١) الجندى : أخبار القرامطة ص ١٤٤ .

(٢) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٣٧ .

(٣) الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٣٣ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٦٩ .

(٤) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٤٥ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ص ٤٠ .

وأرسل ولده إلى ابن الفضل كرهينة دليلا على الدخول فى طاعته (١) .

وهكذا كان لخروج ابن الفضل على الدعوة الإسماعيلية ، ومحاربته زميله منصور اليمن أثره في ضعف تلك الدعوة وانقسامها وتفرق أتباعها (٢) ، وخاصة بعد وفاة منصور اليمن سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ثم انتهاء تلك الحقبة بوفاة على بن الفضل مسموما سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م .

انتهز أعداء الدعوة تلك الأزمة التى مرت بها الدعوة الإسماعيلية ، فبادر أسعد بن يعفر الحوالي بالخروج من صنعاء فى رجب سنة ٣٠٣ هـ (٣) / يناير ٩١٦ م ، وانقض بمن انضم إليه من القبائل على إبن على بن الفضل وأتباعه، واستطاع الاستيلاء على حصونهم ، وشتت شملهم وتتبع فلولهم بغية التخلص منهم ، فكان لا يسمع بأحد منهم إلا قتله (٤) .

أما فرع الدعوة الآخر - الذى كان يتولاه منصور اليمن - فقد دب الانقسام فيه بعد وفاته ، ذلك أنه كان قد أوصى بأمر الدعوة من بعده إلى ابنه أبى الحسن وإلى تابعه المخلص عبد الله بن عباس الشاورى ، وأوصاهما

---

(١) الحادى : كشف أسرار الباطنيه ص ٣٦ .

(٢) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٣٦ .

(٣) نشوان بن سعيد الحميرى : الحور العين ص ١٩٩ . (ومما يذكر أنه لما استولى ابن الفضل على صنعاء اتخذ من المذيخرة داراً لاقامته ، واستناب أسعد بن يعفر على صنعاء. وكان ابن يعفر ينفر من ابن الفضل ومذهبه ويتحين الفرص للقضاء عليه. وقد واتته الفرصة عندما تمكن أحد أتباعه من سم ابن الفضل بقصده ، فقضى عليه) الجندى : أخبار القرامطة ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٤) الحادى : نفس المصدر ص ٣٨ .

بأمر الدعوة وضرورة مكاتبة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي حتى يرد أمره بولاية أحدهما ، وأن يكون كل منهما عونا لصاحبه (١) . فلما توفي منصور اليمن كتب الشاوري إلى عبيد الله المهدي بالمغرب – وكان على معرفة سابقة به – يبلغه بموته ، ويعرفه بأنه قائم بأمر الدعوة من بعده ، ويسأله أن يثبته عليها (٢) . كما توجه الحسن بن منصور اليمن بنفسه إلى القيروان ، فوصل إليها بعد أن استجاب المهدي للشاوري ، فعاد وقد ملأ الحقد قلبه ، وأضمر الشر ، ولكنه تظاهر للشاوري بالطاعة حتى إذا حانت له الفرصة وثب عليه وقتله وتولى الأمر بعده ، ثم لم يلبث أن ترك مذهب أبيه وتحول إلى المذهب السني (٣) ، وتتبع أنصار الدعوة قتلا وتشريدا حتى أباد معظمهم (٤).

لم يمض وقت طويل حتى قتل الحسن بن منصور اليمن ، وتولى الأمر بعده رجل يدعى إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وترسم السباعي خطى سلفه في الخروج على المذهب الإسماعيلي ، ومواصلة الخطبة للخليفة من بني العباس ، وكاتب الحسن بن إبراهيم بن زياد – صاحب الدولة الزيادية في اليمن – وبذل من نفسه السمع والطاعة والدخول في خدمته . ولكن الصلة لم تلبث أن انقطعت عندما أحس السباعي بمطامع ابن زياد فيه (٥) . وظل السباعي يتتبع أهل الدعوة الفاطمية بالقتل والسبي (٦) حتى ألجأ من تبقى منهم

---

(١) الحمادي : المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) الحمادي : المصدر السابق ص ٣٩ .

(٣) الجندي : أخبار القرامطة ص ١٥١ .

(٤) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٣٩ .

(٥) الحمادي : كشف أسرار الباطنية ص ٤١ .

(٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٠ ، حسين الهمداني وحسن سليمان : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٥٥ .

إلى التستر ، وتولى أمر الدعوة فيهم رجل منهم يدعى يوسف بن موسى ابن أبي الطفيل ، وقد ظل ابن أبي الطفيل ومن خلفه على اتصال بالخلفاء الفاطميين فى المغرب ثم مصر بعد انتقال الدولة الفاطمية إليها .

استمر إسماعيلية اليمن طوال القرن الرابع على تلك الحال إلى أن تولى أمر الدعوة فيهم الداعى سليمان بن عبد الله الزواحى - وكان رجلا كثير المال عظيم الجاه - وقد كثر أتباع المذهب الإسماعيلي فى عهده (١) ، كما استطاع أن يستميل على بن محمد الصليحى إلى مذهبه حتى إذا ما جاء أجله قام الصليحى بأمر الدعوة من بعده .

انتشار المذهب الزيدى :

الزيدية (٢) فرقة من فرق الشيعة تنتسب إلى زيد بن

---

(١) الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٤٢.

(٢) يعتقد الزيدية فى أولوية على فى الخلافة، ومع اعتقادهم هذا لا ينكرون صحة بيعة أبى بكر وعمر ، لأن عليا رضى بخلافتهما ، فلم يسعهم إلا أن يرضوا ما ارتضى ويقروا ما أقر . وهم لا يجيزون لعنهما كما تذهب بقية فرق الشيعة (محمد أبو زهرة : الميراث عند الجعفرية ص ١٩) وهكذا فهم يقولون بجواز إمامة المفضولين- أبى بكر وعمر - على الرغم من وجود الفاضل وهو على. ومن شروط الامام عندهم أن يكون فاطميا ذكرا حرا بالغا عاقلا سليم الحواس والأطراف ورعا تقيا لم يمارس مهنة مسترذلة ، عالما مجتهدا حسن الدراية بتصريف الأمور ، عادلا سخيا شجاعا مجاهدا يخرج داعيا لنفسه (انظر حسن ابراهيم حسن : اليمن البلاد السعيدة ص ١٤٣ ، أحمد حسين شرف الدين : تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ١٦٠ ، Key : Yaman p. 302) ولما قال زيد بن على بذلك الرأى ناقشه فيه أخوه محمد الباقر ، وقال له : على قضية مذهبك والدك ليس بامام ، فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج (محمد أبو زهرة: الميراث عند الجعفرية ص ٢٠ ،المذاهب=

على (١) ، وهي من أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية (٢) .
ولقد انتشر المذهب الزيدى بعد مقتل الامام زيد ، واعتنقه الكثيرون من آل البيت . ويرجع السبب فى انتشاره فى اليمن إلى انحراف (٣) الداعى على بن الفضل بالدعوة الإسماعيلية ، مما حمل قبائل منطقة صعدة إلى البحث عمن يتولى حكمهم ويبصرهم بأمور دينهم ويدفع عنهم أخطار ابن الفضل . وكان يحيى بن الحسين (٤) ممن اعتنقوا هذا المذهب ،

= الإسلامية ص ٧٤) وهكذا كان الجهاد شرطا رئيسيا من شروط الامامة عندهم ، وقد شهر زيد سيفه فاعتقد اتباعه بامامته وبايعوه . (ابن زهرة الحسينى : غاية الاختصار ص ٨٢ — ٨٣ ، بلوغ المرام ص ٣٣٧) ، وقد خالفهم فى اشتراط الخروج للدعوة غيرهم من الشيعة الامامية ، فقد سوغوا ان يكون الامام مستورا ولا يدعو لنفسه ، وهذه قضية رئيسية من قضايا الخلاف بين الزيدية والامامية » (أبو زهرة : الميراث ص ١٩ ، ٣٤).

(١) هو الامام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وقد كان يتطلع الى الخلافة ويرى أنه احق بها ، ولم يكن يتورع عن ذكر ذلك فى مجالسه . وقد بايعه أهل الكوفة ، وحرضوه على الخروج على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، فخرج فى صفر ١٢٢هـ / يناير ٧٤٠ م ولكن أصحابه تفرقوا من حوله وتركوه ولم يثبت معه فى قتال جيوش يوسف بن عمر الثقفى — والى العراق — إلا القليل ، فقتل فى أول يوم لاعلان ثورته. (محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن الزيدية — بحث بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث العدد الأول مايو ١٩٥٠ ص ٢٠ — ٢١).

(٢) محمد أبوزهرة : المذاهب الاسلامية ص ٧٢ ، محمود بن محمد عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ص ٦١ .

(٣) عن انحراف على بن الفضل انظر ص ٣١ .

(٤) هو الامام يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٨) ولد سنة ٢٤٥ هـ وتوفى سنة ٢٩٨ هـ ولقبه الهادى إلى الحق . (نشوان بن سعيد الحميرى : الحور العين ص ١٩٦).

تلقاه بواسطة أبيه الحسين وعميه الحسن ومحمد عن جده القاسم بن ابراهيم الذى كان من كبار أئمة الزيدية . وكان يحيى بن الحسين مقيما بجبل الرس قرب المدينة في الحجاز ، فلما استقر رأى قبائل صعدة عليه ، توجه إليه وفد منهم لدعوته ، فاستجاب لهم وسار إلى صعدة سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م (١) ، فكان أول أئمة الزيدية فى اليمن .

ومما يذكر أن أكثر أئمة اليمن كانوا من أبناء الحسن بن على بن أبى طالب ، وقليل منهم كان من ذرية الحسين بن على ، ذلك أن آل الحسن وجدوا فى المذهب الزيدى متسعا لهم ولنشاطم في العلم والإمامة ، إذ أن من شروط الإمامة عند الزيدية أن يكون فاطميا ، بينما يختلف ذلك عند الإمامية الذين يرون بالنص بدلا من الوصف ويغلب فى اختيـــار الإمام عندهم أن يكون أكبر أبناء أبيه (٢) .

لم يبق يحيى بن الحسين فى اليمن طويلا ، فقد خذله أهل صعدة ، فاضطر للعودة إلى بلاد الحجاز . فلما تركهم استشرت الفتن والخلافات بينهم وأحسوا بحاجتهم إلى من يصلح شأنهم ويوحد كلمتهم ، ولهذا سعوا من جديد لاقناع يحيى بن الحسين للعودة اليهم ، فاستجاب لهم بعد إلحاح وبعد أن تعهدوا له بالطاعه المطلقة ، وعاد معهم إلى صعدة للمرة الثانية فى صفر ٢٨٤هـ/ مارس ٨٩٧ م (٣) ، واتخذها مركزا لدعوته ، وعمل منذ اللحظة الأولى على تنظيم صفوف أتباعه ، فلم يكد يقر الأمور فى تلك المدينة حتى أخذ يعمل

---

(١) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن الزيدية ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) انظر : أحمد حسين شرف الدين : تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ١١٠ .

(٣) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن الزيدية ص ٢٤ — ٢٥ .

على ضم مناطق الجبال الشمالية ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق المحيطة بصعدة وعلى نجران وبرط (١) ، وأسس الدولة الزيدية ، واتخذ من مدينة صعدة عاصمة لتلك الدولة (٢) ، وأقام ولاته على البلاد التى فتحها (٣) . ولم تمض سنتان حتى تمكن من السيطرة على المناطق الجبلية الواقعة شمال صنعاء(٤)، فجمع جموعه وزحف إلى صنعاء سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م وانتزعها من بنى يعفر (٥) ولكنهم لم يلبثوا أن استردوها منه ، فعاد إلى صعدة (٦) . ثم تمكن من دخول صنعاء مرة أخرى فى نفس ذلك العام ، ولكنه وجد فيها مقاومة عنيدة ، وفقد فيها كثيرا من رجاله ، واستطاع بنو يعفر أن يستردوها منه سنة ٢٨٩ هـ (٧) / ٩٠٢ م .

وعلى الرغم من الصراع العنيف بين الامام الزيدى و بين بنى يعفر السنيين، إلا أن العداء المشترك لابن الفضل الإسماعيلى وحد بينهما، فلما استولى ابن الفضل على صنعاء ولم يتمكن بنو يعفر من الصمود أمامه ، استنجدوا بالامام يحيى ابن الحسين وتحالفوا معه لمساعدتهم ضد ابن الفضل الذى كان قد تمكن من هزيمتهم وطردهم من صنعاء . واستجاب الامام لبنى يعفر - خصومه السابقين - واسترد

---

(١) الجرافى : المقتطف ص ١٠٤ .

(٢) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن ص ٢٥

(٣) الصعدى : مآثر الأبرار ورقة ٥٨ ب .

(٤) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن ص ١٩ .

(٥) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ٦٢ .

(٦) عمارة : تاريخ اليمن ص ١٠٥، ١٣٥ .

Kay : Yaman, p. 226.

(٧) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن ص ٢٩ - ٣٠ .

لهم صنعاء من ابن الفضل وعاد إلى صعدة واستقر بها حتى مات في ذى الحجة سنة ٢٠٨ هـ (١) / أغسطس ٩١١ م ، بعد أن نشر المذهب الزيدى في جبال اليمن ، ونجح في تأسيس الدولة الزيدية فيها (٢) .

ترك الامام يحيى بن الحسين ثلاثة أبناء ، هم : أبا القاسم محمد المرتضى وأحمد الناصر والحسن (٣) . وقد خلفه في الإمامة ابنه محمد المرتضى في المحرم ٢٩٩ هـ / أغسطس ٩١١ م ، وكان أخوه أحمد الناصر غائبا وقت وفاة أبيه . فلما عاد إلى اليمن أجمع علماء المذهب عليه (٤) فتنازل له المرتضى عن الإمامة وبايعه سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م لأنه كان أنهض منه وأقوى شوكة (٥) . وقد انشغل أحمد الناصر في حروب كان أكثرها ضد الاسماعيلية (٦) التي قويت شوكتها في عصره (٧) . وصفوة القول فقد استقام ملكه واضطرد في بقيه من بعدة (٨) . وتتابع أئمة الزيدية على حكم دولتهم في اليمن إلى أن قام الإمام أحمد بن سليمان بأمر الإمامة سنة ٥٣٢ هـ (٩) / ١١٣٧ م .

---

(١) الصعدى : مآثر الأبرار ورقة ٦١ أ .

(٢) محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن الزيدية ص ٣٠ ــ ٣١ .

(٣) Kay : Yaman, p. 315.

(٤) العرشى : بلوغ المرام ص ٣٣ .

(٥) الجرافى : المقتطف ص ١٠٧ .

(٦) Kay : op. cit., pp. 315 - 316

(٧) الصعدى : مآثر الأبرار ورقة ٦٧ ب .

(٨) عمارة : تاريخ اليمن ص ١٣٦ ، محمد عبد الله ماضى : دولة اليمن ص ٣٣ .

(٩) انظر ص٥٦ .

ضعف نشـــاط الشيعة فى اليمن :

لقـد كان انتشـار التشيع فى اليمـن على حساب المذهب السنى ، وكان طبيعيا أن يصطدم أتباع السنة بالقائمين بأمر الحركتين الشيعيتين الإسماعيلية والزيدية . وقد كانت الدعوة الإسماعيلية في حاجة إلى توحيد جهود دعاتها[1] ، ذلك أن انحراف ابن الفضل وخلافه مع منصور اليمن كان له أكبر الأثر فى ضعف الدعوة الاسماعيلية فى اليمن ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن هناك تنسيق أو تعاون بين الدعوتين الشيعيتين لمواجهة أتبـاع السنة ، بل على العكس من ذلك كانت المنافسة بينهما قد بلغت مداهـا ، وأصبح الصراع الدموى بينهما على أشده من أجل الانفراد بالامامة والحكم[2] مما شغلهما عن مواجهة اتباع السـنة ، بل واستجابة الامام الزيدى يحيى بن الحسين لبنى يعفر السـنيين ومساعدتهم فى استرداد صنعاء من على بن الفضل الاسماعيلى .

ثم أصبح الصراع مستمرا ومتشابكا بين أتبـاع المذاهب الثلاثة — الإسماعيـلى والزيدى والسنى — كل يعمل على تثبيت وترسـيخ دعوته وتقويض دعوة الآخرين ، فكان ذلك سببـا فى انتشار الفوضى وانعدام الإستقرار وتفتت البلاد إلى أجزاء متناحرة فقدت وحدتها السياسية .

وإذا ما استثنينا منطقة صعدة ـ التى كان الإمام الزيدى مستقرا فيهـا ـ نجد أن المذهب السنى قد اسـتعاد مكانته من جديد فى البـلاد ، وخاصة بعد التخلص من ابن الفضل وأتبـاعه ، وخروج الحسن بن منصور اليمن على المذهب الاسماعيلى وتحوله إلى المذهب السنى وتتبعه أتباع الدعوة الاسماعيلية

---

(١) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ٦٧ .

(٢) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية ص ٢٦ .

بالقتل والتشريد . وهكذا تعرض المذهب الإسماعيلى لفترة حرجة فى تاريخه تمتد من وفاة ابن الفضل سنة ٣٠٢ ﻫ / ٩١٥ م إلى ظهور الداعى على بن محمد الصليحى وتأسيسه الدولة الصليحية سنة ٤٣٩ ﻫ / ١٠٤٧ م ، حيث دخلت الدعوة خلالها دور الستر والكتمان (١) .

سقوط دولة بنى زياد :

كانت الحركات الشيعية من أهم الأسباب التى أدت إلى ضعف دولة بنى زياد . وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت تلك الدولة محتفظة بقوتها قرابة ١٦٧ عاما (٢٠٤ — ٣٧١ ﻫ / ٨١٩ — ٩٨١ م) . وهكذا استمر حكم بنو زياد وتتابع الولاه منهم على الحكم إلى سنة ٣٧١ ﻫ / ٩٨١ م عندما توفى أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد . وأعقبت وفاته فترة امتدت إلى سقوط الدولة سنة ٤٠٩ﻫ/١٠١٨ م ، وقد تميزت تلك الفترة بقيام حكام لا يملكون من أمر الحكم إلا مظهره (٢) . فقد خلف أبا الجيش ابنه ويدعى عبد الله وقيل زياد ، وكان طفلا فتولت كفالته أخته بمعاونة عبد لأبيها يدعى رشيد. وكان لرشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى الحسين بن سلامة (٣) قام بأمر الوزارة لابن أبى الجيش وأخته بعد وفاة مولاه رشيد . وكانت دولة بنى زياد قد تقلصت أطرافها وتغلب ولاة الحصون على ما تحت أيديهم منها ، فشن الحسين بن سلامة عليهم حربا وتمكن من استعادة معظم دولة بنى زياد

---

(١) انظر ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٤٩ — ٦١.

(٢) Kay : Yaman, p. 235.

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ص ٦ .

الأولى (١) . ومات ابن سلامة سنة ٤٠١ هـ / ١٠١١ م بعد أن حكم البلاد كوزير ما يقرب من ثلاثين عاما (٢) . ثم انتقل الملك في أواخر أيام دولة بنى زياد إلى طفل آخر اسمه عبد الله وقيل ابراهيم (٣) . وهو آخر ملوك بنى زياد — وقد تولت كفالته عمته وعاونها أحد عبيد الحسين بن سلامة ويدعى مرجان . ولكن الأمور لم تلبث أن تفاقمت واشتد الصراع بين رجال البلاط الزيادى ، كل يبغى السلطة لنفسه ، وانتهى الأمر بمقتل هذا الطفل سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م . وبمقتله انتهت دولة بنى زياد بعد حكم دام مائتى سنة وخمس سنين .

الموقف في اليمن بعد سقوط دولة بنى زياد :

لما سقطت دولة بنى زياد ساد البلاد جو من الفوضى والاضطراب ، واستغل ولاة بنى زياد ذلك الموقف ، فاستقل كل منهم بحكم المنطقة التى كان يتولى أمر الحكم فيها من قبلهم ، فتغلب بنو معن على عدن وأبين ولحج والشحر وحضرموت ، واستقل بنو الكرندى على حصون السمدان وصبر وذخر والتعكر ومخاليف الجند وعنه والمعافر ، واستولى بنو الأصبح على حصون جب وعزان وبيت عز والشعر بوادى السحول ، تغلب بنو التبعى على حصنى خدد والشوافي ، واستقل بنو وائل بحصن وحاظة ، واستولى قوم من بكيل على حصون أشيح ووصاب ومخاليفها ، كما استولى على صنعاء ومخاليفها قوم من همدان ، وتغلب بنو عبد الواحد على أعمال برع والقمد

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٢٨ .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ص ٧ .

(٣) عمارة : المصدر السابق ص ١١ ، ١٠٧

Kay : op. cit. p. 235.

وحصن مسار من بلاد حراز (١) . أما موالى بنى زياد فقد دخلوا فى صراع استمر ثلاث سنوات إلى أن تمكن عبد من عبيدهم يسمى نجاح من التخلص فى النهاية من منافسيه ، نفيس ومرجان (٢) ، ودخل زبيد عاصمة بنى زياد فى ذى القعدة سنة ٤١٢ هـ / فبراير ١٠٢٢ م واستولى على مقاليد الحكم وأسس دولة بنى نجاح فى تهامة .

قيام الصراع المذهبى بين بنى نجاح والصليحيين :

لقد حملت دولة بنى نجاح لواء السنة فى اليمن بعد بنى زياد ، وبفضل مجهودات فقهاء السنة التفت الجماهير حول بنى نجاح الأحباش (٣) الذين

---

(١) عمارة : تاريخ اليمن : ص ١٢ ــ ١٤ .

(٢) كان لمرجان عبدين أحدهما يدعى نفيس والثانى نجاح ، وكان مرجان يميل الى نفيس فجعل الملك فى كفالته وأنزله معه فى زبيد ، أما نجاح فقد تولى سائر الأعمال خارجها ، ووقع التنافس بين نفيس ونجاح ، وكانت عمة آبن زياد تميل الى نجاح وتكاتبه ، فقبض مرجان عليها وعلى ابن أخيها ــ آخر بنى زياد ــ وبنى عليهما جدارا ، فثار نجاح لذلك وزحف بعسكره الى زبيد وهزم نفيسا وقتله ومولاه مرجان مكان القاتل وعمته (عمارة : تاريخ اليمن ص ١١ ــ ١٢ ، ١٠٧) .

(٣) ذكر ابن الديبع أن بنى نجاح وان كانوا عبيداً أحباشة فلم تكن العرب تفوتهم فى الحسب الا بالنسب ، والا فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة (قرة العيون ص ٨٢) ولهم المفاخر المأثورة وفيهم فضلاء وعلماء (أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ١٨٩) وكان نجاح ــ رأس الدولة ــ عبدا حبشيا من موالى بنى زياد . ومن المعروف أن العلاقات بين اليمن والحبشة قديمة ، ذلك أن البحر الأحمر ــ الى جانب هدوئه النسبى ــ فانه يأخذ فى الضيق كلما اتجهنا جنوبا حتى ليكاد شاطئاه يلتقيان عند باب المندب . وكانت التجارة الحبشية تأخذ طريقها عبر اليمن الى الشام ــ

أصبحوا في نظرهم حماة المذهب السنى باليمن . ومن ناحية أخرى فقد كان للانقسام والتصدع الذى أعقب سقوط دولة بنى زياد أثره فى دفع نشاط دعاة الشيعة إلى الأمام مرة ثانية .

وهكذا فقد استغل الداعى على بن محمد الصليحى تلك الظروف فى نشر الدعوة الاسماعيلية سراً — وكان على اتصال بمركز الدعوة فى مصر — فلما كثر أتباعه، كون منهم جيشا ثم بعث للخليفة الفاطمى بمصر يستأذنه فى إظهار الدعوة، فلما أذن له(١) استولى على جبل مسار فى منطقة حراز فى جمادى الأولى سنة ٤٣٩ هـ/ اكتوبر ١٠٤٧م وعمل على تحصينه وبدأ فى التوسع على حساب المناطق المجاورة . ثم لم تلبث أن ساءت العلاقات بينه وبين صاحب صنعاء من بنى يعفر ، فحاربه الصليحى واستولى منه على صنعاء واتخذها عاصمة لدولته . وهكذا نجح الداعى على بن محمد الصليحى فى إقامة الدولة الصليحية (٢)

— وغيرها (الحيمى : سيرة الحبشة ، المقدمة ص ٥ ، ٢٤ ، ٤٦) وقد تمكن الأحباش قبل الاسلام من الاستيلاء على اليمن وجعلها ولاية حبشية أكثر من مرة (ى . هـ. ل : الحضاره العربية ص ٦) فقد استولى ابرهة عليها سنة ٥٣٠ م ولكنه لم يستطع التقدم الى ما وراء مكة (بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٤ — ١٥) حيث ارغمت القوات الحبشية على الانسحاب والعودة عبر البحر الى بلادها (أرشيبالد . لويس : القوى البحرية ، ترجمة أحمد محمد غيسى ص ٥٣) وهكذا تخلصت اليمن سنة ٥٧٠ م من النفوذ الحبشى ولم تلبث أن أصبحت اليمن ولاية إسلامية . ولم تنقطع الصلة بينها وبين الحبشة حيث أخذ كثير من اليمنيين يهاجرون الى السواحل الشرقية للحبشة من أجل التوطن والتجارة (سيرة الحبشة ص ٦٦) وخاصة تجارة الرقيق الاتنفاع بهم فى فلاحة الأرض (سيرة الحبشة ٤٦) .

(١) الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٤٣ .

(٢) عن الدولة الصليحية انظر ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود :الصليحيون —

الإسماعيلية التي امتدت من صنعاء شمالا إلى عدن في أقصى الجنوب (١)، واستمرت قرابة قرن من الزمان من سنة ٤٣٩ – ٥٣٢ هـ/ ١٠٤٧ – ١١٢٧م.

كان الصليحي يخشى نجاحا صاحب تهامة، ويرى فيه خطرا كبيرا على دعوته ولهذا عمد إلى ملاطفته في الظاهر حتى يكتسب وده، ولكنه كان يعمل في الخفاء للتخلص منه ويتحين الفرص لتنفيذ ذلك. ومما يذكر أنه لما استولى الصليحي على صنعاء من بني يعفر أحس الإمام الزيدي أبو الفتح (٢) بالخطر يتهدده، فأرسل إلى نجاح صاحب زبيد السني يحذره من خطر الصليحي ويستنهضه لمحاربته وامتلاك صنعاء منه. فكانت تلك المراسلات سببا في وقوع الحرب بين الصليحي والامام، وانتهت بمقتـــل الامام سنة ٤٤٠ هـ (٣) / ١٠٤٨ م. ومن ناحية أخرى فقد أفسدت تلك الاتصالات العلاقات بين الصليحي ونجاح، ولجأ الصليحي إلى الحيلة للقضاء على نجاح ودولته، بأن

= والحركة الفاطمية في اليمن، وحسن سليمان محمود: الصليحيون في اليمن وعلاقاتهم بمصر، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة.

(١) العبدلي، أحمد فضل بن علي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ص ٥٣، (استولي الصليحي على عدن من بني معن، ثم أبقاهم عليها مقابل جزية سنوية) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ٦٣.

(٢) هو الامام أبو الفتح الناصر الديلمي بن الحسين بن محمـــد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالديلمي (زبارة: اتحاف المهتدين ص ٥١) وكانت دعوته سنة ٤٣٠ هـ وهو الذي اختط حصن ظفار (العرشي: بلوغ المرام ص ٣٦).

(٣) حسين الهمداني وحسن سليمان محمود: نفس المرجع ص ٨٢.

أهداه جارية حسناء استطاعت أن تسمه سنة ٤٥٢ هـ (١) / ١٠٦٠ م . فأدى ذلك إلى اختلال دولة بنى نجاح وتمكن الصليحى من الاستيلاء عليها سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٢ م ، وفر بنو نجاح إلى جزيرة دهلك (٢) فى البحر الأحمر .

ومع ذلك ، لم ينته الصراع بين الدولتين الصليحية والنجاحية عند حد التخلص من نجاح والاستيلاء على دولته ، فقد تربص سعيد وجياش إبنا نجاح للصليحى ، وتمكنا من اغتياله (٣) عندما كان فى طريقه لأداء فريضة الحج عام ٤٥٩ هـ / ١٠٠٧ م ، وأسرا زوجته (٤) ، واستعادا ملك أبيهما . فلما تولى المكرم بن على الصليحى الحكم بعد مقتل أبيه ، لم يلبث أن تجهز فى جيش كبير استولى به على ملك بنى نجاح مرة أخرى ، وخلص أمه من الأسر (٥) ، وفر بنو نجاح ثانية إلى جزيرة دهلك (٦) ، وظلوا يتحينون الفرصة حتى تمكنوا من استعادة دولتهم سنة ٤٧٩ هـ (٧) ١٠٨٦ م .

وهكذا ظل الصراع بين الصليحيين والنجاحيين مستمرا ، وأخذ كل من

(١) الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ـ مخطوط ـ ص ١٣٠ .
Lane-Poole : Mohammadan Dynasties p. 92.

(٢) الخزرجى : المصدر السابق ص ١٣٠ ، العرشى : بلوغ المرام ص ١٥ (دهلك جزيرة فى البحر الأحمر ، وهى مرسى بين اليمن والحبشة ، وقد اتخذها بنو أمية منفى لمن يسخطون عليهم (مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٥٤٦).

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ص ٢٢ .

(٤) الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٥٣ .

(٥) العرشى : بلوغ المرام ص ١٦ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ١٣٢ .

(٧) الخزرجى : المصدر السابق ص ١٣٣ ، العرشى : بلوغ المرام ص ١٦ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٥٤ .

الطرفين يدبر للقضاء على الطرف الآخر . ونجحت الملكة الصليحية السيدة الحرة أروى بنت أحمد فى التخلص من سعيد بن نجاح - رأس الدولة النجاحية - بقتله (١) سنة ٤٨١ هـ (٢) / ١٠٨٨ م . واستولت على دولته للمرة الثالثة . وكالمعتاد فر أخوه جياش ، ثم لم يلبث أن عاد متخفيا إلى زبيد ، وأخذ يتصل بأعوانه وأتباعه سرا ، وعمل على إعادة تنظيم صفوفهم ، وحظى بتأييد أهل زبيد عامة (٣) . فلما قوى أمره ، تمكن من طرد والى الصليحيين منها . وظل جياش قائما بأمر الملك ، وفشلت جميع المحاولات التى بذلها الصليحيون للقضاء عليه (٤) .

فلما توفى جياش بن نجاح سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م خلفه ابنه فاتك ، إلا أن الانقسام دب بينه وبين أخويه ابراهيم وعبد الواحد ، وتطور الخلاف بينهم إلى حرب (٥) فلما توفى فاتك سنة ٥٠٣ هـ (٦) / ١١٠٩م ، خلفه ابنه منصور - وكان صغيرا - فزاد الطمع فيه ، وأسرع عمه ابراهيم بن جياش بعسكره للاستيلاء على مقاليد الحكم منه . وفى خضم تلك الحوادث استغل عبد الواحد ابن جياش الموقف - وكان موجودا فى زبيد - واستولى على المدينة . ولم

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ص ٦٣ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٣٣ ، الجرافى : المقتطف ص ٦٣ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٤) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ١٥٤ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٤ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ١٣٧ ، ١٤٠ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٥ ، العرشى : بلوغ المرام ص ١٦ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٥٤ ؛ الجرافى : المقتطف ص ٦٦ .

يستطع منصور بن فاتك بن جياش العودة إلى ملكه ، ولم يجد بدا من الاستنجاد بالملكة الصليحية السيدة الحرة أروى بنت أحمد ضد عمه عبدالواحد، وتعهد لها بربع خراج بلاده ، فاستجابت الملكة الصليحية له وأمدته بجيش بقيادة نائبها على حصن التعكر (١) المفضل بن أبي البركات ، الذي استطاع دخول زبيد سنة ٥٠٤ هـ (٢) / ١١١٠ م .

واذا كان منصور بن فاتك قد استعان بالدولة الصليحية ـ العدو التقليدي لبني نجاح ـ فلم يكن من المستغرب أن تتجدد المطامع الصليحية من جديد ، ولهذا قرر المفضل بن أبي البركات الغدر بمنصور بن فاتك ، وأضمر الاستيلاء على ملكه ، ولذلك تباطأ في تسليمه المدينة (٣) . غير أن المفضل أجبر على التخلي عن زبيد وغادرها عندما بلغه نبأ استيلاء جماعة من الثوار على حصنه ، ولهذا أسرع بالعودة لاستعادة حصن التعكر (٤) ، فتمكن منصور بن فاتك من العودة بدوره الى عاصمة دولته زبيد ، واستقر بها إلى أن مات مسموما سنة ٥١٧ هـ (٥) / ١١٢٣ م . فتولى فاتك بن منصور الملك بعد أبيه ، فلما مات سنة ٥٣١ هـ (٦) / ١١٣٦ م خلفه ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش ـ وكان ضعيفا ـ فتولى أمر الوزارة له أحد مواليه ويدعى سرور الفاتكي .

---

(١) التعكر : قلعة حصينة في مخلاف جعفر تطل على مدينة ذي جبلة (ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ ٢ ص ١٦٦) وليس في اليمن قلعة أحصن منها (ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٩٤).

(٢) الخزرجي : العسجد ص ١٣٨.

(٣) حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ١٦٤.

(٤) الخزرجي : نفس المصدر ص ١٣٨ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٥.

(٥) عمارة . تاريخ اليمن ص ١١٤ .

(٦) الخزرجي : العسجد ص ١٣٨ ، ابن عبد المجيد : الزبهجة من ص ٦٥.

نتائج الصراع بين الصليحيين وبنى نجاح :

سقوط الدولة الصليحية :

لقد شغلت الدعوة الإسماعيلية أيام الصليحيين فى صراع طويل ضد القوى السنية ممثلة فى دولة بنى نجـاح ، فكان لذلك أثره الـكبير فى إضعاف هاتين القوتين ، وهكذا فقد كانت عوامل الانحلال والضعف أقوى من أن تقاوم الدولة الصليحية تيارها . فخـرج حاتم بن الغشم المغسلى الهمـدانى بصنعاء وأعمالها سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، وقبلت الملـكة الصليحية ـ التى كانت قـد نقلت عاصمة مملكتها إلى ذى جبلة ـ بالأمر الواقع ، ولم تحـاول استردادها ، وكان بنو زريع قد تولوا حكم عدن نيـابة عن الصليحيين (١) سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م ثم قوى أمرهم واستقلوا بحكمها . كما استولى المفضل بن أبى البركات ابن الوليد الحميرى على حصن التعكر واستقل به (٢) .

ولقد حافظت الدولة الصليحية على الولاء للفاطميين بمصر ، وكانوا على اتصال بمركز الدعوة فيها . فلمـا تعقدت الأمـور فى اليمن أرسلت الملـكة الحرة إلى الخليفة الفاطمى الآمر بالله بن المستعلى تخبرة بأحـــوال البلاد ، فأرسل إليها الأمير الموفق على بن ابراهيم بن نجيب الدولة سنة ٥١٣هـ/ ١١٠٩م لمعاونتها فى تدبير شئون دولتها ، والعمل على استعادة نشاط الدعوة الإسماعيلية فيها . وتقلد ابن نجيب الدولة إمرة الجيش الصليحى ، ولكنه فشل فى القضاء على منافسة الدولة النجاحية .

---

(١) من أخبار دولة بنى زريع انظر ص ٥١ وما بعدها

(٢) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ١٦٢ وما بعدها .

وكنتيجة لمقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م واختفاء ابنه الصغير الطيب استقلت الدولة الصليحية وانفصلت عن سيطـرة الفـاطميين فى مصر انفصالا تاما (١) ، وأصبحت الدعوة عند الصليحيين للامام المستـور الطيب ابن الآمر (٢) ، ورفضت الملكة الصليحية الدعوة للخليفة الحافظ لأنها اعتبرته مغتصبا للخلافة . فلمـا زالت الدولة الصليحية بوفاتهـا سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م انتقلت الدعوة الطيبية إلى بنى حاتم فى صنعاء . أما بنو زريع فى عدن ، فقد تمسكوا بالتبعية لمصر وأصبحت الدعوة فيها للحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمـد بن المستنصر ، وهكذا انقسمت الدعوة الإسماعيلية فى اليمن (٣) .

سقوط دولة بنى نجاح :

لم تكد دولة بنى نجاح تتخلص من منافسة الدولة الصليحية بسقوطها ، حتى برزت إلى مسرح الأحداث قوة منافسة جديدة ، وهي حركة على بن مهدى الخارجى (٤) . وكان ظهوره سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ، وقد تجمع النـاس من حوله وقويت بهم شوكته ، وطمع فى الاستيلاء على الدولة النجاحية . وتمـكن أحد أتباعه من اغتيـال سرور الفاتكى ـ وزير الملك فاتك بن محمـد ـ سنة

---

(١) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٢٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) محمد كامل حسين : دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ص ٧ .

(٣) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص ٢٧٠ (للاطلاع على مزيد من المعلومات عن الانقسام الذى أعقب مقتـل الآمر ، انظـر ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٧١ ـ ٧٤ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطميـة ص ٨٨ ـ ٨٩ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٤٨ وما بعدها) .

(٤) عن دولة بنى مهدى ، انظر ص ٥٩ وما بعدها .

٥٥١ هـ (١) / ١١٥٦م فشغل رجال البلاط بأمر الوزارة (٢) ، وعندئذ اغتنم علي بن مهدي تلك الفرصة، وزحف بجموعه إلى زبيد ولكن أهلها استبسلوا في الدفاع عنها ، حتى قيل أنه « لم تصبر أمة على الحصار والقتال ماصبر أهل زبيد ، وذلك أنهم قاتلوا ابن مهدي إثنين وسبعين زحفا ، يقتل منهم ما يقتل ، ونالهم الجوع حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء» (٣). فلما طال الحصار والقتال عليهم استنجدوا بالإمام الزيدي أحمد بن سليمان (٤)، فاشترط عليهم -مقابل حمايتهم من مخاطر ابن مهدي - الخضوع لحكمه وقتل ملكهم فاتك بن محمد ابن فاتك فلما بدأوا في تنفيذ تلك الشروط بقتل فاتك سنة ٥٥٣ (٥)/ ١١٥٨م، جاءهم الامام من صعده لمساعدتهم ضد ابن مهدي ، ولكنه لم يبق طويلا في زبيد وعاد إلى بلاده بعد ستة أيام، بحجة عدم إخلاص أهل زبيد له ، وإغلاقهم أبواب مدينهم دونه وحالوا بينه وبين العودة إليها بعد خروجه لقتال ابن مهدي(٦). وقيل إنما اضطر للعودة إلى صعدة عندما خالفه أتباعه من رجال

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ١٥٤ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٩ ، العقيلي: المخلاف السليماني جـ ١ ص ١٦١.

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩١ ، بغية المستفيد ورقة ٩أ.

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ص ٩٥ - ٩٦ .

(٤) هو الامام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي ابن الناصر أحمد بن الهادي الى الحق يحيى بن الحسين . قام بأمر الامامة سنة ٥٣٢ هـ في صعدة ونجران والجوف وبلاد الظاهر (الجرافي : المقتطف ص ١١٤) .

(٥) الخزرجي : العسجد ص ١٦٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ ، الكبسي: اللطائف ص ٢٥ ب.

(٦) العرشي : بلوغ المرام ص ١٧ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٥٥.

قبيلة جنب (١) ، وعجز عن السيطرة عليهم .

ومهما يكن من شيء، فلم يتمكن الإمام من نصرة أهل زبيد(٢) ، بل كان هو وجنوده عبئا جديدا على أهلها لالتزامهم بالقيام بمئونتهم ، مما قلل من مقدرة بني نجاح على الصمود للحصار . وهكذا انتهز علي بن مهدي تلك الظروف وشدد حصاره على المدينة وقاتل أهلها حتى تمكن في نهاية الأمر من الاستيلاء عليها قهرا في رجب سنة ٥٥٠ هـ / يوليه ١١٥٩ م وقضى على دولة بني نجاح(٣) .

الحالة السياسية قبيل الفتح الأيوبي :

لقد أعقب سقوط الدولة الصليحية قيام دولتي بني زريع (٤) وبني حاتم (٥) الشيعيتين على أنقاضها . كما قامت دولة بني مهدي الخارجي(٦) على

---

(١) الكبسي : اللطائف السنية ورقة ٢٥ ب — ٢٦ أ .

(٢) الخزرجي : العسجد ص ١٥٥ ، ١٦٣ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٥٢ .

(٣) الخزرجي : المصدر السابق ص ١٥٥ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٠، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨١.

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 92.

(٤) هم بنو الذيب من يام ، وهم أولاد المكرم و يام (العرشي : بلوغ المرام ص٢٧ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص١٦٥) وهم بعد بني الصليحي أكثر العرب عزا وسلطانا (الخزرجي: العسجد ص ١١٩ ، الشرقي : اللآلي المضية جـ ٢ص١٢١أ . وانظر الصفحة التالية)

(٥) انظر ص ٥٦ وما بعدها.

(٦) انظر ص ٥٩ وما بعدها.

أنقاض دولة بنى نجاح . وتمثل تلك الدويلات مرحلة جديدة من مراحل الصراع المتصل فى اليمن ، والناتج عن عدم وجود وحدة سياسية تجمع شتات ذلك البلد . وعلى الرغم من الصراع الدائر بين تلك القوى، إلا أنه كان يجمع بينها عامل مشترك ، وهو الرغبة فى القضاء على مذهب أهل السنة فى اليمن ، والتخلص نهائيا من أية تبعية للخلافة العباسية . ومن الجدير بالذكر أن تلك القوى لم تكن وحدها هناك ، بل كانت توجد قوى أخرى ، وإن لم يكن لها وزن كبير على مسرح الأحداث اليمنية وقتذاك، فالقوى الزيدية كانت قد ركنت إلى الهدوء بعد وفاة الإمام الزيدى أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠ م ، لعدم قيام إمام من بعده حتى مجيء الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٤هـ (١) / ١١٩٨م .

دولة بنى زريع فى عدن (٤٦٧ – ٥٦٩هـ / ١٠٧٥ – ١١٧٤ م) :

كان بنو زريع – فى بداية أمرهم – نوابا للصليحيين على عدن (٢). فلقد قام المكرم بن على بن محمد الصليحى بإسناد ولاية عدن إلى مسعود والعباس ابنى المكرم الهمدانى – جد الزريعيين – بعد خلع بنى معن عنها (٣) سنة ٤٦٧هـ/

(١) انظر الفصل الخامس

(٢) انظر ص ٤٤ حاشية ١ ، ص ٤٨ .

(٣) كان بنو معن عمالا لبنى زياد على عدن ، (انظر ص ٤٤ حاشية ١) فلما سقطت دولة بنى زياد : استقل بنو معن بحكم عدن ، وظلوا مسيطرين عليها حتى ملكها ثم على ابن محمد الصليحى (حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ٦٣) ولكنه أبقاهم على حكمها نيابة عنه (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ٤١ ٥ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ ١ ص ١٢١ ، الخزرجى : العسجد ص ١٥٥ ، الأهدل : هدية الزمن ص ٥٣) نظير جزية سنوية مقدارها مائة ألف دينار ، ولما تزوج المكرم بن على الصليحى يابنة عمه السيدة الحرة أروى بنت أحمد جعل أبوه صداقها خراج عدن (العرشى : بلوغ =

١٠٧٥م ، وذلك لثقته فيهما لما لهما من جهود كبيرة فى القيام بالدعوة للمذهب الإسماعيلي مع أبيه(١). ولقد حافظ مسعود والعباس على الولاء للدولة الصليحية وظلا يبعثان بالخراج السنوى ـ ومقداره مائة ألف دينار ـ في موعده (٢) . فلما توفي العباس بن المكرم وخلفه ابنه زريع (٣) امتنع هو وعمه المسعود عن إرسال الخـــراج بعد وفاة المكرم الصليحى . ولكن الملكة الحرة أروى بنت أحمد ـ زوجة المكرم والتي انفردت بأمر الحكم من بعده ـ جهزت جيشا بقيادة المفضل بن أبي البركات لمحاربتهما ، وانتهى الأمر بالاكتفاء بنصف الخراج (٤) .

ومهما يكن من شيء فقد استمر ولاء الزريعيين للدولة الصليحية ، وظهر

= المرام ص ٢٧ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٦٥) فلما قتل على بن محمد الصليحي؟ امتنع بنو معن عن ارسال الخراج ، وتغلبوا على عدن (الخزرجى : العسجـــد ص ١٠٥) فحاربهم المكرم الصليحى وأخرجهم منها . وولاها العباس والمسعود ابنى المكرم الهمدانى (الخزرجى : العسجد ص ١٠٥ ، بامخرمة تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ٤١ ، العرشى : بلوغ المرام ص ٢٧ ، العبدلى : هدية الزمن ص ٥٤ ، الواسعى: تاريخ اليمن ص ١٦٥ ، الجرافى : المقتطف ص ٦٩ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ١٦٤ ،

Kay : Yaman, pp. 268 - 69, 308.

(١) عمارة : تاريخ اليمن ص ٤٨ .

(٢) عمارة : المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠٢ ،

Kay : op. cit. p. 268.

(٤) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ ١ ص ١٢٣ ، بامخرمة : ثغـــر عدن جـ ١ ص ٤١ ، العرشى : بلوغ المرام ص ٢٧ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ٦٥ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠٢ .

ذلك واضحا فى استجابة مسعود وزريع لدعوة الملكة الصليحية بالانضمام إلى صفوف الجيش الصليحي بقيادة المفضل بن أبى البركات ، عندما توجه سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م لنصرة منصور بن جياش بن نجـاح ، وإعادته إلى ملكه . ومهما قيل عن أطماع الملكة الصليحية فى دولة بنى نجاح(١) ، فقد انتهت تلك الموقعة بمقتل زريع وعمه مسعود (٢) ، وانتقل أمر عدن بعدهما إلى ولديهما ، أبى السعود بن زريع وأبى الغارات بن مسعود ، فما كان منهما إلا أن طمعا فى نصف خراج عـدن ، وامتنعا عن إرساله إلى الملكة الصليحية ، وأخيرا تم التوصل إلى مصالحتهما على الربع فقط (٣) فكانا يرسلانه إليها كل عام (٤) ، فلما ضعف أمر الدولة الصليحية امتنعا نهائيـا عن إرسال الخراج واستقلا بملك عدن .

وهكذا استقامت الأمور لبنى زريع فى عـدن ، فلما صار أمرها إلى سبأ ابن أبى السعود بن زريع وعلى بن أبى الغارات بن مسعود قامت الفتنة بينهما ، وانتصر سبأ على شريكه ومنافسه وانفرد بملك عدن(٥) . فلما توفى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م خلفه ابنه على الأعز ، وأرسل إلى الخليفة الفاطمى الحافظ يطلب منه تقليده أمر الدعوة الحافظية ، ولكنه لم يعمر طويلا حيث مات سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م . فلما

---

(١) عن الصراع بين الدولة الصليحية ودولة بنى نجاح ، انظر ص ٤٢ وما بعدها .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ص ٤٩ ، الخزرجي : العسجـد ص ١٠٦ ، العبدلى : هدية الزمن ص ٥٥ ، Kay : Yaman, p. 268

(٤) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ ١ ص ١٢٣ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ١ ص ٤١ .

(٤) الخزرجى : العسجد ص ١٠٦ ، Kay : op. cit. pp. 269

(٥) الخزرجى : المصدر السابق ص ١٠٧ .

استولى أخوه محمد بن سبأ على عدن من بعده ، تصادف مجيء رسول الخليفة بالتقليد الذى طلبه على بن سبأ ، فلما وجده قد توفى قلد أمر الدعوة لأخيه محمد بن سبأ (١) .

وقد قوى نفوذ محمد بن سبأ واتسعت دولة بنى زريع في عهده ، ففى عام ٥٤٧هـ /١١٥٢م اشترى المعاقل والحصون التى كانت تحت سيطرة منصور ابن المفضل بن أبى البركات ــ وهي ثمانية وعشرين معقلا مابين مدينة وحصن ــ بمائة ألف دينار (٢) . ولما توفى ابن سبأ عام ٥٤٨هـ (٣)/ ١١٥٣م وخلفه ابنه عمران ، بدأت دولة بنى زريع فى الضعف فى عهده(٤) . فلما توفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م ، وكان له ثلاثة أطفال ، قام بكفالتهم أحد مواليه ويعرف بأبى الدر جوهر المعظمى ، فظل هذا مقيما بهم فى حصن الدملوة ، وتولى الحكم فى عدن نيابة عنهم أحد أتباعه ويدعى ياسر بن بلال بن جرير (٥) .

ومع بداية النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، زاد نفوذ على

---

(١) الخزرجى :العسجد ص ١١٠ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦١ ،بامخرمة: ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٧ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ص ٥٦ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان : الصليحيون ص ٢٤١ ، حسن سليمان محمود : الملكة اروى ص ١١١ (وكانت هذه الحصون قد انتقلت الى منصور بن المفضل بعد وفاة الملكة الصليحية أروى بنت أحمد) . ابن الديبع : قرة العيون ص ٥٢ .

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ص ٥٧ .

(٤) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى ص ١٠٤ .

(٥) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٨٧ .

ابن مهدى، وتمكن سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م من تأسيس دولته ، وعمل على توسيع رقعتها بالاستيلاء على عدن ، وكانت آخر تلك المحاولات سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، ولكن محاولاته باءت بالفشل لمساندة بنى حاتم ونجدتهم لبنى زريع . ولم يمض وقت طويل حتى جاء الأيوبيون واستولوا على دولة بنى زريع سنة ٥٦٩ هـ (١)/ ١١٧٤م .

دولة بنى حاتم فى صنعاء (٥٣٣ – ٥٦٩هـ/١١٣٨ – ١١٧٤م) :

يعتبر حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى هو المؤسس الحقيقى لدولة بنى حاتم فى اليمن، وكان جده عمران بن الفضل قد تولى حكم صنعاء نيابة عن المكرم بن على الصليحى عندما نقل مقر عاصمة دولته إلى مدينة ذى جبلة(٢) . فلما توفى عمران سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م خلفه سبأ بن أحمد ابن المظفر الصليحى(٣) ، فلما مات سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م استطاع حاتم بن الغشم المغلسى الهمدانى بمعاونة قبائل همدان أن يستولى على صنعاء (٤) ، وإلى حاتم هذا ينسب المؤرخون دولة بنى حاتم إليه خطأ .

وهكذا خرجت صنعاء عن حكم الصليحيين ، ولم تحرك الملكة الصليحية

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ١١٨ .
Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 97.

(٢) ذى جبلة مدينة بمخلاف جعفر فى الجنوب الغربى من مدينة إب (الواسعى : البدر المزين للحزن ص ٢٢) اختطها السلطان عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٧ هـ فى سفح جبل التعكر ، وتسمى بمدينة النهرين (ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٢٤).

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ .

(٤) الجرافى : المقتطف ص ٧١ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ١٦١ ، ٢٣٩ .

السيدة الحرة أروى بنت أحمد لاستردادها وقبلت بالأمر الواقع وأصبحت صنعاء ولاية مستقلة تحت حكم حاتم بن الغشم[١]. فلما توفى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، خلفه ولداه عبد الله ثم معن الذى خلعته همدان [٢] فى شهر صفر سنة ٥١٠هـ[٣]/ ١١١٦م، وأقيم بعده رجل من بنى القبيب الهمدانيين. فلما كانت سنة ٥١٢هـ/ ١١٣م اجتمعت قبائل همدان واختارت حاتم بن احمد بن عمران ابن الفضل اليامى الهمدانى، وحملته على القيام بالأمر ونصبته سلطانا على صنعاء وأعمالها، فدخلها فى سبعمائة فارس وملكها [٤].

الإمام الزيدى وموقفه من قيام دولة بنى حاتم :

لقد صادف قيام دولة بنى حاتم فى صنعاء قيام الإمام أحمد بن سليمان بأمر الإمامة [٥] سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، وكان قد امتد نفوذه حتى شمل نجران وصعدة والجوف وبلاد الظاهر شمالى صنعاء. فلما استولى حاتم بن أحمد على صنعاء سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م، أصبح يشكل خطرا على دولة الإمام الواقعة إلى الشمال من دولة بنى حاتم، ولهذا أراد الإمام أن يؤمن حدود بلاده بالإستيلاء على صنعاء والتخلص من دولة حاتم بن أحمد ـ وكان قد تجمع حول الإمام كثير من القبائل ـ فتوجه فى جيش كبير إلى صنعاء واستولى عليها

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٩١، Kay : Yaman; p. 230

(٢) حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : نفس المرجع ص٢٣٩.

(٣) الخزرجى : نفس المصدر ص ٩٣.

(٤) العرشى : بلوغ المرام ص ٢٩ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٦٦.

(٥) عن الدولة الزيدية، انظر ص٣٤ وما بعدها.

عنوة سنة ٥٤٥هـ(١)/١١٥٠م. ومع نشوة النصر انصرفت جموع الإمام وعادت إلى بلادها ، فانتهز حاتم الفرصة واسترد صنعاء من الإمام (٢) .

وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م تولى علي بن حاتم مقاليد الحكم بعد وفاة أبيه(٣)، غير أنه لم يحظ بتأييد قبائل همدان(٤) الذين دفعهم عدم رضائهم عنه إلى مبايعة رجل آخر (٥) ، فحاربهم علي بن حاتم دفاعا عن دولته ، ولكن الحرب أسفرت عن مقتل أخيه عمران ، فاضطربت قبائل همدان لمقتله خشية انتقام علي بن حاتم ، ولكنه تصرف تصرفا حكيما عندما وهبهم دمه (٦) ، فدانوا له بالطاعة وقويت بهم شوكته (٧) .

لم يكد علي بن حاتم يتخلص من معارضة قبائل همدان له ويضمن ولاءها حتى ابدأ في العمل على توطيد دعائم ملكه ، فأخذ في تحصين معاقله ، واستولى على حصون ذمرمر وكوكبان والعروس وبراش والظفر والفـدة وبكر

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ٩٥ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٣٨ ،
Kay : Yaman, p. 317.

(٢) الخزرجي : المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٦ أ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٦٦ ، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود: نفس المرجع ص ٢٣٩ .

(٤) ابن رسول ، الملك الأشرف أبو العباس اسماعيل : فاكهة الزمن (مخطوط) ص ١٨٠ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ٦٣ .

(٥) الخزرجي : العسجد ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكبسي : نفس المصدر ص ٢٦أ ، يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٢ .

(٦) الخزرجي : نفس المصدر ص ١٠٢ ، ابن رسول : نفس المصدر ص ١٨٢ .

(٧) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٦٣ .

ـ وجميعها من نواحى صنعاء ـ كما استولى على بلاد الظاهر والجوف وصعدة[1] من الإمام أحمد بن سليمان .

ومع ظهور قوة بنى حاتم فى صنعاء وما يليها شمالا ، كان على بن مهدى قد استطاع التخلص من دولة بنى نجاح سنة ٥٥٤ هـ/١١٥٩م ، وبدأ يهدد دويلات اليمن الأخرى بغية القضاء عليها وتوسيع رقعة دولته على حسابها . ففى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م أغار على عدن فاستنجد بنو زريع بالسلطان على بن حاتم الذى أسرع لنجدتهم . ولكن ابن مهدى أراد مفاجأة ابن حاتم ، وأخذه على غرة . فتوجه لملاقاته وهو فى طريقه لنصرة بنى زريع فى عدن ، ودارت بينهما معركة كبيرة فى ذى عدينة ـ بالقرب من تعز ـ فى ربيع الأول سنة ٥٦٩هـ ([2]) / أكتوبر ١١٧٣م ، وانتهت المعركة بانتصار ابن حاتم([3]) وهزيمة ابن مهدى وفراره إلى زبيد ([4]) . ولكنه لم يكد يستقر بها حتى كان الفتح الأيوبى لليمن وللقضاء على دولته .

دولة بنى مهدى فى زبيد (٥٥٤ ـ ٥٦٩هـ / ١١٥٩ ـ ١١٧٤م) :

قامت دولة بنى مهدى على أنقاض دولة بنى نجاح ، ومؤسس تلك الدولة هو أبو الحسن على بن مهدى ([5]) . نشأ فى قرية العنبرة من سواحل زبيد ،

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ١٠٢ ، ابن رسول : فاكهة الزمن ص ١٨١ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٢٨ .

(٣) الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣١ ب .

(٤) الجرافى : المقتطف ص ٧٢ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ٢٣٩ .

(٥) هو على بن مهدى بن محمد بن على بن داود بن محمد بن عبد الله بن عبد الجاهر =

وكان يميل إلى العزلة والتمسك بالعبـادة (١) ، وقد واصل الحج بلا انقطاع في السنوات من ٥٣١هـ إلى ٥٣٦هـ (٢) / ١١٣٧ - ١١٤٢م ، فكان يلقى حاج العـراق وعلماءها ووعاظهـا - من السنيين والشيعة - فيباحثهم في علومهم ويتضلع في معارفهم (٣) . وكان يقوم بالوعظ والتفسير في البوادي، فاكتسب ثقة بني نجاح وحظي بعطفهم حتى اتسعت به الحال (٤) . وأخــذ أتباعه يتزايدون ، وذاع صيته فاتصل به قوم من أهل الجبال سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م وبايعوه على النصرة . وفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م انتقل هو وأتباعه إلى حصن الشرف (٥) المطل على وادي زبيد ، وأطلق على أهـل الحصن الأنصــار وعلى من جاء معه المهاجرين (٦) ، وجعل لكل طائفة منهما نقيبا ولقبه بشيخ

= ابن عبد الله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني (العرشي : بلوغ المرام ص ١٧).

(١) عمارة : تاريخ اليمن ص ٩٢ .

(٢) الخزرجي: العسجد ص ١٥٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٩ .

(٣) عمارة : نفس المصدر ص ٩٣ ، الخزرجي: العسجد ص ١٥٦ ، ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٩ .

(٤) عمارة : نفس المصدر ص ٩٢

(٥) الشرف ، قلعة حصينة باليمن تطل على وادي زبيد (ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٨) وهي بين جبال لا يتوصل إليها إلا عن طريق ضيق لا يتسع إلا لرجل واحد يسير فيه لمدة يوم وبعض يوم ، فإذا وصل إلى سفح الجبل الذي فيه الحصن احتاج إلى نصف يوم ليصعد الثقيل حتى يقطع العقبة . ومما يذكر أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بشعاب عظيمة لذا كمنت فيها الجيوش الجرارة شهرا لم يعلم بها أحد (عمــارة : تاريخ اليمن ص ٩٤ ، الخزرجي : العسجد ص ١٥٥ - ١٥٨) .

(٦) عمارة : نفس المصدر ص ٩٤ ، الخزرجي : نفس المصــدر ص ١٥٨ ، ابن الديبع : نفس المصدر ص ٩٠ ، ابن الوردي : تاريخه ج ٢ ص ٦١ .

بشيخ الإسلام ، ولم يكن لغير هذين النقيبين حق الاتصال به (١).

وكان ابن مهدى حنفى المذهب فى الفروع ، خارجيا فى الأصول (٢) ، يرى أن مرتكب الكبيرة كافر (٣) ويجب قتله . وكان يقتـل من خالف اعتقاده من أهل القبلة ويستبيح وطء نساءهم (٤) ، واسترقاق ذراريهم (٥) ، ويجعل دارهم دار حرب (٦) . كما كان يقتل المنهزم من عسكره (٧) ، أو من يشرب الخمر أو يستمع للغناء (٨) ، ومن يزنى أو يتأخر عن صلاة الجمعة ، ومجلس وعظه يومى الاثنين والخميس . « وهذه الرسوم إنما هى فى العسكرية ، أما الرعايا فالأمر فيهم ألطف » (٩) .

اتخذ ابن مهدى من الدين فى بادىء الأمر ستارا يخفى وراءه مطامعه ، ثم

---

(١) عمارة : نفس المصدر ص ٩٤ ، الخزرجى : نفس المصدر ص ١٥٨ ، ابن الديبع : نفس المصدر ص ٩٠ ، ابن الوردى : نفس المصدر ص ٦١ .

(٢) الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ أ (قال بعض المتكلمين : الأصول معرفة البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم ... ومن المعلوم ان الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة فالمعرفة أصل والطاعة فرع . فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان اصوليا ، ومن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فرعيا . والأصول هى موضوع الكلام ، والفروع هى موضوع علم الفقه ») الشهرستانى : الملل والنحل ص ٥٥ .

(٣) ابن الديبع . بغية المستفيد ص ٦ أ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٦ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٢ أ .

(٥) ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ٦٢ .

(٦) عمارة : تاريخ اليمن ص ٩٨ — ٩٩ ، الخزرجى : العسجد ص ١٧٠ .

(٧) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٦ .

(٨) ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ٦١ .

(٩) عمارة : تاريخ اليمن ص ١٠٠ .

استغل ضعف دولة بنى نجاح ، وعمل على التخلص منها ، فدبر مقتل الوزير سرور الفاتكى سنة ٥٥١ هـ [١] / ١١٥٦ م . مما أدى إلى انشغال كبار رجال البلاط وتنافسهم على تولي منصب الوزارة [٢] . فساعدذلك ابن مهـــدى فى تشديد الحصار حول زبيد ، فتقدم بمجموعه إليها سنة ٥٥٣ هـ [٣] / ١١٥٨ م واستبسل أهل زبيد فى الدفاع عنها وصمدوا للحصار ، وجاءهم الإمام أحمد ابن سليمان لنجدتهم طمعا فىالاستيلاء على ملك بنى نجاح [٤] ، ولكنه اضطر للعودة إلى صعدة عندما عجز عن نجدتهم [٥] مما ساعد ابن مهدى على إحكام الحصار حتى استطاع أن يستولى علىزبيد قهرا فى اليوم الرابع عشر من رجب سنة ٥٥٤ هـ [٦] / أغسطس ١١٥٩ م وقضى على دولة بنى نجاح .

لم يبق على بن مهدى طويلا ، إذ توفى فى السادس من شـــوال سنة ٥٥٤ هـ [٧] / أكتوبر ١١٥٩ م أى بعد شهرين وإحدى وعشرين يوما من قيام دولته ، ودفن بالموضع المعروف بالمشهد فى زبيـــد ، حيث بنى أولاده

---

(١) الخزرجى : نفس المصدر ص ١٥٤ ، ١٦٢ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمـن ص ٦٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩١ ، العقيلى : المخلاف السليمانى جـ ١ ص ١٦٠ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٦٢ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ أ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٢٥ .

(٤) انظر ، سقوط دولة بنى نجاح ص ٤٠٩ وما بعدها .

(٥) بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٣٨ .

(٦) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٦ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ أ ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ٦١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩ .

(٧) الخزرجى : العسجد ص ١٦٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ .

مسجدا جامعا في ذلك المكان (١) ، وبنوا على قبره قبة — لم يعمل مثلها في الإسلام — إذ صفحت جدرانها بالذهب والجواهر وستائر الحرير (٢).

لقد اتخذ بنو مهدي موقفا عدائيا من أهل السنة ، فاضطهدوهم واستحلوا قتل علمائهم وفقهائهم . حتى اضطروهم إلى الفرار خوفا من القتل (٣) . فلما خلف مهدي بن علي أباه ، سار على منهجه ، فكان سفاكا للدماء ، وتابع الإغارة على البلدان ، فهاجم لحج مرتين (٤) ، أحداهما في شعبان سنة ٥٥٦ هـ / يوليه ١١٦١ م ، والثانية في رمضان ٥٥٨ هـ / أغسطس ١١٦٣ م وقتل عددا كبيرا من أهلها (٥) . أما مدينة الجند فقد حاصرها لمدة أسبوعين في شهر شوال سنة ٥٥٨ هـ / سبتمبر ١١٦٣ م حتى استولى عليها في غرة ذي القعدة ، حيث قتل الكثير من أهلها ورمى بجثثهم في بئر المسجد ، ثم أحرق المسجد (٦) على من كان قد لجأ إليه (٧) .

لم يكد مهدي بن علي يعود إلى زبيد حتى مات في مستهل ذي الحجة سنة ٥٥٨ هـ / نوفمبر ١١٦٣م، وقبر مع أبيه في مشهده(٨) ، فخلفه أخوه عبدالنبي

---

(١) الخزرجي نفس المصدر ص ١٦٣

(٢) ابن رسول ، الملك الأفضل : نزهة العيون ص ١٨٤.

(٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ١٨٧ — ١٩٤ .

(٤) العبدلي : هدية الزمن ص ٦٣.

(٥) الخزرجي : العسجد ص ١٦٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٤ ، الكبسي: اللطائف ص ٢٦ ب .

(٦) ابن سمره :طبقات فقهاء اليمن ص ١٨٢.

(٧) ابن الديبع : نفس المصدر ص ٩٤ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن س ٥٢

(٨) الخزرجي : العسجد ص ١٦٥ ،

Derenbourg : Oumara du Yémen, Vol 2. p. 566

ابن علي بن مهـــدى ، ولكنه لم يلبث أن أقصاه أخوه عبـد الله وتولى مكانه . غير أن عبد النبى استطاع العودة إلى الملك مرة أخرى (١) .

تابع عبد النبى بن على بن مهدى سياسة التدمير التى سلكها أخوه وأبوه من قبل ، فأحرق مدينة أبين (٢) فى الخامس عشر من صفر سنة ٥٥٩ هـ(٣)/ يناير ١١٦٤ م . ثم أغار على المخلاف السليمانى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م وقتل من سكانه عددا كبيرا معظمهم من الأشراف (٤) وعلى رأسهم الشريف وهاس ابن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليمانى (٥) — أحد أمراء الأشراف وسادتهم فى المخلاف السليمانى — وسبى عددا من النساء واستولى على كثير من الأموال (٦) . وتذكر المصادر أن أشراف المخلاف استنجدوا بصلاح الدين الأيوبى ضد ابن مهدى فأنجدهم (٧) .

واصل عبد النبى إغارته ، فأرسل أخاه أحمد إلى مدينة الجوة (٨) فاستولى

---

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٦ ، ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ٦١ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٢٧ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٦ ب ، العبدلى : هدية الزمن ص ٦٣ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر ص١٦٥ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ أ .

(٤) بامخرمة : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٢٧ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٥٥ .

(٥) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٤ ، بغية المستفيد ص ٩ أ .

(٦) الكبسى : نفس المصدر ص ٢٦ ب ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر ص٥٣ .

(٧) من الفتح الأيوبى ، انظر الفصل الثانى .

(٨) الجوة : إحدى المدن التابعة لدولة بنى زريع ، وكان بها عسكر الداعى عمران بن محمد بن سبأ صاحب عدن من بنى زريع (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٢٨ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٥٦) .

عليها بعد قتال شديد ثم أحرقها (١) . كما توجه بنفسه على رأس حملة إلى مدينة الجند فى جمادى الآخرة سنة ٥٦١ هـ / ابريل ١١٦٦ م ، ثم تركها إلى نواحي تعز واستولى عليها مع عدد آخر من البلاد والحصون (٢) . وفى ذى القعدة أغار على مخلاف جعفر وتابع غزواته فاستولى فى ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ / يناير ١١٦٧ م على حصن المجمعة (٣) ، ثم استولى بعد أيام على مدينة إب وجبل الشماحى .

امتدت دولة بنى مهدى حتى شملت تهامة واليمن الأسفل فيما عدا عدن ، وأصبح عبد النبي يهدد دولتى بنى زريع وبنى حاتم الشيعيتين تهديدا مباشرا ورأى أن يستولى على دولة بنى زريع أولا . فلما توجه إلى عدن وحاصرها استعان صاحبها بالسلطان على بن حاتم (٤) — صاحب صنعاء — فجاءه فى جمع غفير من قبائل همدان وجنب ومذحج فترك عبد النبي حصار عدن وأسرع لملاقاة ابن حاتم ومفاجأته ، والتقى الجمعان فى ذى عدينة بالقرب من تعز فى ربيع الأول سنة ٥٦٩ هـ (٥) / اكتوبر ١١٧٣ م ودارت الدائرة على عبد النبي ابن مهدى ، فعاد مدحورا إلى زبيد بعد أن فقد كثيرا من أتباعه وعقر له عدد كبير من خيله (٦) .

---

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٥ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٦٦ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر ص ١٦٦ .

(٤) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٣١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٥ ، بغية المستفيد ص ٩ أ ، الشرفى : اللآلى المضيئة جـ ٢ ص ١٣١ ب .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٣ ، بامخرمة : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٢٨ .

(٦) الشرفى : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٣١ ب .

أغرى الانتصار ابن حاتم وأراد أن يتعقب ابن مهدى ، ولكنه اضطر للعودة إلى صنعاء ، لعدم رغبة رجال القبائل فى مواصلة القتال (١) أما ابن مهدى فقد بقى فى زبيد حتى جاء الفتح الأيوبى وقضى على دولته فى شوال سنة ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م .

وهكذا شغلت بلاد اليمن بالفتن الداخلية والصراعات المذهبية ، مما ساعد على انقسامها إلى دويلات صغيرة متناحرة (٢) ، ففقدت البلاد وحدتها السياسية. فكانت منطقة تهامة المطلة على البحر الأحمر تشغلها دولتان ، المخلاف السليماني (٣) تحت حكم الأشراف من بنى سليمان . وبلاد زبيد إلى حدود حرض شمالا كانت لعبد النبي بن مهدى . أما منطقة تهامة المطلة على المحيط الهندى فكانت تحت حكم بنى زريع . وبالنسبة لمنطقة الجبال ، فكان بها عدد من الدويلات ، فكانت بلاد الجريب وما إليها من بلاد الشرف - وهي منطقة مطلة على تهامة - إلى أولاد عمر بن شرحبيل ، وذمار وما إليها لقبائل جنب، وكان بنو حاتم يحكمون صنعاء وأعمالها إلى بلاد الظاهر وحدود بلاد الأهنوم، وكانت شهارة وما إليها لأولاد القاسم بن على العيانى ، وكانت صعدة وأعمالها للأشراف أولاد الإمام أحمد بن سليمان ، أما بلاد الجوف بالهضبة الشرقية فكانت للسلاطين آل الدعام (٤) . فلما كان الفتح الأيوبى لليمن ،

(١) الخزرجى :العسجد ص ١٦٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ص٩٦.

(٢) تعتبر دولة بن حاتم ودولة بني زريع ودولة بنى مهدى من أبرز القوى فى اليمن فى تلك الفترة . أما الدويلات والامارات الأخرى فلم يكن لها وزن كبير فى مجريات الأحداث ولهذا اهملت المصادر ذكر تفصيلات عنها .

(٣) انظر ص ١٨ هامش ٣، ٤ .

(٤) يحيى بن الحسين: أنباء الزمن ص ٥٣ ، الكبسى : اللطائف السنية ص٢٦ب، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٠٨ .

قضى على تلك الدويلات ، وتوحدت البلاد فى ظل الحكم الأيوبى (١) بعد طول انقسام وشقاق ، وخطب الأيوبيون فيها للخليفة العباسى . وبهذا ابتدأ عصر جديد فى تاريخ اليمن كان ختاما لمرحلة سابقة واستفتاحا لمرحلة متميزة .

(١) Scott (Hugh) : In the High Yemen, p. 226.



الفصل الثانى

توراشاه وفتح اليمن

(٥٦٩ — ٥٧١ هـ / ١١٧٤ — ١١٧٦ م)

دور صلاح الدين في تحقيق وحدة الجبهة العربية الإسلامية :

قام صلاح الدين بدور عظيم فى توحيد الجبهة العربية الإسلامية كوسيلة حتمية للتصدى والتخلص من ذاك التيـار الاستعمارى الذى اتخذ من الصليب ستارا يخفى وراءه مطامعه ، فعلى الرغم من كل تلك المخاطر التى تعرضت لها المنطقة العربية فى ذلك الحين ، إلا أن المطامع الشخصية قد طغت وسيطرت على معظم أمراء المسلمين الذين حكموا أجزاء من الوطن العربى وقتذاك ، حتى أصبحوا عقبة فى سبيل أية مقـاومة جادة ضد الصليبيين[1] . لذلك عمد صلاح الدين — بعد سيطرته على مصر ، وقضائه على الخلافة الفاطمية فيها — إلى توجيه جهوده لبعث حركة الجهاد بتوحيد الأمة العربية الإسلامية، وتأمين حدودها ، تمهيدا للدخول فى صراع ضد تلك القوى الدخيلة . ولهذا أرسل صلاح الدين أخاه تورانشاه سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م لفتح بلاد النوبة ، كما توجه قراقوش فى نفس ذلك العام فى حملة أخرى إلى بلاد المغرب ، فاستولى على برقة وقفصة وقسطيلية وتوزر[2] . وفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م توجهت حملة ثالثة إلى بلاد اليمن ، وهى موضوع هذا الكتاب . وفى سبيل توحيد الجبهة

---

(١) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٢٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ملحق ١٥ ص ٤٩٠ .

العربية لمواجهة الخطر الصليبي استولى صلاح الدين على البلاد النورية بعد وفاة نور الدين محمود . وهكذا فلم يكد يحل عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م حتى كانت الدولة الأيوبية تكون جبهة قوية متحدة ومتماسكة ، تمتد من برقة غربا إلى الفرات شرقا ومن الموصل وحلب شمالا إلى بلاد النوبة واليمن جنوبا [١] .

الفتح الأيوبى لبلاد اليمن :

اختلاف المؤرخين فى أسبابه :

لقد اختلف المؤرخون فى الأسباب التى حدت بصلاح الدين إلى إرسال حملة عسكرية لفتح بلاد اليمن . فيذكر ابن الأثير [٢] أن صلاح الدين كان متخوفا من نور الدين ، ولهذا استقر رأيه على امتلاك بلاد النوبة أو اليمن لتكون ملجأ له ولأسرته إذا ما حاربهم نور الدين وطردهم من مصر .

---

(١) جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسوريا ــ محاضرة بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨ ــ ص ١٦ .

(٢) الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٧٣ ، ١٧٨ . وقد نقل رأى ابن الأثير الكثير من المؤرخين مثل ابن واصل فى كتابه مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ــ نشر سامى الدهان سنة ١٩٥٤ ــ ص ٣٣٩ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٢٨٦ ، العمرى : مسالك الأبصار ــ مخطوط ــ جـ ٢ ص ٤٩٢ ، ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٦٩ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ــ نشر محمد مصطفى زيادة سنة ١٩٥٦ ــ جـ ١ ص ٥٢ ، ابن بهادر المؤمنى : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ــ مخطوط ص ١٥ ، ابن الشحنة : روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر ص ٥ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٥٧ ، الخزرجى : العسجد ص ١٧٦ ، الشرقى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ٣٢ أ ، الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٤٠ .

أما أبو شامة [١] فينقل ما ذكره ابن أبي طي بشأن استغلال الشاعر اليمني عمارة لصلة الصداقة التي كانت تربطه بتورانشاه بن أيوب ، وإقناعه بالاستيلاء على بلاد اليمن لنفسه . وأخذ يصف له خيرات تلك البلاد وكثرة أموالها مع ضعف حكامها مما يسهل عليه عملية الفتح . ولما كان تورانشاه كثير النفقات ، ولم يكن إقطاعه بمصر كافيا للوفاء بمتطلباته ، فقد لقي إغراء عمارة استجابة منه ، فاستأذن أخاه صلاح الدين ليسمح له بالقيام بحملة للاستيلاء على اليمن ، فأذن له [٢].

أما ابن شداد [٣] فقد أرجع سبب الفتح إلى ما كان من قوة عسكر صلاح الدين وكثرة إخوته وقوة بأسهم ، وما بلغه من أمر ابن مهدى وتغلبه على كثير من بلاد اليمن ، وإقامته الخطبة لنفسه دون بني العباس ، وزعمه انتشار ملكه حتى يملك الأرض كلها [٤].

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٢١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٤ ، العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ـ مخطوط ـ مجلد ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين في سيرة نور الدين ـ مخطوط ـ حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٥٢ ، الخطط ج ٣ ص ٥٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٨ ، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٦ ص ١١٣ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٥٢ .

(٣) سيرة صلاح الدين ، المعروفة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نشر الشيال ١٩٦٤ ، ص ٤٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٣ ، ج ٦ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٣ =

ويذكر الخزرجي [١] نقلا عن الجندى أن رجلا من أهل اليمن يدعى ابن النساخ بعث برسالة إلى الخليفة العباسى فى بغداد يشكو له فيها من ابن مهدى ، ويذكر قبيح سيرته وسوء عقيدته ، فلما وصلت الرسالة إلى الخليفة ، طلب من صلاح الدين تجهيز حملة إلى اليمن لقتال ذلك الخارجى .

وقيل أن الحملة كانت نجدة للشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف السليمانى ، للثأر من ابن مهدى لإغارته على مخلافهم ، وقتله الشريف وهاس بن غانم . وأن صلاح الدين استجاب لدعوة الشريف قاسم الذى عجز عن مقاومة ابن مهدى والثأر منه [٢] .

مناقشة وتحليل الأسباب التى أوردها المؤرخون :

وإذا ما تناولنا مناقشة وتحليل الأسباب المتباينة التى ذكرها المؤرخون

= ٢٧٤ : العينى : عقد الجمان مجلد ٥٠ ص ٥٠٢ ، الخزرجى : طراز الزمن فى طبقات أعيان اليمن جـ ٢ ص ٤٤٠ ، العسجد ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٧ ، بغية المستفيد ص ٩ ب .

Marin : Histoire de Saladin , (Tome, I) p. 221.

(١) العسجد ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٧ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٨ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣١ (وقيل أن الشريف قاسم بن غانم إنما لجأ الى الخليفة العباسى الذى كتب الى صلاح الدين لنجدته) بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٥٥ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ أ ، الجرافى : المقتطف ص ٧٣ (ويقول سبط بن الجوزي ، أن الحملة كانت استجابة لدعوة أعيان اليمن) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٠٠ . (ويقال أن أهل تهامة هم الذين بعثوا الى صلاح الدين يطلبون منه نجدتهم مما أصابهم من ابن مهدى) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ .

تجد أن ما ذكره ابن الأثير من أن صلاح الدين أراد أن تكون النوبة أو اليمن مكانا يلجأ إليه إذا ما طرده نور الدين من مصر ، لا يتفق مع ماذكره في موضع آخر من كتابه (١) ، من أن صلاح الدين استأذن نور الدين لفتح اليمن فأذن له . وإنه لمن المستبعد أن يستأذن صلاح الدين من نور الدين إذا كان قد قصد الخروج عن طاعته أو الوقوف ضده . ورغم ما يقال عن الجفوة التي حدثت بين نور الدين وصلاح الدين إلا أنه من غير المحتمل أن يكون صلاح الدين قد قصد من فتح النوبة أو اليمن أن تكون أحداهما مركزاً لدولته الجديدة إذاما أجبرعلى الخروج من مصر، ذلك أن صلاح الدين مشهود له بالشجاعة النادرة ، والإقدام والاستبسال في الجهاد عن عقيدة وإيمان ضد الصليبيين . « ولو علم نور الدين ماذا أدخر الله تعالى للاسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المشركين ، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمها » (٢) .

ولهذا فإن قول ابن الأثير لا يقبله المنطق وتنفيه الوقائع ، خاصة وأنه ـ فيما يبدو ـ متهم في كثير مما كتبه عن العلاقات بين صلاح الدين و نور الدين (٣). ولو كان ماذكره ابن الأثير صحيحا ، لكان من المحتم أن يستعيد صلاح الدين قواته من اليمن بعد زوال الأسباب الداعية لإرسالها ، وأعنى بذلك وفاة نور الدين بعد قيام الحملة بوقت قصير . وبهذا انتهت المخاطر التي كانت

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧ حاشية ٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص ٣٤٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٦٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧ حاشية ٢ .

تتهدد صلاح الدين من قبله ، واستطاع صلاح الدين أن يستولى على مملكة نور الدين . وبدلا من أن يسترد قواته من اليمن للاستفادة منها في تدعيم مركزه ، والمساهمة في حروبه ضد الصليبيين ، واصل إرسال المزيد من الإمدادات إلى اليمن ، ضمانا لاستمرار تبعيتها للدولة الأم التى أصبح مركزها مصر .

أما ما ذكره ابن أبي طى من قيام عمارة اليمنى بإغراء تورانشاه بفتح اليمن ، فإنه من المسلم به أن عمارة كان على صلة وثيقة بتورانشاه ، كما كان على دراية تامة بأحوال اليمن فى عصره . فاستغل تلك الصلة وهذه الدراية للتأثير على تورانشاه وإغرائه بفتح اليمن تنفيذا لمؤامرة اشترك عمارة فى تخطيطها مع بقايا الفاطميين للقضاء على الأيوبيين [1] . إذ اتصل المتآمرون بأمورى ملك بيت المقدس، ووليم الثانى ملك صقلية، وسنان رئيس الحشيشية، واتفقوا على أن تقوم قواتهم بغزو مصر وقت أن يكون صلاح الدين بعيداً عنها [2] فى الشام ، وتورانشاه فى جزء من الجيش الأيوبى فى اليمن ، ومن ثم يتولى المتآمرون فى الداخل القيام بثورة فى القاهرة وقت الغزو الخارجى [3] ، وبذلك لا تستطيع القوات الأيوبية التصدى – فى وقت واحد – للعدوان

---

(١) انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٣ .

Lane-Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, pp.197-198.

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٢١ ، نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ص ٤٢ ،

Lane -Poole : Saladin, pp: 124 - 128.

(٣) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٨

Kay : Yaman, p. VII,

الخارجى أو لمقاومة الثورة فى الداخل(١) . وهكذا يمكن إعادة الدولة الفاطمية من جديد . وبعد خروج تورانشاه بحملته إلى اليمن اكتشفت المؤامرة ، وتخلص صلاح الدين من مدبريها وعلى رأسهم عمارة اليمنى الذى صلب فى الثانى عشر من رمضان سنة ٥٦٩ هـ (٢) / ١٦ ابريل سنة ١١٧٤ م قبل وفاة نور الدين بشهر واحد (٣) .

أما فيما يختص بما ذكر من أن إقطاع تورانشاه لم يكن يكفيه ، فإنه وإن كان من الثابت أنه كان كثير النفقات ، إلا أنه ليس سببا مقبولا لتجهيز حملة تكلفت مبالغ طائلة من أجل تحقيق مكاسب ذاتية ، فى وقت كان فيه صلاح الدين لا يزال تابعا لنور الدين ، ومن ثم لا يستطيع أن يتخذ مثل هذا القرار ، خاصة وأن الظروف فى مصر كانت تحتم بقاء قواته للقضاء على بقايا الفاطميين فيها ، ومشاركة نور الدين فى التصدى للقوى الصليبية . هذا إلى جانب أن صلاح الدين كان فى مقدوره أن يزيد من مخصصات أخيه إذا كان هدفه تحقيق أغراض ومكاسب شخصية .

أما عن قول ابن شداد وما ذكره عن كثرة إخوة صلاح الدين وقوة بأسهم واتخاذه من ابن مهدى ذريعة للقيام بالاستيلاء على بلاد اليمن ، فمن المؤكد أن صلاح الدين كان فى أشد الحاجة إلى كل جندى من جنوده ، ولم يكن يرمى إلى التخلص من إخوته بمدهم بقوات لفتح بلاد يشغلون فيها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٧٥ ، الدمشقى : الدر الثمين ، حوادث سنة ٥٦٩ هـ .

(٢) Derenbourg : Oumara Du Yémen, vol 2. p. 548.

(٣) نظير سعداوى : التاريخ الحربى ص ٤٦ ، Lane-Poole : op. cit., p. 126.

لمجرد تفادى منافستهم له ، في وقت يتحتم فيه وقوفهم إلى جانبه وتكتيل القوى لمجابهة الصليبيين . ولذلك فإن إرسال حملة ، فى مثل تلك الظروف ، لابد وأن تكون لدواعى هامة وقوية ، وليس لمجرد كثرة إخوته ، وهكذا نجد أن ما قاله ابن شداد ليس له ما يدعمه (١) ، أما ماذكره من أمر ابن مهدى ، فليس ذلك سببا كافيا للقيام بتلك الحملة .

وفيما يختص بما أورده الجندى من أن رسالة ابن النساخ إلى الخليفة العباسى للشكوى من ابن مهدى ، كانت سببا فى إرسال حملة تورانشاه إلى اليمن ، فإن هذا القول بعيد عن الصواب ، وقد وقع الجندى في خطأ ، إذ أنه من الثابت تاريخيا أن رسالة ابن النساخ التي أشار إليها كانت سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤ م ، أى بعد أكثر من أربعين عاما من الفتح الأيوبى لليمن ، وكانت للشكوى من الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة لاضطهاده المطرفية — وهي فرقة خارجة على الزيدية ينتمى إليها ابن النساخ — وكانت من أسباب إرسال حملة المسعود بن الكامل سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م . ولم تكن للشكوى من ابن مهدى كما ذكر الجندى ، ولم يكن من نتائجها حملة تورانشاه .

أما ما أوردته بعض المصادر (٢) من أن الحملة كانت نجدة للشريف قاسم

---

(١) بدأ ابن شداد في ملازمة صلاح الدين اعتبارا من سنة ٥٨٤ هـ ، ولهذا كانت كتاباته عن صلاح الدين بعد ذلك التاريخ على أساس من المشاهدة (سيرة صلاح الدين ، المقدمة ص ١١) أما الأحداث التي أوردها عن الفترة السابقة ، فقد نقلها عن مصادر أخرى . ولم يورد ابن شداد من أحداث الأيوبيين فى اليمن سوى هذا السبب المتعلق بحملة تورانشاه عليها .

(٢) بامخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ٧٥٥ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ أ ، الجرافى : المقتطف ص ٧٢ .

ابن غانم صاحب المخلاف السليماني ضد ابن مهدي ، فإن تحليل هـذا القول يوضح أن مهاجمة ابن مهـدي للمخلاف السليماني ، ومقتل الشريف وهاس ابن غانم كان سنـة ٥٦١هـ ١١٦٥م ، وكان على أشراف المخـلاف.باعتبارهم علويين - أن يلجأوا للخليفة الفاطمي بمصر وليس إلى الخليفة العباسي في بغداد . أما عن القول من أن الاستغاثة كانت بصلاح الدين [١] ، فإنه من الثابت أن صلاح الدين لم يكن قد جاء إلى مصر حتى ذلك التاريخ ، وأنه تقلده الوزارة للخليفة العاضد كان سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م أي بعد سـنوات ثلاث من مقتل الشريف وهاس ، وحتى إذا ما سلمنا بأن طلب النجدة كان بعد مرور وقت طويل على الأحداث الداعية إليها ، فإن مركز صلاح الدين وقتها لم يكن ليسمح له بإرسال حملة إلى اليمن باعتباره تابعـا لنور الدين ومسئولا عن حماية مصر من الخطر الصليبي والمؤامرات الداخلية ، بالإضافة إلى أنه كان يمهد للقضاء على الخلافة الفاطمية ، ولهذا فإن قيام صلاح الدين بإرسال حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م بعد القضاء على الدولة الفاطمية ، وبعد أكثر من ثماني سنوات من مقتل وهاس بن غانم السليماني ، لما يؤكـد أن الحملة - في أساسها - لم تكن استجابة لدعوة الشريف السليماني .

العوامل الرئيسية للفتح الأيوبي :

على الرغم من الشك الذي يحيط بروايات المؤرخين ، إلا أنه من الممكن استخلاص الحقيقة من الرسالة التي بعث بها صلاح الدين إلى الخليفة العباسي [٢] ،

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٨ ، الشرفي : اللآلي المضية جـ ٢ ص ١٣١ ب .

(٢) انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٤٨٦ - ٤٩٣ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٤١ - ٢٤٣ .

فبعد أن بين صلاح الدين مجهوداته وفتوحاته المتعددة فى مصر والمغرب واليمن، وصموده أمام المطامع الخارجية ، طلب من الخليفة تقليدا بتوليته البلاد التى فتحها وما يفتتحه بعد ذلك (١) . وقد أبرز فى رسالته استيلاؤه على « قلعة بثغر أيلة ، كان العدو قد بناها فى بحر الهند (البحر الأحمر) وهو المسلوك منه إلى الحرمين واليمن . وغزا ساحل الحرم فساء منه (ذلك) خلقا ... فكادت القبلة يستولى على أصلها ومشاعر الله يسكنها غير أهلها ، ومقام ابراهيم أن يقوم به من ناره غير برد وسلام ، ومضجع الرسول ﷺ أن يتطرقه من لا يدين بما جاء به الاسلام . فأخذت هذه القلعة ، وصارت معقلا للجهاد وموئلا لسفار البلاد وغيرهم من عباد العباد » .

ثم قال : « وكان باليمن ما علم من أمر ابن مهدى الضال الملحد ،المبدع المتمرد ، وله آثار فى الإسلام وثار ، طالبه النبى - ﷺ - لأنه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن البخس ، واستباح منهن كل ما لا يقر لمسلم عليه نفس ، ودان ببدعة ودعا إلى قبر أبيه وسماه كعبة ... فأنهضنا إليه أخانا بعسكرنا - بعد أن تكلفنا له نفقات وأسلحة رائعة وسار ، فأخذناه ولله الحمد، وأنجز الله فيه القصد » . وبعد أن استعرض صلاح الدين فتوحاته وحروبه قال : « والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ، ويؤكد الدعوة ، ويجمع الأمة ... ويفتح بقية البلاد ، وأن يطبق بالاسم العباسى كل ما تطبقه العهاد» .

وهكذا نجد أن صلاح الدين كان يعمل على تنفيذ هدفين رئيسيين . أولها ، مجاهدة الصليبيين فى الشام واسترداد الأراضى التى يسيطرون عليها .

(١) Arnold (T. W.) : The Caliphate. p. 85.

وثانى هذه الأهداف ، تحقيق سيادة المذهب السنى ، وما يتبع ذلك بالضرورة من القضاء على النفوذ الشيعى .

وحتى يتمكن صلاح الدين من التخلص من الصليبيين فى الشام ، رأى أنه لا بد من توحيد الجبهة العربية الإسلامية ، والعمل على تدعيمها وتقويتها وتأمين حدودها . كما كان عليه من أجل تحقيق السيادة العباسية ومذهبها السنى ، أن يقضى على خلافة الفاطميين بمصر ، ويتخلص من النفوذ الشيعى أينما وجد .

وهكذا كانت تلك العوامل وحدها هى التى حركت سياسة صلاح الدين وحكمت تصرفاته ، فكانت حملة النوبة سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م من أجل مطاردة بقايا الجيش الفاطمى من السودانيين ــ الذين لجأوا إلى جنوب مصر ــ وعملوا على إثارة الشغب ، وأخذوا يتحينون الفرص للقضاء على دولة صلاح الدين. ولهذا استهدفت هذه الحملة تعقبهم بغية القضاء عليهم وتطهير جنوب مصر منهم وتأمين حدود البلاد من جهتهم (١) .

أما حملة المغرب سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ، فقد ذكرت المصادر أنها كانت من أجل تحقيق ما يشاع عن ثروة المغرب ، وأن يقيم تقى الدين عمر ــ ابن أخى صلاح الدين ــ دولة فيها (٢) . ولكن الأحداث تشير إلى أن تلك الحملة كانت من أجل تحقيق سيادة المذهب السنى ، ومساعدة بنى غانية ــ الموالين للعباسيين ــ ضد أعدائهم الموحدين (٣) . ومن ناحية أخرى ، فإن قيام دولة

---

(١) انظر ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) العينى : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٨٥ ، نظير سعداوى : التاريخ الحربى ص ٤١ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب ــ بحث فى مجلة آداب الاسكندرية ، المجلد ٦ ، ٧ سنة ٥٢ ــ ١٩٥٣ ــ ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

الموحدين بالمغرب وخلعهم الطاعة العباسية وإقامتهم خلافة مستقلة ، مما يشكل خطرا على مصر والخلافة العباسية . ولهذا كان لابد من تأمين حدود مصر الغربية التى سبق للفاطميين أن هددوا مصر منها ، واستطاع جوهر الصقلى أن يدخل مصر عن طريقها ويقيم فيها الدولة الفاطمية التى قضى صلاح الدين عليها .

أما حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م فقد كانت من أجل تحقيق سيادة المذهب السنى بالقضاء على دولة ابن مهدى الخارجى فى زبيد ، والتخلص من بقايا النفوذ الشيعى فى عدن وصنعاء ، والتى أصبحت اليمن مركزا له ، وخاصة بعد القضاء على الخلافة الفاطمية فى مصر ، ومن ناحية أخرى فقد كان الفتح الأيوبى ضرورة حتمتها وحدة الجبهة العربية الإسلامية من أجل الوقوف أمام الخطر الصليبى ، كما حقق الاستيلاء على اليمن السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر (١) ، وتأمين الحدود الجنوبية والقضاء على أية محاولة صليبية للاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية أو الاتصال بالحبشة المسيحية وتسرب الفكرة الصليبية فى البحر الأحمر جنوبا الي الأحباش (٢). مما قد يؤدى إلى زيادة متاعب صلاح الدين .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) لقد تمكنت الحبشة ــ قبل الاسلام ــ من احتلال بلاد اليمن وجعلها ولاية حبشية (هـ . هل : الحضارة العربية ص ٦) ويرجع الفضل فى ذلك الي المعونات البيزنطية . كما تمكن إبرهه من التقدم إلى مكة (بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٤ ، ١٥) ولكن ما أن دخلت مصر والشام فى الدولة الإسلامية حتى فقدت الحبشة حليفتها فى الشمال ، وبدأ الضعف يدب فيها لدرجة أن أصبح الساحل الشرقى لها موطنا للهجرات اليمنية بعد ذلك (الحيمى : سيرة الحبشة ص ٦٦) وهكذا فقد كان استيلاء صلاح الدين على اليمن تحقيقا =

حملة تورانشاه وموقف السليمانيين منها :

ومهما يكن من شيء ، فقد جهز صلاح الدين أخاه تورانشاه للقيام بحملة اليمن بعد استئذان نور الدين محمود . وقد تحمس تورانشاه لهذه المهمة (١) وزوده صلاح الدين بالعسكر الجم والمال الكثير (٢) ، وأرسل معه جماعة من الأمراء ، وحوالي ألف فارس بالإضافة إلى من صحبه من حاشيته ، بحيث قدر جملة من صحبه من الجند بثلاثة آلاف (٣) . وأطلق له صلاح الدين خراج قوص لمدة سنة (٤) – وكانت عبرتها مائتي ألف وستين ألف

= للسيطرة على الطرف الجنوبي للبحر الأحمر . وهذا للأخطار التي قد تهدد الأماكن المقدسة الإسلامية من الصليبيين ، ذلك أن التفكير في حشد أساطيل صليبية في هذا البحر – عن طريق قلعة أيلة – كان يراود الصليبيين بقصد الإغارة على الحجاز وقبر الرسول . ولأن قيام البرنس أرناط بحملته في البحر الأحمر بعد ذلك عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م وقصده الأماكن المقدسة لهو أكبر دليل على ذلك (انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٢٦ – ١٣١ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٦ – ٣٧) . وقد تمكن صلاح الدين من إحباط هذه المحاولة الجريئة . وعلى الرغم من عدم وجود ما يشير إلى حدوث الإتصال بالأحباش ، إلا أنه كان من المحتمل حدوث ذلك لو قدر لحملة أرناط أن تنجح . (انظر الفصل الرابع) .

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٧ ، العيني : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٣ أ .

(٣) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٧ ، العيني : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ ، الخزرجي : العسجد ص ١٧٧ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٧ أ .

(٤) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٧ ، العيني : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ (لقد كان تورانشاه واليا على قوص قبل إسناد =

دينار (١) وأعد له الأزواد والسلاح وغير ذلك من آلات الحرب (٢) ،وزوده بأكثر مما كان يريد (٣) .

وغادرت الحملة الديار المصرية فى مستهل رجب سنة ٥٦٩ هـ (٤) / فبراير سنة ١١٧٤ م عن طريق النيل (٥) إلى قوص ومنها بطريق البر إلى ميناء عيذاب - على ساحل البحر الأحمر - ثم عبر البحر إلى جدة ، ومنها برا إلى

= تيادة حملة اليمن إليه ، ويعتبر والى قوص من أعظم ولاة مصر وأجلهم) . ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٧٤ .

(١) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٥٩ ، الذهب المسبوك ص ٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤١ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٦ ص ١١٣ ، المقريزى : السلوك ج ١ ص ٥٣ ، الخطط ج ٣ ص ٥٩ .

(٥) قال ابن أبى طى : « وسار فى البر والبحر ، فى البر العسكر وفى البحر الأسطول والأزواد والعدد والآلات » (الروضتين ج ١ ص ٢١٧ ، العينى : عقد الجمان ج ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقى : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩) . وقد سلكت تلك الحملة والحملات والإمدادات الأيوبية التي تلتها هذا الطريق ، وهو نفس الطريق الذى سلكه ابن جبير فى رحلته . (انظر ، الرحلة - تحقيق حسين نصار ص ٢٧ وما بعدها) وكان هذا الطريق أكثر أمنا ، وكان يسلك منه إلى ساحل الحجاز واليمن . (انظر ، كتاب الاستبصار ، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ص ٨٧) ومما يجدر بالذكر أن الطريق البرى الذى يبدأ من أيلة لم يكن فى الامكان استعماله طوال الحروب الصليبية (انظر ، جاستون فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤٨ - ٥٠) .

مكة (١) حيث دخلها معتمرا (٢) ، ولم يبق بها طويلا إذ تركها إلى اليمن بطريق البر .

ولقد اتسم موقف الأشراف السليمانيين في اليمن بالتأييد التام لتورانشاه ، فما أن علموا بمجيئه حتى خرجوا لاستقباله والترحيب به . فلما وصل إلى مدينة حرض – من المخلاف السليماني – « لم يقم في وجهه أحد ، بل دخله بغير حرب (٣) » . فشكا إليه الشريف قاسم بن غانم من ابن مهدي (٤) ، وطلب أن يكون أول دخوله اليمن نجدة لبني سليمان ضد ابن مهدي ، فاستجاب تورانشاه له (٥) . باعتباره حاكما لإحدى دويلات اليمن ، وأن التعاون معه – كقوة داخلية – ييسر له عملية الفتح .

---

(١) نظير سعداوي : التاريخ الحربي المصري ص ٤٤ (ظل العباسيون يتمتعون بحق السيادة على مكة والمدينة – دون منازع – إلى أن استولى الفاطميون على مصر ، فأصبح الدعاء على منابر مكة للخليفة الفاطمي . وبالرغم من أن ولاة مكة والمدينة قد أقاموا الدعوة في فترات متقطعة لبني العباس إلا أنهم لم ينحازوا إلى العباسيين في مناهضة الخلافة الفاطمية ، بل حرصوا على إظهار ولائهم للفاطميين كما تمكنوا من ذلك لكونهم علويين (انظر ، جمال سرور : النفوذ الفاطمي ص ١٤ وما بعدها) فلما قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ، ودخلت الحجاز تحت سيطرته ، كان العلويون فيها يخشون بأسه ، وبلغ بهم الخوف أن فر صاحب مكة عند مجيء تورانشاه بحملته وتحصن بقلعة أبي قبيس ، ولم يعد إليها إلا بعد أن تأكد من أنه ليس هو المقصود بهذه الحملة . (انظر ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٢) المقريزي : الخطط ج ٣ ص ٥٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٤ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ .

(٤) ابن حاتم : السمط ورقة ٣ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب .

فتح زبيد والقضاء على دولة بنى مهدى :

غادر تورانشاه مدينة حرض فى سلخ شهر رمضان سنة ٥٦٩ هـ / مارس سنة ١١٧٤ م يصحبه الشريف قاسم بن غانم إلى زبيد ، فوصلت قواتها إليها فى السابع من شوال سنة ٥٦٩ هـ (١) / مايو سنة ١١٧٤ م . فلما علم عبد النبي بن مهدى بوصول الحملة الأيوبية وتعاون الشريف قاسم بن غانم معها انتقاماً لمقتل أخيه وهاس (٢) ، سارع بالخروج من المدينة لمباغتة الحملة ، ودار القتال وأخذ ابن مهدى يحمس جنوده ويحثهم على صدق القتال ، وقال لهم : « كأنكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحر فهلكوا ، وماهم إلا أكلة رأس » (٣) . ولكن قوات ابن مهدى لم تستطع الصمود أمام القوات الأيوبية ، وانهزمت أمامها . وأراد ابن مهدى الانسحاب إلى المدينة للاحتماء بها ، ولكن الجند الأيوبى تعقبوا فلوله المنسحبة ، فلما وصلوا إلى سورها ، ولم يجدوا عليه حراسة تسلقوه ونزلوا إلى المدينة واستولوا عليها عنوة (٤) فى التاسع من شوال (٥)

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : العسجد ص ١٦٩ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٧ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٥٨ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤١ (يقال لهم أكلة رأس أى تقليل يشبعهم رأس) نشوان بن سعيد : منتخبات فى أخبار اليمن ص ٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : نفس المصدر والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ١١٣ .

(٥) الخزرجى : العسجد ص ١٦٩ ، ١٧٧ ، ادريس عماد الدين : نزهة الافكار ص ٧ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٤٨ ، ٧٥٨ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ ب .

أى فى اليوم الثالث من وصول الحملة إليها واستبيحت المدينة ، وتم القبض على ابن مهدى وأسرته . واستولى تورانشاه على كل ما كان فى خزانته من أموال [١] ، وما كان يملكه من الخيل [٢] . وبذلك قضى تورانشاه على دولة بنى مهدى وأزالها .

ولقد اختلفت المصادر حول مصير عبد النبي بن على بن مهدى ، فقيل بأنه قتل يوم الاستيلاء على زبيد ، وقيل فى اليوم التالى ، وقيل بعد ذلك فى سنة ٥٧٠ هـ [٣] / ١١٧٥ م . ومن المرجح أنه لم يتم القضاء عليه فى حينه ، ذلك أن بعض الروايات تشير إلى أنه جىء به أسيرا إلى عدن عند استيلاء تورانشاه عليها فيما بعد [٤] ، وأنه قد تم التحفظ عليه بعد ذلك فى زبيد حتى وقع خلاف بشأنه فيها . فلما علم تورانشاه بذلك – وهو بذى جبلة – أرسل إلى

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٦٠ ؛ بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٥٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب .

(٣) بامخرمة : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٦ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ .

(٤) ومما يؤيد عدم مقتل عبد النبى بن مهدى عقب استيلاء تورا شاه على دولته مباشرة ؛ ما أورده بعض المؤرخين من أنه جىء به أسيرا الى عدن عند فتح تورانشاه لها ، وقد جمع الأسر بينه وبين ياسر بن بلال – القائم بأمر بنى زريع فى عدن – وكان عبد النبى يطمع فى الاستيلاء على ملكهم . فلما لاحظ عبد النبى أن ياسرا يسارقه بالنظر ، قال له : « ياعبد السوء ، ما تنظر الى أسد مقيد بقيد حديد ومسلسل بسلاسل حديد » (ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ ١ ص ١٢٦ ، بامخرمة : ثغر عدن جـ ١ ص ٤٦) . وقال : « سبحان الله! كنت قد علمت أني أدخل الى عدن فى موكب عظيم ، فأنا أنتظر ذلك وأسر به ، ولم أكن أعلم أنني أدخلها على هذا الحال » . ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ١١٣ ،

نائبه فى زبيد بأمره بقتل عبد النبي وأخويه ، فنفذ النائب أمره [١] فى السابع من رجب سنة ٥٧٠ هـ [٢] / فبراير ١١٧٥ م .

أما الشريف قاسم بن غانم فقد أقره تورانشاه على حكم المخلاف السليمانى ، وأشرك ابن أخيه - ويدعى منصور - معه ، مكافأة لهما على تعاونهما معه وإخلاصهما له ، وقسم حكم المخلاف بينهما ، « فكان بيد منصور من وادى عين إلى الساعد ، ومنه شاميا [٣] بيد عمه قاسم [٤] » . ثم غادر الشريف قاسم ومن معه زبيد فى الثالث عشر من شوال سنة ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م عائدين إلى المخلاف السليمانى [٥] .

عمل تورانشاه على إصلاح أحوال المدينة ، واستقرت له الأمور بها ودان له أهلها بالطاعة ، وأعاد الخطبة فيها للخليفة العباسى [٦] ، وخطب له بعد الخليفة فى جميع مافتحه بعد ذلك من البلاد [٧] . ثم غادر تورانشاه زبيد فى

---

(١) الشرفى : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٣٢ أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٦ أ .

(٣) يستعمل أهل اليمن عند الإشارة إلى الشمال بكلمة الشام أى تجاه الشمال ، كما يستبدلوا كلمة الجنوب بعدن إشارة إلى أنه تجاه الجنوب . باعتبار أن موقع عدن فى أقصى جنوب الجزيرة .

(٤) العامرى : غربال الزمان فى وفيات الأعيان - مخطوط - ص ١٦٧ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٦٩ ، الشرفى : اللآلئ المضية جـ ٢ ص ١٣٢ أ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٧) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٥٣ .

أوائل ذى القعدة سنة ٥٦٩ هـ (١) / يونيه ١١٧٤ م بغية الاستيلاء على بقية البلاد والحصون التابعة لبنى مهدى . فسار إلى مدينة الجند واستولى عليها (٢) ومنها توجه إلى تعز فدخلها ولم ينازعه أحد (٣) ثم سار إلى حصنى صبر وذخر (٤) - بالقرب من تعز - ولكنه لم ينل منها شيئا (٥) .

فتح عدن وسقوط دولة بنى زريع:

أرجأ تورانشاه استكمال فتح باقى حصون بنى مهدى ، وتوجه قاصداً فتح عدن - وبها ياسر بن بلال ، نائب أبناء بنى زريع القصر - فاستولى عليها فى العشرين من ذى القعدة سنة ٥٦٩هـ(٦)/ يونيه ١١٧٤ م.

وصف ابن الأثير(٧) عدن بأنها «من جهة البحر من أمنع البلاد وأحصنها... فلو أقام [ياسر بن بلال] بها ، ولم يخرج عنها لعادوا خائبين. وإنما حمله جهله

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٧٧ ، طراز الزمن ج ٢ ص ٤٤٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٨ ، الشرفى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٢ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٧ م

(٤) صبر وذخر حصنان بأعلى جبلين باسميهما ، وصبر جبل شامخ مطل على قلعة تعز (ياقوت : ج ٥ ص ٣٣٦) ويقع جبل ذخر إلى الغرب منه (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٨) .

(٥) الخزرجى : العسجد ص ١٧٧ ، طراز الزمن ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٤ أ ، ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار لوحة ٧ ، الخزرجى : العسجد ص ١٧٧ .

(٧) الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١٧٨ .

وانقضاء مدته على الخروج إليهم ، ومباشرة قتالهم . فسار إليهم وقاتلهم ، فانهزم ياسر ومن معه ، وسبقهم بعض عساكر شمس الدولة [تورانشاه] فدخلوا البلد قبل أهله فملكوه ، وأخذوا صاحبها ياسراً أسيراً» (١) .

وتذكر المصادر اليمنية(٢) أن تورانشاه أباح لعسكره نهب عدن فنهبوها ، في حين يؤكد ابن الأثير(٣) أن جند تورانشاه أرادوا نهب المدينة ولكنه منعهم ، وقال لهم : « ما جئنا لنخرب البلاد ، وانما جئنا لنملكها ونعمرها ، وننتفع بدخلها. فلم ينهب أحد منها شيئاً (٤) . ورغم ما ذكرته المصادر اليمنية، إلا أن ماذكره ابن الأثير قد يكون أقرب إلى الواقع. وإذا كان الأيوبيون قد أباحوا نهب زبيد من قبل، فإن ذلك يرجع إلى كثرة ماكان قد استولى عليه بنومهدى من أموال أودعوها خزائنهم في زبيد ، ولهذا فإن استيلاء الأيوبيين على مثل تلك الأموال في بداية وصولهم إلى اليمن لما يساعدهم على استمرار الفتح دون التطلع إلى امدادات مادية من مصر . ويختلف الموقف في زبيد عنه في عدن وغيرها ، ذلك أن السماح بنهب البلاد التي يفتحونها من شأنه أن يسيء إلى سمعة الأيوبيين ، بالإضافة إلى أن تفكك جندهم وتسابقهم للسلب والنهب وتنازعهم على الغنائم لمما يساعد على إعادة تجمع القوى المعادية لهم وييسر

---

(١) انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٢ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ١١٣ .

(٢) انظر ، ابن حاتم السمط ص ٤ أ ، الخزرجي : العسجد ص ١٧٧ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٨ .

(٣) الكامل في التاريخ جـ ١١ ص ١٧٨ .

(٤) انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٢ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ١١٣ .

لتلك القوى مهمة الإجهاز على الحملة . ولهذا كان تورانشاه حكيما عندما منع جنده من نهب عدن .

ومهما يكن من شيء فقد استقامت الأمور بعدن لتورانشاه بعد أن قضى على دولة بنى زريع (١) ، فظل فيها لتنظيم أمورها إلى منتصف ذى الحجة ، ثم غادرها إلى مخلاف جعفر — إلى الشمال من عـــدن — واستولى على حصن التعكر (٢) في الثالث والعشرين من ذي الحجـة سنة ٥٦٩ هـ (٣) / يوليه سنة ١١٧٤ م .

فتح صنعاء وسقوط دولة بنى حاتم :

لم يمض وقت طويل حتى فتح تورانشاه الكثير من المعـاقل والحصون ، ولم يبق له لاستكمال الفتح سوى حصن الدملوة (٤)، والبلاد العليا (٥) . ولهذا عمل على الاستيلاء على تلك البلاد ، فتوجه إلى ذروان — من بلاد قبائل جنب، وصاحبها عبد الله بن يحيى الجنبى — فلما وصل تورانشاه إليها فى أول المحرم

---

(١) السكابسى : اللطائف السنية ص ٢٧ ب ، العرشى : بلوغ المرام ص ٢٨ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ٢٤٢ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٧٩ ، الشرفى : اللآلي المضيـــة جـ ٢ ص ١٣٢ أ (التعكر : قلعة حصينة مطلة على مدينة ذى جبلة من مخلاف جعفر) ابن المجـاور : صفـة بلاد اليمن جـ ٢ ص ١٦٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٤ أ ، الخزرجى : نفس المصدر ص ١٧٩ .

(٤) الدملوة : حصن عظيم على جبل الصلو إلى الجنوب من تعز .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤ أ .

سنة ٥٧٠هـ (١) /أغسطس ١١٧٤م، قاتل أهلها قتالا شديدا (٢) في اليوم الأول لوصوله، ولكنهم توصلوا في اليوم التالي إلى الصلح معه (٣)، ودان له صاحب ذروان بالطاعة (٤). ثم استولى على حصن المصنعة (٥) من صاحبها محمد بن زيد ابن عمر الجنبي، ثم تقدم منها إلى مدينة ذمار، ولكن قبائل جنب لم تلبث أن اعترضت طريقه عند رخمة ـ موضع إلى الشرق من ذمار ـ ودارت بينهما معركة شديدة في التاسع من المحرم سنة ٥٧٠هـ/ (٦) أغسطس ١١٧٤، قتل فيها خمسة وستون رجلا (٧) من جند تورانشاه.

واصل تورانشاه سيره إلى ذمار، فاستولى عليها وأقام فيها عدة أيام (٨) ثم غادرها قاصدا صنعاء، ولكن قبائل جنب اعترضت طريقه مرة أخرى، بعد أن انضم إليها كثير من العرب، ودارت بين الفريقين معركة حامية تعتبر من أشد المعارك التي خاضها الأيوبيون ضراوة، وقد بلغ من شدة خطرها أن أخذ تورانشاه يحث جنوده ويشجعهم على الصبر في القتال، وقال لهم: «أين

---

(١) الخزرجي: العسجد ص ١٧٩.

(٢) الشرفي: اللآلئ المضية جـ ٢ ص ١٣٢ أ.

(٣) الخزرجي: نفس المصدر ص ١٧٩

(٤) ابن حاتم: السمط ص ٤ أ.

(٥) المصنعة: البنيان الحصين، وهي من حصون مشارف ذمار (ياقوت: المعجم جـ ٨ ص ٧٩).

(٦) ابن حاتم: نفس المصدر ص ٤ أ، ب.

(٧) الخزرجي: نفس المصدر ص ١٨٠، الشرفي: نفس المصدر جـ ٢ ص ١٣٢ أ، الكبسي: اللطائف ص ٢٧ ب.

(٨) الخزرجي: نفس المصدر ص ١٨٠.

أنتم من ديار مصر ؟ . قاتلوا على أنفسكم ، وإلا أكلتكم العرب »[١]. فقاتلوهم وصدقوا العزم حتى كتب لهم النصر ، وانهزمت جموع قبائل جنب وأعوانها هزيمة منكرة ، وقتل من رجالهم نحو سبعمائة رجل ، ولم يكتف تورانشاه بذلك ، بل طاردهم حتى ألجأهم إلى حصن هران ، واستولى على عدد كبير من خليهم [٢]

أحدث انتصار تورانشاه على جموع قبائل جنب ذوى كبير ارتاع له صاحب صنعاء السلطان على بن حاتم ، ذلك أن جموع القبائل التى كانت قد اعترضت طريق تورانشاه إلى صنعاء لم تستطع أن توقف تقدمه اليها . فلما أيقن السلطان على بن حاتم بأنه لن يستطيع الصمود أمام تورانشاه ، نقل خزائنه وسلاحه وكل ما يهمه من صنعاء إلى حصن براش [٣] وشحنه شحنة كاملة بالأزواد والسلاح وتحصن فيه ، وأمر بتخريب سور صنعاء [٤] . ويبدو أنه قصد من تخريب السور أن تكون القوات الأيوبية فى صنعاء مكشوفة وبدون حاجز يحميها من الإغارة عليها إذا ما سمحت الظروف لابن حاتم بذلك .

ومهما يكن من شىء ، فقد وصل تورانشاه إلى صنعاء فى الثامن عشر

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤ ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٨٠ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٧ ب .

(٣) براش حصن على جبل نقم — مطل على صنعاء — ويقع إلى الشرق منها (نشوان ابن سعيد : منتخبات من أخبار اليمن ص ١٠).

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥ أ ، الخزرجى : نفس المصدر ص ١٨٠ ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر ص ٥٤ ، الكبسى : نفس المصدر ص ٢٧ ب .

من المحرم سنة ٥٧٠هـ/ أغسطس ١١٧٤م. وعسكر إلى الشرق منها لمدة ثلاثة أيام فى مكان يسمى الجبوب (١) . وقد وفدت عليه خلال تلك الفترة وفود مشايخ صنعاء ووجوه أهلها « فى زى حسن، فأعجبه زيهم . فاستحضر جماعة من رؤسائهم ، وحاورهم وحدثهم ثم دخل صنعاء » (٢) دخولا معظما . فأقام بها أياما ثم عزم على العودة إلى تهامة (٣) .

ويشكك المؤرخ بدر الدين بن حاتم فى أمر استيلاء الأيوبيين على صنعاء من السلطان على بن حاتم (٤) فذكر أنه اختلف فى ذلك « فقيل دخلوا صنعاء ولم يلبثوا بها ثم ساروا . وقيل بل ساروا من المحطة (٥) ، ولم يدخلوا صنعاء». ويستطرد بدر الدين بن حاتم قائلا : « إن الإجماع على أن الملك المعظم [تورانشاه] لم يكن له إقامة فى الجهات الصنعانية » (٦). ويؤكد ابن أبى طى استيلاء تورانشاه على صنعاء ، وإقامته فيها لمدة ثمانية أيام . ويرد سبب عدم بقائه فيها لفترة أطول إلى قلة ما كان معه من المؤن (٧). ولن إجماع المصادر على قيام السلطان على بن حاتم بتخريب

---

(١) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٢ أ .

(٢) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ ب .

(٤) السلطان على بن حاتم هو جد المؤرخ بدر الدين محمد بن حاتم . وهذا ما يجعلنا نشك فى روايته بأن تشكيكه فى فتح صنعاء ، وانفراده بهذا القول (انظر السمط ص ٤ ب ، ٥ أ) .

(٥) يقصد بالمحطة المكان الذى حطت به جند تورانشاه .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٥ أ .

(٧) الروضتين جـ ١ ، ص٢١٧ : العينى : عقد الجمان مجلد ٥٠ ص ٥٢٢ .

سور صنعاء لهو أكبر دليل على استيلاء تورانشاه على المدينة ،وذلك لسهولة الاستيلاء عليها طالما أصبحت غير محمية بسور .

ولقد استغل على بن حاتم عودة تورانشاه إلى تهامة وعاد بدوره إلى صنعاء وعمل على استكمال تخريب سور المدينة ، حتى يسهل عليه استردادها إذا ما استولى عليها تورانشاه مرة أخرى (١) .

أما تورانشاه فقد أخذ طريق نقيل السود (٢) - من بلاد بنى شهاب وسنحان إلى الجنوب من صنعاء - عائدا إلى تهامة . فتعرضت مؤخرة جيشه لمهاجمة بعض القبائل عند عبوره تلك المنطقة ، ثم تعرضت مؤخرة الحملة مرة أخرى لسطو قبائل بلاد برع (٣)، عند مروره عبر بلادهم (٤) ولكنه واصل سيره إلى زبيد ولم يعر الأمر التفاتا .

مواصلة الفتح واستكماله :

لم يبق تورانشاه فى زبيد كثيرا بعد عودته إليها من صنعاء ، بل غادرها فى جمادى الأولى سنة ٥٧٠ هـ (٥) / ديسمبر ١١٧٤ م إلى مدينة الجند ، حيث

---

(١) انظر ، ابن حاتم : السمط ص ٥ ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٨٠ - ١٨١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٩ .

(٢) النقيل هو الممر الجبلى .

(٣) برع جبل بالقرب من وادى سهام فى نواحى زبيد (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨) .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٩ ، ١٠٠ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥ ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٨١ ، الشرف : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٢ ب .

جاءه والى حصن صبر – وكان تابعا لعبد النبي بن مهدى – وسلمه مفاتيح حصنه (١) . ثم أخذ تورانشاه فى استكمال فتح مخلاف المعافر – شمال عدن – فاستولى على حصنى بادية وشرياق . ثم توجه إلى حصن عزان ذخر (٢) وحاصره ، ولكن الحصار لم يدم على الحصن طويلا ، لقيام صاحبه بتسليمه مع ماكان في ذمته من أموال خاصة بعبد النبي بن مهدى (٣) .

وفى مخلاف المعافر واصل تورانشاه فتوحاته فاستولى على حصن يمين (٤) قهرا . كما فتح حصنى منيف والسمدان . ثم سار إلى حصن الدملوة (٥) ، فلما استعصى عليه توجه إلى مدينة ذى جبلة وأقام بها فترة ، ثم اضطر للعودة إلى زبيد لوقوع اضطرابات فيها بسبب ابن مهدى . فوصل اليها فى الثالث عشر من شعبان سنة ٥٧ هـ / مارس ١١٧٥ م .

وهكذا فتح تورانشاه المدائن والحصون ، واستولى على معظم بلاد اليمن . ويقال أنه فتح وحده ثمانين حصنا ومدينة ، وأن نواب القلاع أرسلوا

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥ ب ، الخزرجى : نفس المصدر ص ١٨١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٠ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٧ ب .

(٢) عندما حاصر تورانشاه حصن عزان ذخر كان فيه على بن حجاج صهر عبد النبى ابن مهدى .

(٣) أثر على بن حجاج - عندما استحلفوه على ما كان عنده من أموال لعبد النبى - عشرة آلاف دينار ، فقبضوها وتسلموا الحصن منه (ابن حاتم : السمط ص ٥ ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٨١ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤) .

(٤) كان بحصن يمين منصور بن محمد بن سبأ ، ففر من الحصن بمن كان معه من الجند .

(٥) كان جوهر المعظمى كفيلا لأبناء عمران بن محمد سبأ الزريعى الذين لم يبق لهم سوى هذا الحصن من دوائهم .

مفاتيحها إليه طوعا وبدون قتال (١) . ويذكر أبو شامة نقلا عن ابن أبى طى، أن تورانشاه فتح أيضا حضر موت (٢) .

ولقد ساعدت حالة التدهور والانقسام الداخلى فى اليمن على سهولة الفتح، فإلى جانب العداء المستحكم بين بنى سليمان وبنى مهدى ، وما كان يتمتع به ابن مهدى من كره عام ، كان للحروب التى قامت بين بنى مهدى وبنى زريع وبنى حاتم أثرها الكبير فى إضعافهم جميعا (٣) .

ومهما يكن من شىء فيبدو أن تورانشاه قد اكتفى من أمر الفتح بما توصل إليه ، باعتباره محققا للأغراض التى جاء من أجلها ، إذ تمت له السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر باستيلائه على اليمن وتم تأمين حدود الدولة الأيوبية فى الجنوب ، كما قضى على بنى مهدى وبقايا النفوذ الفاطمى باليمن، وأعاد الخطبة للخليفة العباسى ، وقضى على مظاهر الانقسام الداخلى ، وأصبحت بلاد اليمن جزءا من الدولة العربية الموحدة .

---

(١) الحنبلى ، أحمد بن إبراهيم بن نصر الله : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب — مخطوط — ص ١٣ ، نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ٤٤ .

(٢) الروضتين ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) لقد كان آخر تلك الحروب بالقرب من تعز فى ربيع الأول سنة ٥٦٩ هـ / أكتوبر ١١٧٣ م (بهجة الزمن ص ٦٣ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٢٨) .

الفصل الثالث

نواب تورانشاه فى اليمن

(٥٧١ — ٥٧٩ هـ / ١١٧٦ — ١١٨٤ م)

أسباب عودة تورانشاه من اليمن :

لقد ظل تورانشاه فى اليمن إلى سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م . وكانت إقامته فيها سنتين (١) ، استطاع خلالها أن يسيطر على معظم بلدانها . كما تمكن من توحيد أجزاء اليمن المتناحرة ، وقضى على ما كان يسودها من اضطرابات . فلما استتبت له الأمور ، وأصبحت البلاد جزءا من الدولة الأيوبية ، قرر العودة منها ليأخذ مكانه مع أخيه صلاح الدين فى النضال ضد الصليبيين . وقد أورد المؤرخون أسبابا متباينة لعودته من اليمن .

فقيل أنه كره المقام فى اليمن (٢) ، ولم تعجبه تلك البلاد لجدبها ، وأنه اشتاق إلى الشام وخيراتها الكثيرة ، فكتب إلى صلاح الدين يبدى تبرمه من البقاء فى اليمن (٣) ويستأذنه فى العودة إلى الشام . ولكن صلاح الدين لم يوافقه ، وأرسل إليه يرغبه فى البقاء فيها ، مبينا له أن اليمن قطر مبارك ،

---

(١) ظل تورانشاه فى اليمن ابتداء من رمضان ٥٦٩ إلى رجب ٥٧١ هـ (ابريل ١١٧٤ — يناير ١١٧٦ م) .

(٢) ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٢٥٩ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ، مخطوط ، ج١٣ قسم ١ ص ١٥ .

(٣) العراقى : مختصر ص ٧٤ .

ومملكة واسعة كثيرة الخيرات والأموال (١) .

فلما اطلع تورانشاه على رسالة أخيه لم يقتنع بها ، وعمد إلى إظهار عدم راحته في اليمن (٢) . وأعاد رسول أخيه برسالة أوضح فيها ذلك ، وطلب أن يسمح له بالعودة . فلما وصلت الرسالة إلى صلاح الدين أذن له بذلك(٣).

وقيل أنه اشتاق إلى أخيه فأرسل إليه رجلا من أعيان اليمن وحمله كتابا ضمنه أبياتا من شعر ابن المنجم المصري (٤) يعبر فيها عن شوقه وحنينه للعودة، فلما قدم رسول تورانشاه قابله صلاح الدين بالإكرام . وكان تورانشاه قد

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ١٨١ ــ ١٨٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠١ ، يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٨ أ .

(٢) اظهر تورانشاه عدم ارتياحه من البقاء في اليمن ، وعبر عن ذلك بان طلب من متولي خزانته ــ في حضور رسول اخيه ــ ان يحضر له ألف دينار ، فلما أحضرها طلب من استاذ دارة ان يبعث ليشترى له بها قطعة ثلج ، فلما اخبره استاذ الدار بأنه لا يوجد ثلج ببلاد اليمن طلب أن يشترى له بنفس المبلغ طبق مشمش لوزى ، وظل تورانشاه يعدد أنواع من الأصناف وأستاذ الدار يعجب من طلبه ، لأن ما يطلبه لا يوجد في ذلك الموسم . فلما استوفى تورانشاه حديثه ، قال لرسول اخيه : « ليت شعري ، ماذا أصنع بهذه الأموال اذا لم أنتفع بها فيما أريد فإن المال بعينه لا ينفع، وانما الفائدة ان يتوصل به الإنسان الى اغراضه » الخزرجي : العسجد ص ١٨١ ــ ١٨٢ .

(٣) الخزرجي : نفس المصدر ص ١٨٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠١ ، يحيى ابن الحسين : انباء الزمن ص ٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ، نظير سعداوي ، التاريخ الحربي المصري ص ٧٧ ــ ٧٨ .

(٤) هو الشاعر المصري نشو الدولة علي بن مفرج المنجم المتوفى سنة ٦١٦ هـ (مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٨) ، انظر ترجمته في العماد : الخريدة ، قسم شعراء مصر ج ١ ص ١٦٨ ــ ١٦٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٦) .

أوصى رسوله بأنه متى وجد مجلس أنس من أخيه أن ينشده تلك الأبيات[١]. فلما فرغ الرجل من إنشاده ، قال صلاح الدين : « القعود والقفول إليه ، إن أحب أن يقف فليقف ، وإن أحب أن يصل فليصل » .

وذكر المقريزى[٢] أن سبب خروج تورانشاه من اليمن يرجع إلى أنه « التاث بدنه » بزبيد ، فارتجل له سيف الدولة مبارك بن منقذ ـ واليه على زبيد ـ شعرا قال فيه :

وإذا أراد الله أن يشقى امرءًا   وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال عن مصر بلا سبب   وأسكنه بأرض زبيد

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠١ ، ابو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٦٢ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٥٠ ص ٢٨٤ ، ابن الوردى تاريخه جـ٢ ص٨٦ ـ ٨٧ ، ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ٣ ص ٦٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٤٨ ـ ٤٩ . ومما قاله ابن المنجم :

الشوق أولع فى القلوب وأوجع   فلأى ادمع فيه مالا يدفع
وحملت من وجد الأحبة والنوى   ما ليس تحمله الأحبة أجمع
لا يستقر بى النوى فى موضع   إلا تقاضانى الترحيل موضع
والى صلاح الدين أشكو أننى   مضنى كئيب مستهام موجع
جزعا لبعد الدار منه ولم أكن   لولا هواه لبعد دار اجزع
ولأركبن اليه متن عزائمى   ويخب بى ركب الغرام ويوضع
ولأسرين الليل لا يسرى به   طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبى مخبرا   انى بجسمى عن قريب اتبع

(٢) المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٦٠ .

وقيل بل وصلته رسالة (١) من أخيه صلاح الدين ، يسأله فيها عن أحواله ويخبره بوفاة نور الدين محمود . ويبلغه باستيلائه على مملكته من بعده (٢) . فاشتاق تورانشاه للعودة إلى الشام (٣) ، طمعا فيها (٤) . وطلب من الأديب أبو بكر بن أحمد العيدى (٥) أن يجيب عنه ، ويستأذن صلاح الدين ليسمح له في الوصول اليه . فنظم الأديب العيدى قصيدة وختمها برسالة (٦) بعث تورانشاه إلى أخيه بمصر ، ومما جاء فيها قوله :

لولا محلك في قلبي وأفكاري ... مارنح الشوق أعطافي وتذكاري

ولا التفت إلى مصر وساكنها ... وقد تعوضت عن مصر بأمصاري

ولا حثثت إلى أرض الشام راحلتي ... وإن تكن تلك أوطاني وأوطاري

ولا شجتني كتب منك واردة ... تجل أخطارها في عظم أخطاري

يابارق الشام ما الأوطان من يمن ... أوطان شجوى ولا الأوطار أوطاري

ماالدار إلا دمشق والمنى حلب ... والسؤل مصر وفي الزوراء مزداري

تلك المنازل لالحج ولا عدن ... ولا زبيد ولا أكتاف تعشاري

---

(١) بامخرمة : قلادة النحر ج٢ ص ٧٤٨ ، تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ٣٨ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٨١ ، طراز الزمن ج٢ ص ٤٤٥ . الكبسى : اللطائف ص ٢٨ أ ، العبدلى : هدية الزمن ٦٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص١٩٦ .

(٤) يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٤ .

(٥) ابوبكر بن احمد بن محمد العيدى ، اديب عدني كان وزيرا لصاحب عدن من بنى زريع ، وكان صاحب ديوان الإنشاء في دولته

Derenbourg : Oumara Du Yémen, Vol 2, P.569

(٦) انظر ، الخزرجى : العسجد ص ١٨٢ - ١٨٣ ، طراز الزمن ج٢ ٤٤٦ - ٤٤٨ العبدلى : هدية الزمن ص ٦٧ - ٦٨ .

هذا على أن قدر الملك فى يمن ... مال ولكنه من دون مقدارى
وقد أبدت الملوك المنتمين به ... واقتدتهم قود إذلال وإصغار
لكنه مذ أتتنى الكتب تخبر من ... إضمار شوقك ماتخفيه إضمارى
وخبرات بفتح الشام هيج لى ... ماأعربت عنه من شوق وإخبارى
وزادنى أسفا جر الجيوش ولم ... أجرر بها ذيل عالى النقع جرار
وفتح سيفك حمصا مع حماة وكم ... حامى على الغاب منها ليثها الضارى
فكدت من فرط شوقى أن أطير إلى ... سامى مقامك فى جيشى وأنصارى
وأطرق الشام لاهمى بمنصرف ... عن الشام ولا عزمى بخوار
وأصبح القدس والافرنج فى لجب ... بزاخر بعباب الموج تيار
هذا اقتراحى فمن لى أفوز به ... محكما فيه إيرادى وإصدارى

فلما وصلت رسالة تورانشاه إلى صلاح الدين ، رد عليها بكتاب ضمنه عدة أبيات من شعر العماد الأصفهانى [1] جاء فيها :

مولاى [2] شمس الدولة [3] الملك الذى ... شمس السيادة من سناه تطلع
مالى سواك من الحوادث ملجأ ... مالى سواك من النوائب مفزع
ولأنت فخر الدين فخرى فى العلى ... وملاذ أمالى وركنى الأرفع
لا بخدمتك المجلة موقعى ... والله ماالملك عندى موقع

---

(١) انظر ، الخزرجى : العسجد ص ١٨٤ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٩ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢) المولى ، لفظ يطلق على السيد أو المملوك أو العتيق وعلى المنتسب الى قبيلة ، ويستعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانا ، وقد جرى استعماله فى بعض الأحيان على سبيل التواضع؛ (حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ ص ٥١٦ وما بعدها) .

(٣) شمس الدولة ، أحد القاب تورانشاه بن أيوب .

وبغير قربك كل ما أرجوه من درك المنى متعـــذر متمنـع
النصر إن أقبلت نحوى مقبل واليمن إن أسرعت نحوى مسرع

وعاد رسول تورانشاه بالرسالة والأبيات إليه فلما قرأها ولم يجد اعتراضا من أخيه عزم على السفر والعودة إلى الشام.

ومهما يكن من شيء، فإن نظرة على مسرح الأحداث فى الشام واليمن كفيلة بأن توضح الأسباب الحقيقية التى من أجلها ترك تورانشـاه اليمن. فلقد توفى نور الدين محمود فى شوال سنة ٥٦٩ هـ/ مايو ١١٧٤ م، أى بعد توجه تورانشاه إلى اليمن بثلاثة شهور. وعقب وفاته حدث انقسام فى دولته، ورأى صلاح الدين أن من واجبه القضاء على هذا التصدع والمحـافظة على سلامة كيان تلك الدولة. ولهذا وجد نفسه مضطرا - أمام ماتواجهه الدولة من أخطار - إلى الاستيلاء على أملاك نور الدين، ليتمكن من اتمام رسالته التى وهبها حياته، وأعنى بها توحيد الجبهة العربية الاسلامية وتكتيل الجهود ضد الصليبيين، وفى تلك الأثناء كان تورانشاه قد انتهى من مهمة فتح اليمن [فى اطار ضم تلك البلاد إلى ركب الجهـاد الاسـلامى ضـــد الصليبيين. ولما كان من السهل أن يتم حكم اليمن بواسطة نواب تورانشاه. لهـــذا استقر رأيه على العودة إلى أخيه صلاح الدين للوقوف إلى جانبه فى ذلك الوقت الدقيق - ضد الحاقدين عليه من أنصار الدولة الفـاطمية فى الداخل، أو أنصار البيت الأتابكى، أو القوى الصليبية فى الشام.

وهكذا فما أن جاءت رسالة صلاح الدين إلى تورانشاه يسأله فيهـا عن أحواله، ويشرح له الموقف بالشام ومخاطره، حتى أسرع فى الرد عليها، مطالبا السماح له بالعودة من اليمن، للوقوف بجانبه والمساهمة معه فى مجاهدة

الصليبيين ، وخاصة بعد أن انتهى من أمر اليمن ، واستتبت الأمور له فيها[١] فوافق صلاح الدين مرحبا بعودته إليه .

نواب تورانشاه في اليمن :

لم يكد تورانشاه يستقر رأيه على العودة من اليمن حتى أناب عنه فيها نوابا ، فاستخلف أبا الميمون المبارك بن منقذ [٢] على زبيد وما إليها – جنوبي المخلاف السليماني – وجعل عثمان الزنجيلي [٣] في عدن وأعمالها ، جنوبي اليمن . أما مملوكه ياقوت التعزي فقد أنابه على تعز وبلادها – في الجزء الجنوبي من اليمن الأسفل . كما جعل مظفر الدين قايماز على حصن التعكر وذي جبلة والجند من مخلاف جعفر [٤] في الجزء الشمالي من اليمن الأسفل ، وجعل في كل قلعة نائبا من أتباعه [٥]

وهكذا وبعد أن انتهى تورانشاه من ترتيب الأمور في اليمن غادرها

---

(١) محمد حسن : قلب اليمن – بغداد ١٩٤٧ – ص ٣٨ .

(٢) ابو الميمون مبارك بن كامل بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٣٨) من بني منقذ أصحاب شيزر .

(٣) هو عز الدين ابو عمرو عثمان بن على الزنجيلي ، نسبة إلى قرية زنجيلة من قرى دمشق (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٣١ ، قلادة النحر ج ٢ ص ٧٦٥) .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٦ ب ، الخزرجي : العسجد ص ١٨٥ ، طراز الزمن ج٢ ص ٤٥٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٢ ، بامخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ٧٤٨ ، تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ٣٨ ، الشرفي : اللآلى المضية ج٢ ص ١٣٢ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسي : اللطائف ص ٢٨ أ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٢ حاشية ٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٧٩ ، جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي ص ١٠٥ .

فى رجب سنة ٥٧١ هـ (١) يناير ١١٧٦ م فى طريقه إلى الشـام فلما وصل إلى مكة فى ليلة النصف من شعبان سنة ٥٧١ هـ /آخر فبراير ١١٧٦ م ، كان قد حـدث خلاف فيها بين أمرائها من بنى فليتة ، فأصلح (٢) بين الأمير مكثر بن عيسى بن فليتة (٣) وبين أخيه داود . ثم واصل تورانشاه سيره متوجها إلى الشام وقد بلغ من تلهفه على الوصول إلى أخيه أن بعث إليه من تيماء – بأرض الحجاز – بأبيات من شعر ابن المنجم المصرى جاء فيها :

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦ب ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٣٨ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٤٨ ، الشرفى : اللالى المضية جـ ٢ ص ١٣٢ب (قال الجندى : ان تورانشاه اتخذ طريقه إلى ذى جبلة ثم الى صنعاء ومنهـــا على المدارة ، فلما اقترب من حصن أشيح خرجت عليه بعض القبائل فنهبوا خزائنه وهو متقـدم الى الشام (انظر: المسجد ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، قرة العيون ص ١٠٢) .

(٢) الفاسى ، تقى الدين محمد بن احمد العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين – مخطوط – جـ ٤ ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٣) توفى عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسنى سنة ٥٧٠ هـ ، فقام بولاية مكة من بعده ابنه مكثر سنة ٥٧١ هـ ، وقد تداول الولاية فيهـــا مع أخيه داود ، وبمكثر ابن فليته انتهت دولة الهواشم (الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ١٨٣) ، وتولى عليها بعده أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسنى (الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص ٥٤٩) وهو السبط العاشر من ولد موسى الحسنى ، والسادس عشر من ولد على بن أبى طالب (زيادة : السلوك جـ١ ص ١٦٢ حاشية ٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ ص ٢٦٧– ٢٧٥ ، Hogarth : A History of Arabia, p. 82 ENC, of Islam : Arts. Meca, Katada.

وكانت ولاية قتـــادة سنة ٥٩٧ هـ على ما ذكره اليورق ، وفى سنه ٥٩٨هـ كما ذكر الذهبى فى العـــبر ، أو سنة ٥٩٩ هـ على ما ذكره ابن محفوظ (الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ١٨٣) .

Scanned by CamScanner

ولما تمادت مـــدة البين بيننا ... ونازعني قلب إلى الشام نازع

ركبت اشتياقا موضعا حين شاقنى ... هـدى ساكنيها لم تسعنى المواضع

فهل لأخى ، بل مالكى علم أننى ... إليـه وإن طـال التردد راجـع

وأنى بيوم واحـــد من لقائه ... لملـــكى على عظم البرية بائـــع

ولبيتـــه لما دعـــانى مسرعا ... بنفسى ومـالى والمشـوق مسارع

ولم يبـق إلا دون عشرين ليلة ... وتجنى المنى أبصـارنا والمسـامع

لدى ملك تعنـو الملوك لبـأسه ... وتخشع إعظـاما له وهو خـاشع

وتضطرب الدنيا لبـث جنـوده ... سوى ماحواه ملكه فهو وادع (١)

ولقد وصل تورانشاه إلى أخيه قبيل موقعة المواصلة (٢) وهزيمتهم بتل السلطان — إلى الجنوب من حلب — ويرجع الفضل إلى تورانشاه فى الظفر عليهم (٣) .

---

(١) العماد الاصفهانى : خريدة القصر — قسم شعراء مصر — ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) كانت موقعة المواصلة بين السلطان سيف الدين غازى صاحب الموصل — الذى جاء لمناصرة اسماعيل بن نور الدين — ضد صلاح الدين . وقد انتصر عليهم صلاح الدين فى العاشر من شوال سنة ٥٧١ هـ / ٢٢ ابريل سنة ١١٧٦ م، فى تل السلطان من نواحى حلب . (نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ٦٩ وما بعدها) وقد سميت بموقعة المواصلة نسبة إلى الموصل التى كان صاحبها طرفا فى المعركة .

(٣) ابن كثير : البـداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٩٣ (وذكرت بعض المصـادر أن تورانشاه قدم على أخيـه وهو محاصر لحلب فى رمضان وقيل فى ذى الحجـة سنة ٥٧١ هـ) الخزرجى : العسجد ص ١٨٦ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٣٨ ، قلادة النحر ج ٢ ص ٧٤٨ ، الشرقى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٢ ب (وقيـل بل كان وصوله فى أغسطس

وفاة تورانشـــاه :

لما توجه صلاح الدين إلى مصر عقب تركه حصار حلب فى ذى الحجة سنة ٥٧١ هـ / يونية سنة ١١٧٦م أناب تورانشـــاه على دمشق وذلك فى ربيع الأول سنة ٥٧٢ هـ / سبتمبر سنة ١١٧٦ م ، فأقام بها مدة ثم استنابه صلاح الدين بعد ذلك على بعلبك (١) . ولكنه لم يلبث أن تركها إلى مصر فى ذى القعدة سنة ٥٧٤ هـ / ابريل ١١٧٩ م حيث ولاه صلاح الدين على الاسكندرية (٢) ، فظل واليا عليها إلى أن مات فى الخامس من صفر سنة ٥٧٦ هـ (٣) / أول يولية سنة ١١٨٠ م .

استقلال نواب تورانشاه، وخطورة الأحوال فى اليمن :

لقد ترك تورانشاه اليمن بعد أن جعلهـا عمـلا له (٤) . وقـد ظل نوابه يبعثون إليه بما يجبونه من أموال كل عام (٥) . فلما علموا بوفاته ، ولم يـأتهم من

= ١١٧٦م – صفر سنة ٥٧٢هـ) نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ٧٨ . (ومن الواضح أنه بارح أرض الحجاز فى النصف الثانى من شعبان ٥٧١ هـ، جادا السير الى أخيه، وأنه حدد المدة الباقية له عن الوصول لأخيه – كما ورد فى شعر ابن المنجم – بأقل من عشرين ليلة . وعلى هذا فقد كان وصوله فى رمضان سنة ٥٧١ هـ) .

(١) Marin (M.) : Histoire De Saladin; Tome; I, p. 347.

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٢ ، الخطط ج ٣ ص ٦٠ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٧١ .

(٤) العرشى : بلوغ المرام ص ٤١ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٨١ .

(٥) الخزرجى : العسجد ص ١٨٦ ، طراز الزمن ج ١ ص ٣٨٦ ، ج ٢ ص ٤٥٥ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٩ ، الشرفى : اللآلى المضيئة ج ٢ ض ١٣٢ ب ، العامرى : غربال الزمان ص ١٧١ ب، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن =

قبل صلاح الدين ليقوم مقامه ، اختلفوا فيما بينهم ، وأظهروا الخروج على الطاعة . وسادت الفوضى بينهم وتغلب كل منهم على ما تحت يده ، وامتنعوا عن مواصلة إرسال الأموال التي كانوا يبعثونها الى تورانشاه . واستقلوا بمواضعهم ، وادعى كل منهم الملك لنفسه . وضرب كل منهم سكة خاصة به، وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها[1]. وخطب لكل منهم على المنابر[2]، فيما عدا مظفر الدين قايماز — نائب حصن التعكر وذى جبلة والجند — فإنه كان قد ضعف أمره ، وعجز عن ضبط منطقته . فلما علم عثمان الزنجيلي — والي عدن — بما وصل إليه قايماز من الضعف سار إليه لمحاربته ، طمعا فيما تحت يده من البلاد ، والعمل على ضمها إليه[3] .

أما سيف الدولة مبارك بن منقذ — نائب تورانشاه في زبيد — فإنه كان قد « تحكم في الأموال والبلاد ، بعد أن فارقها شمس الدولة »[4] ،

= ص ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٢ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٦٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩ .

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٧ ، النويري : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٢ حاشية ٢ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ أ ، البكرى : في جنوب الجزيرة ص ١١٠ ، العبدلي : هدية الزمن ص ٧٣ — ٧٤ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٣١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٧ ب ، الخزرجي : العسجد ص ١٨٦ — ١٨٧ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٨ أ ، البكرى : تاريخ حضرموت السياسي ج ١ ص ٨١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٣ .

وضبط حكم بلاده . وفى أيامه ظهر أحد الصوفية ، ويدعى مبارك بن خالف، وأخذ يعظ الناس ، فمال إليه كثير من أهل زبيد ، والتفوا حوله . فقتله ابن منقذ خشية أن يسلك نفس السبيل الذى سبق لآل مهدى أن سلكوه من قبل (١) .

لم يبق ابن منقذ فى اليمن طويلا بعد رحيل تورانشاه « ولا استطاب اليمن ، بل لحقه فيها المرض » (٢) ، فكره المقام بها. وكتب إلى صلاح الدين يستأذنه فى العودة وترك أخاه حطان بن منقذ نائبا بدله على أعمال زبيد ، وعاد إلى مصر (٣) ، وظل فى خدمة تورانشاه ، فلما توفى انتقل ابن منقذ إلى خدمة صلاح الدين (٤)، وكان قد تحصل لديه من الأموال « الطريف والتليد » (٥) . فحقد عليه البعض ودبروا له مكيدة بأن أخبروا صلاح الدين بأن ابن منقذ يتجهز للفرار من البلاد والعودة إلى بلاد اليمن ، للاستيلاء عليها لنفسه . فأمر صلاح الدين باعتقاله وصادر أملاكه (٦) .

---

(١) الخزرجى : العسجد ص١٨٧ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ ، بغية المستفيد ص ٩ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ٦ ب .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر ص ١٨٧–١٨٨ ، ابن الديبع: قرة العيون ص١٠٣ ، بغية المستفيد : ص ٩ ب ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر ص ٥٥ (وقيل بأن ابن منقذ عاد الى مصر مع تورانشاه) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٦٩ (وليس هناك ما يؤيد ذلك ، خاصة وأن عودة تورانشاه كانت الى الشام وليست الى مصر مباشرة ، كما أنه ليس لدينا ما يشير الى توجه ابن منقذ الى الشام .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٠٣ .

(٥) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٥ .

(٦) لما عاد ابن منقذ الى مصر أقام سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م وليمة عظيمة دعا إليها —

أما عثمان الزنجيلي — صاحب عدن — فكان قد قويت شوكته واستفحل أمره ، ذلك أنه استولى على أملاك مظفر الدين قيماز — صاحب حصن التعكر وما حوله — بعد وفاة تورانشاه . كما سبق أن استولى على حضرموت، في الرابع من ذى الحجة سنة ٥٧٥ هـ / مايو ١١٨ م ودخل عاصمتها تريم، وقبض على سلطانها وجماعة من أمرائها واعتقلهم في عدن . وهكذا تولى الزنجيلي أمر حضرموت (١) بالاضافة إلى عدن وأعمالها .

وقد سبق الإشارة (٢) إلى أن تورانشاه هو الذى فتح حضرموت ، وأنه أناب عنه بها رجلا كرديا يدعى هارون (٣) . ولكن ماتحت أيدينا من مصادر

أعيان الدولة وذلك بقرية الصلاحية — وهى على النيل، وكان قد اشتراها من صلاح الدين — فلما بعث أصحابه لشراء ما يحتاجونه من أطعمة وغيرها لهذه الوليمة، قيل لصلاح الدين أنه يتجهز للهرب الى اليمن « ومتى دخل اليمن أخرجه من طاعتك » (ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٤) وفى أثناء المأدبة تقدم بهاء الدين قراقوش وقبض على ابن منقذ واعتقله (الروضتين ج ٢ ص ٢٥ ، مفرج الكروب ج٢ ص١٠٤). وكان الوشاة قد ادعوا أن ابن منقذ قد استولى على أموال زبيد، وأن له كنوز لا تبيد . وأشاروا على صلاح الدين بقبضه ومصادرته ، وقالوا له : « إن لم تدركه فات » فأمر باعتقاله وصادره واحتج عليه بمصادرته ابن مهدى باليمن (المسجد ص ١٨٨ ، تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٦٩ ، قرة العيون ص ١٠٣ ، أنباء الزمن ص ٥٥) ولكن لم يلبث أن افتدى ابن منقذ نفسه بثمانين ألف دينار — لم يظهر فيها بيع متاع ولا استدانة من تجار ولكن صلاح الدين عاد ورد لابن منقذ أمواله وزاد في انعامه وأكرمه (الروضتين ج ٢ ص ٢٥).

(١) بامخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) انظر ص ٩٥ .

(٣) العيني : عقد الجمان مجلد ٥٠ ص ٥٨٥ : نظير سعداوى : التاريخ الحربي ص ٧٧ .

يمنية لم تورد شيئا عن ذلك، مما يجعلنا في حاجة إلى ما يؤيد ويدعم لرواية ابن أبي طي التي نقلها أبو شامة (١) إذا ما أردنا الأخذ بهـا .

ومن المرجح أن استيـلاء الزنجيلي على حضـرموت كان بعـــد عودة تورانشاه من اليمن إلى مصر، ولهذا ذهب ابن أبي طي إلى القول بأن فتحها كان على يد تورانشاه باعتبار أن الزنجيلي قد قام بالفتح نيابة عنه.

ومهما يكن من شيء، فقد عاد الزنجيلي من حضر موت بعد أن ولي عليهـا أحد أتباعه ويدعى عمر بن مهدي (٢) . ولكن أهل حضـرموت لم يلبثوا أن خرجوا عن طاعته وأعلنوا عصيانهم في المحرم سنة ٥٧٦ هـ (٣)/يونيه ١١٨٠م. ويبدوا أن سلاطين حضرموت - وهم من آل راشد - قد استطاعوا الفرار من الأسر ، وعادوا إلى حضرموت وخلعوا طاعة الزنجيلي. فأرسل لهم جيشا تمكن من إخضاعهم مرة ثانية وأعادهم إلى الأسر في عدن مرة أخرى (٤) وقتل من أهل حضرموت عددا كبيرا معظمهم من الفقهـاء والقراء الذين حرضوا آل راشد على عصيان الزنجيلي (٥).

وظلت حضرموت تابعة لعثمان الزنجيلي إلى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م عندما اضطر إلى الفرار منها إلى الشام ، خوفا من السلطان طغتكين عنـدما أرسله

---

(١) انظر: الروضتين جـ ١ ص ٢٦٠.

(٢) البكري: تاريخ حضرموت جـ ١ ص ٨١ ، في جنوب الجزيرة العربية ص ١١٠.

(٣) بامخرمة: قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٦٠ .

(٤) البكري: تاريخ حضرموت جـ ١ ص ٨١ .

(٥) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ص ٢٢١ ، الجندي: السلوك جـ ٢ ص ٢١٦ ، الخزرجي: العسجد ص ١٨٧ ، الحبشي: هدية الزمن ص ٧٤ .

أخوه صلاح الدين لتولى السلطنة فى اليمن . فلما فر الزنجيلى عاد آل راشد إلى حضرموت وقاموا بالحكم فيها (١) .

وهكذا فتح أعقب وفاة تورانشاه استقلال نوابه بأعمالهم، مما هدد بانهيار الوحدة السياسية لليمن مرة أخرى كما كان للصراع بينهم من أجل الاستحواذ على السلطة أثره فى إيجاد جو من الفوضى هناك ، وأخـذت القوى الأيوبية هناك فى الصراع فيما بينها . وأخيرا تم الاتفاق بـين الزنجيلى وياقوت التعزى وقايماز على محاربة حطان بن منقذ ، والى زبيد . قال ابن حاتم : (٢) «فساروا إلى زبيد وحصروها أياما . ثم ان [حطان] ومن معه احتالو وفتحوا بابا فى الليل على صوت المحاط (٣) التى لهـؤلاء الأمراء ، وخرجـوا منه وهجموهم فقتلوا وسلبوا وغنموا الغنائم الجمة . ولم ينج إلا الأمراء فحسب ، مع ماقل من عسكرهم . وسمى هذا الباب باب النصر» .

حملة خطلبا التأديبية وعودة الاستقرار إلى اليمن :

وأمام الموقف المتأزم فى اليمن واضطراب الأمور فيها ، واستمرار الفتن بين نواب تورانشاه ، خشى صلاح الدين أن تخرج تلك البلاد عن السيطرة الأيوبية (٤) . ولهذا جهز حملة تأديبية للقضاء على الفتن الناشبة هنـاك (٥) .

---

(١) البكرى : تاريخ حضرموت ج ١ ص ٨١ ؛ فى جنوب الجزيرة العربية ص ١١٠ .
(٢) السمط : ص ٧ أ .
(٣) المحاط جمع محطة . انظر ص ٦٩ حاشية ٣ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢١٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٤ .
(٥) عبد الكريم غرايبة : العرب والأتراك - دمشق ١٩٦١ - ص ٢٤٧ .

وجعل على رأسها صارم الدين خطلبا (١) - والي القاهرة - وندب معه عددا من الأمراء لمساعدته في السيطرة على تلك البلاد وحفظها واصلاح الأمور فيها (٢) .

وأشار المقريزى (٣) إلى التجهيزات التي تم تزويد خطلبا ، فقال : « وأنشئت أربع حراريق (٤) - بصناعة مصر - برسم من تجرد إلى بلاد اليمن . وجردت أمراء العسكر السائرين إلى اليمن ...، وفي جمادى الآخرة ٥٧٧ هـ (أكتوبر ١١٨١ م) سيرت المراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن ... وفي شوال ٥٧٧ هـ(فبراير ١١٨٢) سار خطلبا - والى مصر - واليا على زبيد وصحبته خمسمائة رجل ... وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف دينار . وكتب للطواشية (٥) بنفقة عشرة

(١) هو صارم الدين خطلبا بن موسى والى القاهرة . وكانت قد أضيفت اليه ولاية الفيوم ، ثم صرف عنها بابن شمس الخلافة ، واختير ليتولي حملة اليمن (انظر ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٤ ، ص ٧٢، ابن أبيك ، درر التيجان وغرر تاريخ الأزمان - مخطوط - حوادث سنة ٥٧٧ هـ .

(٢) ابو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٢٥ ، ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر - مخطوط - جـ ٧ ص ٥١ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ١ ص ٧٤ - ٧٦.

(٤) الحراريق نوع من السفن الخفيفة (المقريزى : السلوك جـ١ ص ٧٤ حاشية ٦،
Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes.)
وتستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الأغريقية : وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو (قاموس محيط المحيط ، المقريزى : السلوك جـ١ ص ٣٠٦، درويش النخيلي : السفن الاسلامية على حروف المعجم . طبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ ، ص ٣٢وما بعدها)

(٥) الطواشية : هم الخصيان الذين استخدموا في الطباق المملوكية، وفي الحريم =

دنانير لكل منهم على اليمن ، إن كان من الإقطاعية (١)، وللبطالين (٢) والمرتجلة (٣) في الشهر ثلاثة وثلاثين دينارا . وسيرت الحرائق – وهي خمسة – وشحنت بالرماة (٤).

وهكذا توجهت الحملة إلى اليمن ، وكتب صلاح الدين إلى كافة الأمراء بها بطاعة خطلبا والتعاون معه على حرب حطان بن منقذ – والي زبيد – لإخراجه منها ، وليتولى خطلبا بدله (٥) . وسار خطلبا بحملته بالبحر إلى عدن ، فاستقبله واليها الزنجيلي بالإجلال والتعظيم والطاعة (٦) . وتم الاتفاق بينهما على التوجه إلى زبيد للاستيلاء عليها ، فلما وصل إلى مدينة الجند جاءهما ياقوت التعزي من تعز ، ومظفر الدين قايماز من حصن التعكر ، (٧) وواصل

= السلطاني – وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة – ويعد شيخهم من أعيان الناس (المقريزي : الخطط جـ ٤ ص ٢١٩) .

(١) الإقطاعية : هم الجند الذين أقطعهم الأيوبيون الإقطاعيات لربطهم بها ، وحثهم على التفاني في الحروب من أجل الإبقاء عليها والاحتفاظ بها .

(٢) البطالين : هم الأجناد والأمراء العاطلون من عمال الدولة ووظائفها ولإقطاعاتها نتيجة غضب السلطان عليهم أو لكبر سنهم أو لاضطرارهم للاعتكاف والاختفاء ، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد (السلوك جـ١ ص٧٣ حاشية ٤) .

(٣) المرتجلة : هم المشاة ولهم الفرسان .

(٤) المقريزي : السلوك جـ ١ ص ٧٤ – ٧٦ ، نظير سعداوي : التاريخ الحربي ص ١٣١ .

(٥) بامخرمة : ثغر عدن جـ٢ ص ٧٠ ؛ قلادة النحر جـ٢ ص ٧٥٣ ، مفرج الكروب جـ٢ ص ١٠٢ حاشية ٢ .

(٦) الخزرجي : العسجد ص ١٨٨ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٧ ، النويري : نهاية الأرب جـ٣١ ص٤٠ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد ص ١٠ أ .

(٧) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص٧٠ ، قلادة النحر جـ٢ ص٧٥٣ .

الجميع سيرهم إلى زبيد . فلما علم حطان بذلك أخلى المدينة ، وهرب إلى حصن قوارير (١)، وتحصن فيه، فدخل خطلبا إلى زبيد واستولى عليها (٢).

وهكذا وبعد أن انتهى كل من الزنجيلي والتعزي وقايماز من مساعدة خطلبا في الاستيلاء على زبيد، عادوا إلى مناطقهم بعد أن أدوا مهمتهم. وظل حطان في حصن قوارير يترقب ، وينتهز الفرصة لاستعادة زبيد . كما كان يغير على أطراف المدينة في أوقات متفرقة (٣) ثم عدل من طريقته. ولجأ إلى أسلوب غير أسلوب الحرب والإغارة ، إذ عمل على التودد إلى خطلبا وأخذ يراسله ويبعث إليه بالهدايا حتى توطدت العلاقات بينهما .

وفاة خطلبا ،وتدهور الأمور في اليمن من جديد :

لم يمض وقت طويل حتى مرض خطلبا مرضا شديدا . فلما أحس بدنو أجله ، أرسل في استدعاء حطان بن منقذ سراً من حصن قوارير . فدخل المدينة متخفيا ، فلما اجتمع بخطلبا سلمه المدينة ومات من ليلته .وهكذا استولى حطان على زبيد مرة أخرى (٤) ، وعاد إلي ولايته ، واستعاد ما كان فيه من الملك (٥) وأطاعته الناس لجوده وشجاعته (٦) .

---

(١) قوارير : حصن بالقرب من زبيد .

(٢) الخزرجي : العسجد ص ١٨٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص٧٠ ، قلادة النحر جـ٢ ص ٧٥٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص١٠٣ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص٧٧ ، النويري : نهاية الأرب جـ٣١ ص ٤٠ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ أ .

(٤) الخزرجي : نفس المصدر ص ١٨٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٣ .

(٥) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص٧٠ ، قلادة النحر جـ٢ ص٧٥٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ١١ ص٢١٣ .

فلما علم عثمان الزنجبلي بما حدث في زبيد ، جمع جموعه وتوجه من عدن إلى زبيد وحاصرها ، ولكنه لم يستطع أن يصنع شيئا،وظل متربصا بحطان،ولكن حطان كان في غاية الحرص والحذر (١) .

وبهذا نرى أن مجيء خطلبا إلى اليمن قد ساعد إلى حد كبير في القضاء على الفتنة والفوضى التي نشبت بين صفوف نواب تورانشاه بعد وفاته . غير أنه لم يكد خطلبا ينجح في مهمته حتى وافته المنية ،وعادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل مجيئه . وتجددت الفتنة من جديد بين نواب تورانشاه، وعاد حطان واسترد زبيد ، وتعقدت أحوال البلاد واضطربت نتيجة لعودة الخلاف ، وتوالت الحروب بين النواب، مما اضطر صلاح الدين الى ارسال حملة أخرى بقيادة أخيه طغتكين بن أيوب لإقرار الأمور في اليمن .

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ١٨٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٣ .

الفصل الرابع

طغتكين بن أيوب
واستقرار الأوضاع فى اليمن

(٥٧٩ - ٥٩٣هـ/١١٨٣- ١١٩٧ م)

حملة طغتكين ... أسبابها :

كان الصراع قد عاد من جديد بين نواب تورانشاه بعد وفاة خطلبا ، واضطربت الأحوال فى بلاد اليمن، إلى جانب عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبيل الفتح الأيوبى من الانقسام والتفتت والفوضى الداخلية . وقد صادفت تلك الأوضاع السائدة فى اليمن وقتذاك ، تعرض الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز لمؤامرة من أخطر المؤامرات التى يمكن أن تواجهها ، فلقد كان لدور صلاح الدين البطولى فى الوقوف أمام القوى الصليبيـة فى الشام أثره فى قيام البرنس أرناط ـ صاحب الكرك ـ بحمله بحرية فى البحر الأحمر يهدف الاعتداء على حرمة الديار المقدسة وقبر الرسول ، وقطع الصلة البرية والبحرية بين مكة والمدينة وبين بقية العالم الإسلامى ، وضمان السيطرة التجارية على البحر الأحمر والمحيط الهندى باحتلال أيلة شمالا وعدن جنوبا ، والعمل على ضم الحبشة إلى القوى الصليبية فى الشمال (١) . وهكذا فإذا نجح أرناط فى تحقيق مخططه ، يكون قد وجه ضربة كبرى إلى صلاح الدين ،

---

(١) نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ١٤٤ ، وأنظر فيما سبق ص٨٠ و٨٥

لإظهاره بمظهر العاجز عن حماية أقدس مقدسات الإسلام ، وجعله عبرة لمن يريد أن يترسم طريقه بعد ذلك .

وهكذا وبهذا الأسلوب التعصبي البغيض توجه أرناط بحملته البحرية قاصدا سواحل الحجاز واليمن حيث قطع طريق الحج ، واستولى على بعض السفن التجارية فى البحر الأحمر ، واستطاعت الحملة أن تشق طريقها فى البحر إلى سواحل تهامة [1] دون مقاومة ، وتمكن أرناط نفسه من إنزال قواته بأرض الحجاز تمهيدا لتنفيذ خطته. غير أن الأنباء لم تكد تصل إلى صلاح الدين حتى أرسل إلى أخيه العادل يأمره بالعمل على إحباط محاولة أرناط [2] .

---

(١) الحنبلى : شفاء القلوب لوحة ٢٨ أ ، Kammerer : La Mer Rouge, Vol. I, p.61 ، نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصري ص ١٤٢ .

(٢) للاطلاع على مزيد من التفصيلات عن حملة أرناط ، انظر (ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٢٦ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٦ – ٣٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٢٧ – ١٣١ ، ابن خلدون : تاريخه جـ ٥ ص ٢٩٩ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٨ – ٧٩ ، الخطط جـ ٤ ص ١٣٩ ، ابن جبير الرحلة ص ١٢٦ – ١٣٠ ، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية جـ ٢ ص ٥٨ – ٥٩ ، الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٦٩ – ٧٠ ، نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ١٤٠ – ١٤٤ ، Kammerer : op. cit. pp. 60-73, Lane-Poole : Saladin, P. 125; Lamb : The Flame of Islam. P. 59. De Gaury : Rulers of Mecca, PP. 69 ff, Fuller : Decessive Battle : their influence upon History and civilization, part I. p 234, Sadek : Salah el Din's Fort, pp. 117-118, Wiet (G) : Histoire de la Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe) pp. 322-324. Reinaud : Extraits des Historiens Arabes Relatifs aux Guerres des Croisades, p. 178.

وتمكن الملك العادل من تجهيز حملة بحرية أسرعت فى تعقب أرناط ، واستطاعت أن تلحق به بأرض الحجاز فى الوقت المناسب ، وقبل تحقيق أهدافه . وقد تمكنت الحملة الأيوبية من القضاء على معظم قواته وأسر الكثير من أتباعه ، وولى الباقون الأدبار ، وكانت تلك الواقعة فى شوال سنة ٧٨ه‍ه‍/ فبراير ١١٨٣ م .

ولقد كان على القوى الأيوبية فى اليمن - باعتبارها حامية للحدود الجنوبية للدولة - مسئولية القيام بالقضاء على مثل تلك المحاولات . غير أن الخلافات التى كانت سائدة بين نواب الأيوبيين فى اليمن ، حالت دون القيام بهذه المهمة ، مما دفع صلاح الدين إلى إرسال أخيه طغتكين إلى اليمن ، ليتولى أمر السلطنة فيها ، ويتخلص من نفوذ النواب بها ، ويعمل على استقرار الأوضاع ويقضى على الفتن القائمة فى تلك البلاد (١) .

إعداد الحملة وخط سيرها :

تجهز طغتكين فى ألف فارس وخمسمائة راجل (٢) وخرج من القاهرة متوجها فى طريقه إلى اليمن ، فسار بقواته جنوبا - فى النيل - إلى قوص ، ومنها اتخذ طريق البر حتى عيذاب ، ثم فى البحر الأحمر إلى جدة (٣) . فكان

---

(١) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ ص٥١ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٨٨ ، ابن عبد المجيد ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ج٣١ ص٤٠ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج٢ ص١٠١ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٨ أ .

(٣) نظير سعداوى : التاريخ الحربي المصرى ص ٤٤ (وهذا الطريق الذى عبره ابن جبير) انظر الرحلة ص ٢٧ وما بعدها (وكانت الحملات الأيوبية تسلك ذلك الطريق =

دخوله مكة معتمرا فى الثالث من رمضان سنة ٥٧٩هـ(١) / ديسمبر ١١٨٣ م ، فاستقبله الأمير مكثر بن فليتة — صاحب مكة — استقبالا حسنا ، وبادله طغتكين نفس الشعور ، وخلع عليه خلعه سنية قدرت بألف دينار (٢) . ولم يطل طغتكين البقاء بمكة ، واكتفى بالعمرة ولم ينتظر موسم الحج ، وغادر مكة فى العاشر من رمضان سنة ٥٧٩ هـ (٣) / ديسمبر ١١٨٣ م متوجها إلى اليمن ، فوصل إلى زبيد فى الثالث عشر من شوال سنة ٥٧٩هـ (٤) / ٢٩ يناير ١١٨٤م .

القضاء على نفوذ النواب :

لم يكد حطان بن منقذ — والى زبيد — يعلم بمجىء طغتكين ، حتى هرع إلى مدينة الكدراء (٥) لاستقباله . فلما وصله ترجل له طغتكين ، وخلع عليه وعلى عسكره ، وأظهر السرور به باعتبارة أول من جاءه — من نواب

= البحرى ، ذلك أن الطريق البرى الذى يبدأ عند أيلة كان محفوفا بالمخاطر ، وبطل استعماله خلال الحروب الصليبية) انظر ، فييت : المواصلات فى مصر ص ٤٨ — ٥٠ .

(١) ابن جبير : الرحلة ص ١٢٧ (وقد صادف مجىء طغتكين الى مكة وجود الرحالة المغربى ابن جبير بها . وقد وصف ابن جبير تلك الأيام السعيدة التى قضاها طغتكين هناك وصفا دقيقا) انظر الرحلة ص ١٢٦ — ١٣٠ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب ج٣١ ص٤٠ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص١٠أ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص١٣٠ .

(٤) الخزرجى : العسجد ص ١٨٩ ، العقود اللؤلؤية ج ص٢٩ ، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص١٠١ ، قلادة النحر ج٢ ص٧٨٢ .

(٥) تقع مدينة الكدراء فى وادى سهام الى الشمال من زبيد والى الشرق من الحديدة.

أخيه - لاستقباله . وقال له « أنت أخي بعد أخي » [١] . ثم توجها معا بعد ذلك إلى زبيد ، وأنعم عليه بحصن قوارير [٢] .

وقيل بأنه لما وصل طغتكين الى اليمن استشعر حطان بن منقذ منه خيفه، وتحصن فى حصن قوارير ، قرب زبيد .فلم يزل طغتكين به يؤمنه ، ويهدىء من روعه ، ويتلطف به « حتى نزل ليه ، فأحسن صحبته ، وعمل معه ما لم يكن يتوقعه من الإحسان » . إلا أن حطان لم يثق فى ذلك ، وطلب من طغتكين السماح له بالمسير الى الشام ، ولكن طغتكين امتنع عن إجابته إلى طلبه ، إظهارا للرغبة في بقائه في خدمته ، « فلم يزل . . . يراجعه حتى أذن له » [٣] .

ومهما يكن من شيء، فقد كان نواب الأيوبيين فى اليمن ملوكا فى المناطق التى تحت سيطرتهم . وكان حطان بن منقذ على يقين من أنه لن يستقيم له أمر مع طغتكين ، ولهذا طلب منه أن يسمح له بالعودة إلى الشام ، فلما وافق طغتكين [٤] ، تجهز حطان وأخرج أهله وجميع أمواله وذخائره وأثقاله وما كان فى حوزته إلى الجنابذ [٥] - خارج مدينة زبيد - فلما عزم

---

(١) الخزرجى : المسجد ص ١٨٩ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٨ أ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ٦٧ - ٦٨ ، منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه ص ٢٨٠ ، ابن الوردى : تاريخه ج ٢ ص ٩١ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨ أ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٨ ، النويرى نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٠ ، الخزرجى : المسجد ص ١٨٩ .

(٥) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٤ .

على مغادرة البلاد ، ذهب ليودع السلطان طغتكين، «وظن أنه نجا وفاز ، وركب الأوفاز » (١) . فأمر طغتكين بالقبض عليه واعتقله ، وأرسل فاسترجع أثقاله .

وقيل بل خرج طغتكين معه على صورة المودع ، فلما صار الجميع فى الجنابذ قبض عليه (٢) ، وصادر جميع أمواله ، وكان من جملة ما استولى عليه سبعين غلافا زردية مملوءة ذهبا عينا (٣) ، وقدرت قيمة ما استولى عليه منه بألف ألف دينار (٤) :

أما ياقوت التعزى ، فقد جاء إلى طغتكين فى زبيد وسلمه مفاتيح حصن تعز . فأعجب السلطان بمسلكه واستحسنه ، وأكرمه وأعاده على ولايته ، وسلم إليه حطان بن منقذ ، وأمره بالتحفظ عليه وحبسه فى حصن تعز ، ثم أمره بعد أيام بقتله . فنفذ ما أمره به (٥) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص٢١٦، ابن واصل : مفرج الكروب جـ٢ ص١٠٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص٨ أ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٧٠ ، قلادة النحر جـ٢ ص٧٥٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ١١ ص٢١٧ ، الجندارى : الجامع الوجيز ص٦٦ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ٢ ص٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ٢ ص١٠٥ .

(٤) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ـ مخطوط ـ ص ٢١١ ، أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ٢ ص١٠٥ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٨ ص٣٦٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦ ص٩١ ، المقريزى : السلوك جـ١ ص٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ـ مخطوط ـ جـ٧ ص٥١ .

(٥) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : قرة العيون ص١٠٤ ، بامخرمة : ـ

أما مظفر الدين قايماز ، فإنه كان قد تغلب على ذى جبلة ومخاليفها ، فأرسل طغتكين اليه من تسلمها منه (١) .

أما عثمان الزنجيلي ـ نائب عدن ـ فإنه لما علم بما قام به طغتكين مع النواب ، وخاصة مع حطان بن منقذ ، خاف على نفسه . وشحن جميع ما يمتلكه فى سفن عظيمة (٢) ، وغادر عدن متوجها إلى الشام فى السادس من ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ (٣) /فبراير ١١٨٤ م . فلما علم طغتكين بذلك ، أمر بإعداد سفن تلقاه من ساحل زبيد ، وتمكنت هذه السفن من القبض على جميع سفن الزنجيلي فيما عدا السفينة التى كان يستقلها (٤) ، وفيها « الخف النفيس » (٥) مما يملك ، وتمكن الزنجيلي من الإفلات والوصول إلى مكة سالما فى ذى الحجة سنة ٥٧٩ هـ (٦) / مارس ١١٨٤م . ثم غادرها إلى الشام حيث أقام بدمشق إلى أن مات فى سنة ٥٨٣ هـ (٧) / ١١٨٧م .

فلما غادر الزنجيلي عدن ولى طغتكين عليها نائبا آخر يدعى ابن عين الزمان (٨) . كما بعث بأحد أتباعه فتسلم حصن التعكر من الأمير عمر بن على

ـ تاريخ ثغر عدن حـ٢ ص٧٠ ، قلادة النحر حـ٢ ص٧٥٣ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٨ ب .

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ٣١ ص٤٠ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، النويرى : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الخزرجى : العسجد ص١٩٠ .

(٤) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن حـ٢ ص١٣١ ، قلادة النحر حـ٢ ص٧٥٣ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص١٥٣ .

(٦) ابن جبير : نفس المصدر والصفحة .

(٧) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن حـ٢ ص١٣٢ ، قلادة النحر حـ٢ ص٧٦٦ .

(٨) الخزرجى : العسجد ص١٩٠ .

أخو عثمان الزنجيلي (١) .

وهكذا تمكن طغتكين من التخلص من نفوذ نواب أخيه . وحصل مما صادره منهم على أموال كثيرة ، كان معظمها من حطان بن منقذ والزنجيلي. وقد بلغ من كثرة ما صار عنـــده من الذهب أن كان يسبكه ، ويجعله كالطاحون (٢) .

فتوحات طغتكين واستعادة النفوذ الأيوبي في اليمن :

لما فرغ طغتكين من الاستيــلاء على المدن والحصون التي كانت تحت سيطرة نواب أخيه ، وأصبح المسيطر الفعلي عليهــا ، توجه سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م لاستكمال فتح بقية البلاد التي لم يكن قد تم فتحها، أو تلك التي خرجت عن طاعة الأيوبيين بعد مغادرة تورانشاه لليمن . فاستولى على حصون وصاب (٣) وأعمــالها . وواصل فتوحاته فاستولى سنة ٥٨١ هـ /١١٨٥م على حصون ريمة (٤) وعنة (٥) وخدد (٦) ، ثم توجــه لأداء فريضة الحج . فلما

---

(١) الخزرجي : العسجد ص١٨٩ ــ ١٩٠

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقـــات المشاهير والاعلام ــ مخطوط ــ حـ ٢٦ ص٢٩٠ ، ابن الأثير:الـكامل حـ١٢ ص ٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ١٣ ص١٥ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٢١٦ .

(٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ٢٢٩ (تقع وصاب بين وادي زبيد ووادي رمع الى الشرق من زبيد) .

(٤) يقع حصن ريمة الى الشرق من مدينة بيت الفقيه ، ويحده شمالا بلاد برع وجنوبا وصاب . ويشرف هذا الحصن على تهامة .

(٥) عنة : مخلاف يقع الى الغرب من مدينة اب .

(٦) خدد : حصن بمخلاف جعفر في نواحي وصاب .

عاد تسلم حصون شواحط (١) سنة ٥٨٢هـ/سنة ١١٨٦م . وكان قد التقى بصاحبها بمكة وتم الاتفاق والمبايعة على ذلك عند الكعبة (٢) . ثم استولى على حصن يفوز (٣) .

حصار حصن حب والصراع مع بنى حاتم :

لما انتهى طغتكين من أمر الحصون المطلة على تهامة ، توجه إلى حصن حب (٤) - وفيه السلطان زياد بن حاتم بن على بن سبأ بن أبى السعود الزريعى - فحاصره ، فاستنجد زياد بالسلطان على بن حاتم (٥) ، صاحب صنعاء ، كما طلب معاونة كل من السلطان عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد بن عمر الجنبي (٦) رئيسا قبيلتى جنب ومذحج (٧) . فاستجاب السلطان على بن حاتم ، وعبأ جهوده لمواجهة طغتكين . وبعث أخاه بشر ابن حاتم وأرسل معه ولديه عمر بن على والفضل فى عسكر كثير من قبائل

---

(١) شواحط : حصن بوادى السحول بالقرب من قرية الملحمة (بامخرمة : قلادة النحر جـ٢ ص ٧٧١ – ٧٧٢) .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٩٠ .

(٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ٢٢٩ (يفوز ، حصن من بلاد يريم فى مخلاف جعفر) .

(٤) يقع حصن حب بناحية جبال بعدان الى الشرق من اب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص٨ ب ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٤ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ١٩٠ .

(٧) Kay : Yaman ; its Early Mediaeval History, p. 295.

همدان وغيرها من القبائل الأخرى التي استجابت له (١) . فلما وصلت تلك الجموع إلى مدينة ذمار – في طريقها إلى حصن حب – انضم إليها رئيسا قبيلتي جنب ومذحج (٢) . كما لحق بهم السلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي – صاحب حصن قيضان – إلى بلدة الصنمية من بلاد الحقل . وواصل الجميع سيرهم إلى حصن نعم (٣) – وكان هذا الحصن تابعا لطغتكين – فحاصروه حتى يضطر طغتكين إلى فك الحصار عن حصن حب، ولكن طغتكين تمكن من تفريق تلك الجموع بالوعد والتهديد ، وإنفاق الأموال (٤) . وعادت جموع القبائل إلى بلادها ، بعد أن خذلت السلطان علي بن حاتم ، وفشلت جهوده في تقديم العونة للمحاصرين في حصن حب . وظل الحصار على الحصن إلى أن جاء موعد الحج ، فأناب طغتكين على حصاره الهمام أبو زبا ، وأمره بمواصلة الحصار والتضييق على الموجودين في الحصن . واستمر أبو زبا محاصرا للحصن يعاونه قائد آخر يدعى شمس الخواص ، حتى عاد طغتكين من مكة فتولى بنفسه مباشرة العمليات الحربية ، وشدد الحصار حتى انهارت مقاومة أهل الحصن فاستولى عليه قهرا بالسيف في جمادى الآخرة سنة ٥٨٢هـ(٥)/ أغسطس ١١٨٦م . وأمر بقتل جميع من كان في الحصن ليصبحوا عبرة لكل من يحاول الوقوف أمامه . فلم ينج منهم

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ١٩٠ .

(٢) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة ، ابن حاتم السمط ص ٨ ب .

(٣) يقع حصن نعم على جبل الشعر من بلاد الشوافي (ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨) .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

(٥) الخزرجي : العسجد ص ١٩١ .

إلا من استطاع الهرب « أو دخل فى زى الجند الذين له ، أو طرح نفسه بين القتلى » (١) ، فكان لهذا العمل صدى واسعا تزلزلت له جميع بلاد اليمن (٢) . وخشى رؤساء القوم أن تتعرض بلادهم ورعاياهم لمثل ما تعرض له أهل حصن حب .

ولهذا تتابعت وفود القبائل على طغتكين لتأكيد الولاء والطاعة له (٣) ، وكان ممن جاءه عبد الله بن يحيى وأولاده عن قبيلة جنب ، كما أرسل أسعد ابن عبد الله الصليحى – صاحب حصن قيضان – ولده نيابة عنه ، كدليل على الولاء والدخول فى طاعته (٤) . فرحب طغتكين بهم جميعا ، وأحسن إليهم ، « وبلغهم ما توسموا من معروفه » (٥) .

الاستيلاء على بلاد جنب (٦) :

لقد كانت قبائل جنب من أكثر قبائل اليمن مقاومة للأيوبيين ، فقد سبق أن تصدوا لحملة توران شاه عندما كان متقدما فى طريقه إلى صنعاء فى المحرم سنة ٥٧٠ هـ / أغسطس ١١٧٤م . وقامت بينهم وبين الأيوبيين فى ذلك الوقت معارك ضارية ، تعتبر من أعنف ما واجهه الأيوبيون منذ دخولهم إلى

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٩ أ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٥ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٢ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ .

(٣) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٩ ب .

(٦) تقع بلاد جنب الى الجنوب من صنعاء .

اليمن (١) . وبالرغم من مجىء طغتكين وبطشه بمن قاومه فى حصن حب ، إلا أن بعض كبار رجال قبائل جنب لم يكونوا قادرين على إخفاء عدائهم للأيوبيين، ذلك أن الشيخ عمران بن زيد بن عمرو الجنبي وإخوته لم يكونوا من بين من وفد على طغتكين (٢) للدخول فى طاعته (٣) . ولهذا اعتبر طغتكين هذا عملا عدائيا جعله يتقدم - بعد الانتهاء من حصن حب - شمالا لاخضاع عمران بن زيد والاستيلاء على بلاده ، فبدأ بالاستيلاء على حصن هران (٤) من نواحى ذمار مما اضطر عمران بن زيد للفرار إلى بلاد نهد جنوبى زمار ، وتحصن بموضع يسمى عرقب . فتعقبه طغتكين وأنزل به الهزيمة ، وقتل من أكابر قومه الكثير ، ولم يتعرض للحريم بسوء بل عاملهم أحسن معاملة ، فأطاعته قبائل جنب ودانت له بالطاعة (٥) ، « ووصله من لم يكن وصله من مشايخ جنب ، فكساهم ووفدهم » (٦) .

---

(١) انظر ، الفصل الثانى ص ٩٠ - ٩١ ، ابن حاتم : السمط ص ٤ أ - ب ، الخزرجى : العسجد ص ١٧٩ - ١٨٠ ، الشرفى : اللآلى المضية حـ٢ ص١٣٢أ، الكبسى : اللطائف ص ٢٧ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ص ٥٤ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩ ب .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ١٩١ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن حـ ٢ ص ١٠١ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٩ ب .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ .

الإستيلاء على ذمار والصلح مع بنى حاتم :

تابع طغتكين تقدمه شمالا فاستولى سنة ٥٨٣هـ/٨٧ ١م على مدينة ذمار(١)، « وقتل من خالفه فى الحصون والأوطان » (٢) ، وأصبح الطريق مفتوحا أمامه للتقدم إلى صنعاء . ولكن بنى حاتم استطاعوا أن يتوصلوا إلى الصلح معه ، فعاد طغتكين إلى تعز ، ومنها إلى ذى جبلة بعد أن ولى مظفر الدين قايماز ـ مملوك أخيه توران شاه ـ على ذمار (٣).

القضاء على عصيان قبائل جنب :

لم يكد طغتكين يصل إلى ذى جبلة حتى كان عمران بن زيد الجنبى قد خلفه فى جموع من قبائل جنب و بلاد عنس إلى ذمار واستولى عليها ونهبها(٤). فلجأت الحامية الأيوبية إلى قرية ذى خولان وتحصنت بها ، « وبردوا البرد إلى الملك العزيز [طغتكين] يخبرونه بما جرى فنهض من ساعته ولم يزل سائرا باقى يومه وليلته حتى أصبح بذى خولان ـ وعليها الحصار من قبائل جنب ـ فحين بصرت به تلك القبائل تفرقت ولم تقف خوفا منه . ووقفه الشيخ عمران بن زيد بمن صبر معه من جموعه، وحارب الملك العزيز [طغتكين]

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠ ب ، الخزرجى : نفس المصدر ص ١٩١ — ١٩٢ ، الشرفى : اللآلى المضية حـ٢ ص١٣٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٥٥ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٨ ب .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

(٣) خزرجى : نفس المصدر ص ١٩٢ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٨ ب .

حربا عظيما ، (١) ، وانهزمت قبائل جنب ووقع فيهم السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، واستولى على كثير من خيلهم (٢) وتمكن عمران من الهرب بمن تبقى معه من أنصاره .

واصل طغتكين سيره بعد الاستيلاء على مدينة ذمار ، فتوجه لغزو موضع يسمى بشار - قيل أن أهله كانوا قد حالفوا قبائل جنب وساندوهم ضده وآووهم (٣) - فقتل منهم ستمائة رجل . ولم يفلت من أهل الموضع إلا نفر قليل (٤) . وعاد إلى تعز مرة أخرى بعد ما أقر بنو حاتم بتمسكهم بالصلح الذى بينه وبينهم .

الاستيلاء على حصن ذروان :

واستكمالا لفتح حصون قبائل جنب ، كلف طغتكين واليه فى ذمار - مظفر الدين قايماز - بالاستيلاء على حصن ذروان ، وفيه يومئذ عبد الله ابن يحيى الجنبي وأولاده (٥) . واستمر الحصار على الحصن خمسة أشهر حتى قل الماء عندهم مع انقطاع المطر ، مما اضطرهم إلى الاتفاق على تسليم الحصن والخروج إلى صنعاء (٦) . فما أن بارحوا الحصن حتى وقع الغيث ،

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٠ أ ، ب .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ .

وامتلأت مناهل الحصن (١)، ولوجاء المطر قبل تسليم الحصن لاستمر الحصار وطال أمده .

الاستيلاء على حصن قيضان :

أما حصن قيضان ، فكان صاحبه أسعد بن على بن عبد الله الصليحى وأولاده – وهم من بقايا بنى الصليحى – فأمر طغتكين بمحاصرة الحصن ، وظل الحصار عليه تسعة أشهر (٢) . فلما طال الحصار أمر طغتكين باستعمال المنجنيقات لضربه ، فاضطر أصحاب الحصن إلى طلب الأمان والتسليم ، على أن يكون خروجهم إلى بلاد بنى حاتم ، وضمانا لتنفيذ ذلك سلم الطرفان رهائن (٣) إلى بشر بن حاتم لحين وصولهم سالمين إلى حيث شاءوا . فلما غادر أسعد بن على الصليحى ومن معه الحصن ، توجهوا إلى حصن عضدان حيث أقاموا عند بنى حاتم (٤) .

حصار حصن الدملوة والاستيلاء عليه :

لقد سبق لتوران شاه محاصرة الدملوة سنة ٥٧٠هـ / مارس ١١٧٥م – وهو حصن منيع على جبل الصلو جنوب تعز – ولم يستطع الاستيلاء عليه لحصانته . وفى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م تقدم طغتكين إلى هذا الحصن (٥) – وبه جوهر

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١ أ ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٠١ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١ أ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

المعظمى (١) مولى بنى زريع ومعـه أولاد سيده عمران بن محمـد بن سبأ (٢) (المتوفى سنة ٥٦٠هـ) ـ وقد كرس طغتكين كل جهـده فى حصار الدملوة ، وباشر تلك المهمة بنفسه ، ولم يعتمد فى ذلك على أحد من أمرائه أو مقدميه (٣). وظل الحصار أربعة أشهر (٤) ، حتى ضاق جوهر المعظمى ذرعا ولم يعد فى استطاعته الصمود ، وعجز عن حفظ الحصن لتأكده من أن طغتكين لن يترك حصاره حتى يستولى عليه . ولهذا أرسل إلى طغتكين يعرض عليه تسليم الحصن نظير عشرة آلاف دينار (٥) واشترط ألا يطلع اليه أحد من أتباع طغتكين ، كما أنه لن ينزل من الحصن قبل أن يكون أبنـاء سيده ـ عمران ـ وأموالهم قد وصلوا إلى البحر ، وأن يركبوا من أى موضع أراده . وقبـل طغتكين شروط جوهر لأنه كان يعلم مدى حصانة هـذا المعقل ، وصعوبة الاستيلاء عليه ، وأنه ليس فى الإمكان أخذه قهرا .

فلما تسلم جوهر المبلغ الذى تم الاتفـاق عليه ، جهز جميـع أولاد عمران ابن سبأ وأتباعهم ، ونزل معهم متنكرا فى زى امرأة ، ومعـه نفيس أمواله ،

---

(١) كان جوهر المعظمى واليا على حصن الدملوة من قبل بنى زريع الذين لم يبق لهم إلا هذا الحصن .

(٢) كان عمران بن محمد بن سبأ قد جعل كفالة أولاده الى جوهر المعظمى ، فلما توفى عمران أصبح جوهر واليا على الدملوة ، وترك لياسر بن بلال أمر عـدن ، فلما استولى توران شاه على عدن لم يبق لبنى زريع إلا الدملوة التى استعصت عليـه (انظر الفصل الأول ص ٥٥ والثانى ص ٩٤) .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ١١ أ .

(٥) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٩ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

وتوجه بهم إلى ساحل المخا (١)، حيث استقلوا سفنا كانت قد أعدت لهم ليعبروا بها إلى الحبشة . وكان جوهر قد ترك نائبا عنه فى الحصن ، وترك له أوراقا كثيرة عليها علامته ، ليكتب عليها إلى طغتكين أو غيره فلا يشك أحد فى أنه غادر الحصن ، ومن ثم يوهمهم بأنه لا يزال باقيا فيه (٢).

فلما وصل جوهر ومن معه إلى ميناء المخا وأصبح فى مأمن من طغتكين ، كتب إليه رسالة وأرفق بها أخرى إلى نائبه فى حصن الدملوة ، يأمره فيها بتسليم الحصن إلى طغتكين (٣). وقد تعجب طغتكين عندما اطلع على الرسالة، وعلم بأن جوهراً كان أول من غادر الحصن فلما وصلت الرسالة الموجهة من جوهر إلى نائبه ، رفض النائب تنفيذ ما بها ،وامتنع بالحصن واستولى عليه لنفسه . فعظم ذلك على طغتكين، وعاود التشديد فى حصار الدملوة (٤) . وقد تصادف مجىء بشر بن حاتم من صنعاء لتجديد الصلح الذى سبق عقده مع طغتكين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فلما علم نائب الدملوة بوصوله، طلب أن يكون تسليم الحصن على يده مقابل عشرة آلاف دينار (٥) . ولما كان طغتكين قد

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ١٩٣ ، طراز الزمن جـ٢ ص ٤٧٢ ، بامخرمه : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٤٢ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٨٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٦ ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ١٩٣ ، طراز الزمن جـ٢ ص ٤٧٢ ، الكبسى . نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ١٩٣ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الخزرجى : العسجد ص ١٩٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٦، الكبسى: اللطائف السنية ص ٢٩ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

(٥) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

سبق وأعطى هذا المبلغ إلى جوهر المعظمي فقد تردد في تسليم هذا المبلغ مرة ثانية ، خشية أن يتكرر هذا العمل ولا يتم تسليم الحصن . ولكنه عاد فوافق بشرط أن يتم تسليم المبلغ إلى بشر بن حاتم ، واعتبره طغتكين مسئولا عن استلام الحصن أو تأخره (١) . ولما كان بشر بن حاتم موجوداً وقتذاك في مدينة الجند ، فقد بعث إليه طغتكين يخبره بما استقر عليه رأيه ، وأرسل إليه بالمبلغ المطلوب . وقد تمكن بشر بن حاتم بعد مفاوضات مع نائب الدملوة من التوصل إلى اتفاق يقضي بأن يتسلم نائب الحصن المبلغ ويتوجه به وبأولاده إلى صنعاء ، وأن يترك بشر بن حاتم بعض أتباعه في الحصن ، ولا يتم تسليمه لطغتكين إلا بعد أن يأتيه الخبر بوصولهم إلى صنعاء سالمين . فلما وصل نائب الحصن إلى صنعاء أرسل علي بن حاتم رسالة إلى أخيه بشر يخبره بوصوله ، فسلم بشر حصن الدملوة لطغتكين (٢) ، وبعد حصار دام أربعة عشر شهراً (٣) .

العلاقات بين طغتكين وبني حاتم :

استطاع طغتكين أن يستولي على كثير من المعاقل والبلاد ، وأصبح المسيطر على منطقة تهامة والمعاقل والحصون الواقعة إلى الجنوب من صنعاء حتى عدن . وتفرغ لبني حاتم الذين كانوا قد استعادوا سيطرتهم على صنعاء بعد عودة تورانشاه من اليمن — وهم البقية الباقية لقوى المقاومة في البلاد — وكان بنو حاتم على علم بانتصارات طغتكين المتتابعة والمستمرة ، ورأوا أن البلاد

---

(١) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٢ ب — ١٣ أ .

(٣) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

قد دانت له وأصبحت طوع بنانه ، ولم يبق أمامه سواهم . ولهذا أحسوا بالخطر يتهددهم وخاصة بعد أن استولى على مدينة ذمار ونواحيها سنة ٥٨٣هـ[١] / ١١٨٧ م ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من صنعاء . فأمر على بن حاتم بهدم ماتبقى من سور المدينة [٢] - وكان قد سبق أن بدأ فى هدمه قبيل مجىء تورانشاه إليها سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ، وعقب خروجه منها [٣] - وتأهب حاتم للقاء طغتكين والتصدى له ، وقلوا ما كان لهم فيها إلى الحصون . واتخذوا مواقعهم فى حصن براش القريب ، كما ترك الكثير من رعاياهم البلاد وتعلقوا بالحصون للاحتماء بها [٤] . وكان بنو حاتم قد بدأوا فى عمارة وتحصين تلك الحصون منذ أن استردوا صنعاء بعد خروج تورانشاه منها[٥] .

وهكذا استعد بنو حاتم لما عساه أن يحدث ، ولكنهم فضلوا عدم الدخول فى حرب مع طغتكين ، ولهذا أرسل على بن حاتم ابن عمه القاضى حاتم بن أسعد إلى طغتكين سنة ٥٨٣ هـ / سنة ١١٨٧ م - عندما كان فى مشرق ذمار للقضاء على الخارجين من قبائل جنب - وتم الاتفاق على الصلح بشرط أن يقدم على بن حاتم ثمانين ألف دينار ومائة حصان فى السنة [٦] ، وقبل طغتكين

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٠ أ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٨ .

(٣) أنظر الفصل الثانى ص ٩١ - ٩٣ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٢ ب .

(٥) ادريس عماد الدين : نفس المصدر ص ٧ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ١٠ أ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٢ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٢ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٨ ب .

المصالحة وعاد إلى تعز دون أن يواصل تقدمه إلى صنعاء .

وهكذا سادت العلاقات الودية بين الجانبين ، كما تم تجديد الصلح بعد ذلك لسنة أخرى وبنفس الشروط . ومما يدل على قيام تلك العلاقات الطيبة أنه لما توجه بشر بن حاتم ، نائبا عن أخيه لتجديد الصلح مع طغتكين ، أصدر طغتكين أوامره إلى نوابه - في البلاد التي على طول الطريق - بحسن استقباله والقيام بأمر ضيافته وإكرامه ، فخرج مظفر الدين قايماز - والى ذمار - للقائه إلى جهران ، وأقام بشر في ضيافته ثلاثة أيام ، فلما غادر ذمار لقيه ياقوت التعزى - والى الحقل - ثم توجه في اليوم التالى إلى ذى جبلة ، فاستقبله واليها إلى مدينة إب وأقام عنده يومين ثم غادرها إلى ذى أشرق ، فلقيه واليها الموفق محمد بن المعلم ، ثم قصد مدينة تعز فدخلها فى موكب عظيم ، وكان السلطان طغتكين فى استقباله مرحبا ، وأكرمه وخلع عليه خلعا كثيرة منها خلعة كانت قد أهديت من الخليفة لطغتكين ، وأعطاه سيفه وخاتمه وسرجا وطوقا من الذهب بخلاف الخلع . وأسقط عن أخيه عشرين ألف دينار وعشرين حصانا ، من المبلغ الذى التزم به ابن حاتم فى اتفاق الصلح المنعقد قبل ذلك بينه وبين طغتكين . كما تم تجديد هذا الصلح لسنة أخرى ، وخلع طغتكين على كل من جاء مع بشر بن حاتم وأكرمهم .

ولما كان مجيء بشر بن حاتم وقت حصار حصن الدملوة (١) ، فقد ساهم فى إنهاء حصاره ، وضمان تسليمه ، وإن لم يكن فى حقيقة الأمر راضيا على أن يتم تسليم حصن الدملوة على يديه ، وكان يود أن يبقى الحصن فى أيدى أصحابه ، خشية التعرض للوم القبائل له على تدخله فى أمر تسليم الحصن

---

(١) انظر ، ما سبق ص ١٣٣ - ١٣٤ .

لطغتكين (١) ولكنه كان أمام الأمر الواقع ، إذ حتمت عليه الظروف القيام بهذا العمل .

وعلى الرغم من الحفاوة التي قوبل بها بشر بن حاتم ، إلا أنه لم يكد يعد إلى صنعاء ، حتى كان بنو حاتم قد أخذوا في عمارة حصونهم (٢) ، وشحنوها بالمؤمن والعتاد ورتبوا فيها المقاتلة (٣) .

إستيلاء طغتكين على مدن وحصون بنى حاتم :

لم تكد فترة الصلح المتفق عليها بين طغتكين وبنى حاتم تنتهى ، حتى نهض قاصدا صنعاء لنقض بنى حاتم الاتفاق وعدم وفائهم بما تعهدوا به من أموال وخيل ، فلما وصل طغتكين إلى ذمار وتعداها شمالا إلى جهران ، أحس بنو حاتم بخطورة الموقف ، فأسرع على بن حاتم بإرسال ابن عمه حاتم بن أسعد لمفاوضته والاتفاق معه ، كما فعل من قبل ووافق طغتكين على طلب حاتم ابن أسعد بالتوقف عن مواصلة الزحف إلى صنعاء بشرط وفاء على بن حاتم بما تعهد به من تقديم ثلاثين ألف دينارا وثلاثين حصانا . وضمانا لذلك ترك حاتم بن أسعد رهائن عند طغتكين ، وتم الاتفاق على أن يقوم طغتكين بقتل الرهائن إذا لم يلتزم بنو حاتم بالوفاء بما تعهدوا به . فلما أبلغ حاتم بن أسعد تفاصيل ما تم الاتفاق عليه إلى السلطان على بن حاتم رفض ابن حاتم الوفاء

---

(١) انظر ، السمط ص١١ ب ، الخزرجى: العسجد ص ١٩٤ ، ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار ص ٨ ، ٩ .

(٢) هذه الحصون هى : كوكبان ، ذمرمر ، الظفير ، العروس ، براش ، هدة ، الفص وأشيح .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

عما التزم به وعاد حاتم بن أسعد متورطا إلى طغتكين ، ولكنه طيب خاطره ، وأبدى استعداده للافـــراج عن الرهائن بعد أن أصبح حاتم بن أسعد من أتباعه وانضم إليه وأقسم على الإخلاص له ، وقام طغتكين بالإفراج عن رهائنه وأحسن إليه (١) .

الاستيلاء على حصن أشيح :

استغل طغتكين تبعية حاتم بن أسعد له ، واتخذه مستشارا فى فتح حصون بنى حاتم وأتباعهم. وتنفيذا لمشورته بدأ طغتكين بالتوجه الى حصن أشيح (٢) . ولكن حامية الحصن قاومت فى اليوم الأول ، فلجأ طغتكين إلى الاستيلاء على موضع بالقرب من الحصن يسمى ظفار الواديين (٣) وقتل صاحبه من بنى الصليحى ويدعى يحيى بن سليمان بن المظفر ، وجماعة من أتباعه (٤) . فلما أحس أهل حصن أشيح بالخطر وافقوا على طلب طغتكين وسلموا له الحصن ، ليتخلصوا من انتقامه إذا ما قاوموه (٥) . فلما انتهى من أمر هذا الحصن ، تابع فتوحاته فاستولى على بلاد آنس – جنوبى صنعاء – وقتل كثيرا من

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٣ ب ، ١٤ أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص٩ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ ، الشرقى : اللالى المضية ج ٢ ص ١٣٣ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٩ ب .

(٢) يعتبر حصن أشيح من أعظم حصون الجبال ، ويقع فى رأس جبل آنس جنوبى صنعاء ، وهو آخر حصون بنى الصليحى (يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٦) .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٤ أ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٩ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١٤ أ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٥ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٩ ب .

تصدوا له ، ثم استولى على جبل الشرق – إلى الشمال الغربي من ذمار – ثم عاد إلى جهران (١) .

الاستيلاء على صنعاء :

لم يبق طغتكين طويلا في جهران ، إذ أسرع بالتقدم شمالا إلى صنعاء بعد أن أمن ظهره بالاستيلاء على المناطق الواقعة فى جنوبها . وتمكن من الاستيلاء على صنعاء فى العشرين من شوال سنة ٥٨٥هـ (٢) / ديسمبر ١١٨٩م ، وأقام بها قليلا ثم خرج فطاف بحصون ذمرمر وفدة والفص للاستطلاع . ثم تقدم إلى حصن عزان – من بلاد بنى شهاب – واستولى عليه قهرا . وقتل نحوا من أربعين رجلا ممن كانوا فى الحصن (٣) ، وأسر أصحابه وعلى رأسهم عامر وعبد الله ابنى مفرج الشهابى وعمهما حاتم بن سعيد الشهابى ، وأمر بقتل حاتم ابن سعيد وأفرج عن الآخرين مقابل فدية قدرها ثلاثة آلاف دينار (٤) . ثم توجه طغتكين لمحاصرة حصن العروس وضيق الحصار عليه، ولكنه لم يلبث أن ترك حصاره عندما جاءته إحدى سيدات الحصن تحمل وليدها متوسلة إليه

---

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٩ ب ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٣ ب ، ١٤ أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٩ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ ، الشرفى : اللالى المضية جـ٢ ص ١٣٣ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٩ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٤ أ ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، يحيى الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

(٤) الخزرجى : نفس المصدر ص ١٩٥ – ١٩٦ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٩ .

بأن يترك الحصن من أجل والدها الذى أطلقت عليه اسمه (١) فاستجاب لها طغتكين وتوجه إلى حصن الظفر (٢) ، ولكنه لم يضيع وقته فى حصاره وعاد إلى صنعاء بعد ما استعصى عليه فتحه (٣) .

الاستيلاء على حصن الفص :

لم يطل بقاء طغتكين فى صنعاء ، إذ غادرها بعد ثلاثة أيام متوجها إلى حصن الفص (٤) . وقسم قواته إلى قسمين ، جعل أحدهما على جبل الظليمة ، وأمر الباقين بأن ينصبوا المجانيق حول الحصن ، وصمدت حامية حصن الفص وقاومت لمدة يومين، ولكنه زحف فى اليوم الثالث بقواته واستولى على الفص الصغير قهرا ، ثم تسلم الفص الكبير بعده (٥) . وكان فى الحصن عمرو وعمران إبنا بشر بن حاتم، فلم يتعرض لهما طغتكين بأذى، غير أنه حجزهما عنده (٦)، وبعث بنساء بنى حاتم وخدمهم إليهم مكرمين إلى حصن ذمرمر (٧) .

مما يذكر أنه أثناء حصار حصن الفص حدث أن أغار على بن بشر بن حاتم بخيله من حصن براش إلى صنعاء ، ولكن فرسان الأيوبيين تحت إمرة الهمام أبو زبا تصدت لهم وأجبرتهم على الفرار، وطاردتهم حتى أدركت على بن بشر

(١) الشرفى : اللالى المضية جـ٢ ص ١٣٣ أ .
(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦، الكبسى : اللطائف السنية ص٢٩ب.
(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٤ ب ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ .
(٤) الخزرجى ، العسجد ص ١٩٦ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .
(٥) ابن حاتم : السمط ص ١٥ أ ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .
(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .
(٧) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة ، الكبسى : اللطائف ص ٢٩ ب .

وأخذته أسيرا (١)، وأصبح وأبناء بشر بن حاتم الثلاثة - عمرو وعمران وعلى - أسرى عند الأيوبيين (٢)، وبهذا أصبح حال بنى حاتم كما وصفه عمرو ابن بشر فى قصيدة بعثها إلى أبيه جاء فيها:

أمولاى، ما أسرى ببدع فلم يزل ... كذا الناس مأسور وآخر آسر
وإن ظفر المولى بنا وبجمعنا ... فلله مظفور ولله ظافر
على ذى عمر الدهر عسر مبدل ... بيسر قضته حكمة ومقادر
فلا تحسبن أنى جزوع لما جرى ... وحقك أنى صادق العزم صابر
وما أن أخشى غير قول أراذل ... أو الدهم عن فكهم متقاصر
وماشعروا أن العظائم كلها ... الكبار، وإن هالت لديك أصاغر
بسعد على ملك همدان يرتجى ... وسعدك أن تنجاب عنا الدوائر
فما ان لنا إلا كما بعد ربنا ... وعطف من المولى معين وناصر (٣)

الاستيلاء على حصن الظفر :

لم يكد طغتكين ينتهى من حصن الفص حتى عاد إلى حصار حصن الظفر - وبه سالم بن على بن حاتم - فاستولى عليه قهرا (٤)، وأرسل سالما إلى

---

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٩ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) أنظر، ابن حاتم : السمط ص ١٥ أ، ب، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١٠، الخزرجى : العسجد ص ١٩٦ - ١٩٧، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١٠، الشرفى : اللالى المضية ج ٢ ص ١٣٣ أ، الكبسى : اللطائف السنية ص ١٣٠ .

بني حاتم بحصن كوكبان (١) .

الاستيلاء على حصن كوكبان :

واصل طغتكين فتوحاته لحصون ومدن بني حاتم للقضاء على نفوذهم ، فتوجه إلى حصن كوكبان — وبه عمرو بن علي بن حاتم — فحاصره ، ونصب عليه أربعة مجانيق ، فكان يضرب باثنين منها ليلا وبمثلها نهارا — وكان سور الحصن مبنيا بالطين — فأثرت فيه المجانيق تأثيرا عظيما وخربته (٢) . وكانت حامية الحصن تتكون من ألف وخمسمائة فارس (٣). واستمر الحصار والقتال على كوكبان أياما ، فلما زاد عدد القتلى من الجانبين أحس عمرو بن علي بن حاتم باليأس والضجر يتسربان إلى أصحابه ، خشي أن يستمر الأيوبيون في القتال نتيجة لتصميم طغتكين على الاستيلاء على الحصن ، فأرسل رسله لمفاوضة طغتكين ، وتم الاتفاق على تسليمه إليه مقابل أن يكون حصن العروس لبني حاتم (٤) . وكتب طغتكين « خطا بذلك وأعطاه [لعمرو بن علي] بلادا معينة ، وأطلق عليه أمواله »(٥) . فانتقل عمرو بن علي ومن معه إلى حصن العروس (٦) ، وتسلم طغتكين حصن كوكبان في ذي

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : نفس المصدر ، يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٦ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٦ أ ، الخزرجي : نفس المصدر ص ١٩٧ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١١١ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين . انباء الزمن ص ٥٦ .

(٤) انظر ، ص ١٣٩ — ١٤٠

(٥) الخزرجي : العسجد ص١٩٧ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ١٦ ب ، الخزرجي : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : =

الحجة سنة ٥٨٥ هـ / يناير ١١٩٠م (١).

الاستيلاء على حصن فـــدة :

تقدم طغتكين إلى حصرن فدة – المشرف على وادى ضهر – (٢) فحـط عليه وحاصره ورماه بالمجانيق، فلم يقو أهل الحصن على المقاومة وسلموه له (٣).

الاستيلاء على حصن ذمرمر:

لم يبق لبنى حاتم سوى حصن ذمرمر – وهو من أحصن معـاقل اليمن وأمنعها – وكان به على بن حاتم وأخوه بشر (٤). قال ادريس عماد الدين: « يزعم الذين يدورون فى البلاد أنهم لم يروا فى أقطار الأرض مثله حصانة وامتناعا » (٥). لهذا تفرغ طغتكين لحصار ذلك الحصن، وقسم قـواته التى استعد بها للاستيلاء على هذا الحصن إلى فرق، وقد بلغت هذه القوات عشرة آلاف رجل (٦). وقام بتوزيع تلك الفرق على عـــدد من الأماكن القريبة المحيطة بالحصن، فجعل إحـــداها في موضع يسمى الظليمة، وأخرى فى الحصين، وثالثة فى أكمة ابن ستبة، ورابعـــة فى أكمة الهامة، وخامسة فى

= تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٠٢، الشرقى: اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ أ، ابن الديبع: قرة العيون ص ١٠٨.

(١) ابن حاتم: نفس المصدر ص ١١٦أ، ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار ص ١٠

(٢) زبارة: أئمة اليمن جـ١ ص ١١١.

(٣) ابن حاتم نفس المصدر ص ١٦ ب، الخزرجى: نفس المصدر والصفحة، ادريس عماد الدين: نفس المصدر والصفحة، بامخرمة: نفس المصدر والصفحـة، الشرفى: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ادريس عماد الدين: نفس المصدر والصفحة.

(٥) ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار ص ٧.

(٦) ابن حاتم: السمط ص ١٦ ب.

الحصن الأبيض ، وسادسة فى تهال ، وسابعة فى كمة ابن الداية ، وجعل ثلاث فرق فى قاع القاصى (١) ،وغيرها فى الحصن الأحمر . وبهذا تم تطويق الحصن وأحكم الحصار حوله ، وسدت جميع المنافذ المؤدية إليه ، فانقطع الاتصال بالموجودين بالحصن .

وعلى الرغم من هذا الحصار القوى ، فإن مناعة الحصن ووفرة المؤن فيه ساعدت الموجودين به على الصمود للحصار ، الذى استمر أربع سنوات . فلما تعب الجانبان ، وقلت المؤن فى الحصن (٢) ، وزادت التكاليف على طغتكين ، سعى الفريقان إلى الصلح ،وتم التوصل إلى اتفاق يقضى بألا تكون تحت سيطرة بنى حاتم أية بلاد أو حصون ، مقابل أن يتكفل طغتكين لهم بخمسمائة دينار وخمسمائة كيلة من الطعام شهريا (٣) على سبيل الجامكية (٤) . وعلى هذا الاساس تسلم طغتكين حصن ذمرمر .

العلاقات بين طغتكين والزيدية :

لقد ظل اليمن بغير إمام للزيدية قرابة ربع قرن ، فمنذ وفاة الإمام أحمد

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٦ ب ــ ١٧ أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١١ ، الخزرجى : العسجد ص ١٩٧ ــ ١٩٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٨ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٧ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٠٢ ، الشرفى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٣ أ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١١ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ١٩ أ (الجامكية وجمعها جامكيات أو جوامك ، وهى الرواتب المربوطة بشهر أو أكثر) .

Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes.

ابن سامان سنة ٥٠٦ هـ / ١١٧١ م، لم يقم في اليمن إمام (١) . فلما كانت سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م أقامت الزيدية عبد الله بن حمزة بأمر الاحتساب (٢) في منطقتي الجوف وصعدة ، حيث يكثر أتباع المذهب الزيدي. فلما توجه طغتكين للاستيلاء على مدن وحصون بني حاتم سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م، أرسل بعض قواته إلى منطقتي متيك وبني شاور - شمالي صنعاء - فاستولت على بعض حصونها (٣) ، مما أدى إلى اضطراب صفوف الزيدية ، وبخاصة بعد أن أحاطت قوات أيوبيه - بلغت أربعة آلاف رجل - بجموع القبائل الموالية لعبد الله بن حمزة وانتصرت عليهم، وأنزلت بهم هزيمة كبيرة عند قرية شوحطين (٤) ، وتشتت قواتهم وقتل في تلك الموقعة محمد بن حمزة (٥) وفر أخوه عبد بن حمزه إلى بلاد الجوف(٦) . ثم توجه طغتكين إلى شهارة واستولى على بلاد الأهنوم وبلاد الشرف (٧)، كما سار إلى شوابة والجوف سنة ٥٨٦هـ/

---

(١) انظر ، ص ٥٢ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٥ ، الشرفي : اللالي المضية جـ٢ ص٢١٦ب، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص١١١ ، الكبسي : اللطائف ص ٢٨ ب (يمثل الاحتساب عند الزيدية ، الدرجة السابقة على الإمامة عندهم . وقد يصبح الرجل محتسبا ولا يدعو إلى الإمامة ولا يتوصل إلى مرتبتها) ، انظر العرشي : بلوغ المرام ص ٤٢٠ .

(٣) الشرفي : نفس المصدر والجزء ص ٢١٨ أ ، الكبسي : اللطائف ص ٣٠ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٦ ، زبارة : نفس المرجع والجزء ص ١١٠ .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة، زبارة : نفس المرجع والجزء ص١١١ .

(٥) الشرفي : نفس المصدر والجزء ص٢١٨ ب .

(٦) الكبسي : نفس المرجع والصفحة ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٧) الكبسي : نفس المرجع والصفحة .

١١٩٠ م ، ثم استولى على صعـدة (١) فى ذى القعدة سنـة ٥٨٦ هـ (٢) / ديسمبر ١١٩٠ م .

وحدة بلاد اليمن، واستقرار الأمور فيها :

استطاع طغتكين توحيد بلاد اليمن تحت حكمه ، بعد أن قضى على نفوذ نواب أخيه توانشاه ، وتخلص من بقايا بنى زريع باستيلائه على حصنى حب والدملوة ، وقضى على مقاومة قبـائل جنب بالاستيـلاء على منطقة ذمـار وماحولها ، كما انتهى من أمر بنى الصليحى باستيلائه على حصنى قيضان وظفار الواديين ، وتخلص أيضا من نفـوذ بنى حاتم باستيلائه على صنعاء وحصون أشيح والفص والظفر وكوكبان وفدة وذمرمر وغيرها ، وضمن تبعيتهم وولاءهم له بتقريره جامكية لهـم تعويضا عن البـلاد التى كانت تحت سيطرتهم . وباستيلائه على حصن عزان أخضع بنى شهاب ، كما قضى على بارقة الأمل التى كانت تراود الأشراف من بنى حمزة بقيام عبد الله بن حـمزة بأمر الاحتساب فيهم تمهيدا للقيام بالإمامة ، وذلك بعد أن هزمهم وشتت جمعهم فى جهات متيك وبنى شاور وشـوحطين واستولى على صعـدة وشوابة وبلاد الجوف وشهارة وغيرها .

وفاة طغتكين :

وباستقرار الأوضـاع فى اليمن أقام طغتـكين الولاة من قبـله على المـدن والحصون ، وعاد إلى صنعاء فى المحرم سنة ٥٨٧ هـ (٣) / فبراير ١١٩١ م . ثم

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٧ أ .

(٣) ادريس عماد الدين : نفس المصدر ص ١٠ .

أقام الهمام أبو زبا نيابة عنه على صنعاء ، وحلف له الأمراء والجند (١) ، وعاد إلى تعز بعد أن أصبح سيد البلاد بلا منازع ، وقد أطاعه جميع أهل اليمن ، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد ، وظل الحال على ذلك إلى أن توفى طغتكين بمدينة المنصورة باليمن فى السادس والعشرين من شوال سنة ٥٩٣هـ/ سبتمبر ١١٩٧ م بعد حكم دام أربعة عشر عاما وأربعة عشر يوما (٢) . ويقال أنه مات مسموما (٣) .

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٧ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ٢٠١ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٨٣ .

(٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن جـ٢ ص ١٦٦ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١١٣ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٠٤ .

الفصل الخامس

المعز اسماعيل بن طغتكين وسوء الأحوال فى عهده

(٥٩٣ – ٥٩٨هـ / ١١٩٧ – ١٢٠٢م)

ظروف قيـــامه بالسلطنة :

استطاع السلطان طغتكين بن أيوب أن يسيطر على بلاد اليمن ويقضى على جميع القوى المعارضة فيها ، حتى دانت له البلاد بالطاعة . ولقد كانت فترة حكمه من أكثر الفترات استتبابا للأمن، واستقرارا للأوضاع في اليمن، وذلك بالرغم من كثرة حروبه التي خاضها من أجل استكمال وحدة البلاد ، وإحكام السيطرة التامة عليها. فلما توفى طغتكين خلفه ابنه المعز إسماعيل – وهو أكبر أبنائه (١) – وكان طغتكين يعتمد عليه في كثير من الأمور ، ويبدو أنه كان يعده لتولى السلطنة من بعده ، ذلك أنه سبق أن أنابه عنه فى صنعاء (٢)، وقيل بل كانت له ولاية حصن كوكبان وبلاد الظاهر (٣). ولكنه أتى بأفعال أغضبت بعض القبائل ، كما ظهر منه الخروج على المذهب السني، فطرده أبوه

(١) الخزرجي : طراز الزمن ج ٢ ص ٣٦٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٩ ، قلادة النحر ج ٢ ص ٧٨٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ١١٠ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك – مخطوط – ج ٨ ص ١١ ب ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٨٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٣) الكبسى . اللطائف ص ٣٠ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٢ .

فضاقت به الأحوال وخرج مغاضبا لأبيه إلى بغداد (١) .

وذكر ابن الساعي الخازن (٢) أن المعز كان قد خرج عن طاعة أبيه ثم جاء إلى بغداد ملتجئا إلى الخليفة « فأكرم مثواه وشرف، وأقيمت له الإقامات . . .ولما توجه الحاج، شرف وأعطى من المال ما استكثره » . وكتب معه منشورا إلى أبيه يوصيه فيه بالصفح عنه والرضا (٣) . فمضى عائدا إلى اليمن .

وذكر المقريزى (٤) أن المعز قدم على صلاح الدين بدمشق فى منتصف شهر صفر سنة ٥٨٩هـ (٥)/فبراير ١١٩٣م ، فسر به وتلقاه بالإكرام (٦). وقيل إنما جاء مع الحجيج (٧) ، قبل وفاة صلاح الدين بأيام (٨)،فلما لم يظفر منه بشىء (٩)

(١) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن نفس الصفحة ، قلادة النحر نفس الصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ،الشرفى: اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٧ .

(٢) الجامع المختصر جـ ٩ ص ٩٧ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٧ ص ٤٥٢ .

(٤) السلوك جـ ١ ص ١١٢ .

(٥) كان صلاح الدين فى ذلك الوقت الذى أشار إليه المقريزى مريضا مرض الموت ، وكانت وفاته يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ هـ / فبراير ١١٩٣ م . (انظر ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٤١٩ ، محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين الأيوبى ص ٢٠٨) .

(٦) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٧) صاحب حماه : منتخبات من تاريخه ص ٣٠٨ .

(٨) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٦ ص ٢٩٠ .

(٩) العماد الأصفهانى : الفتح القسى ص ٣٣٥ .

توجه عائدا إلى اليمن حيث أدركته وفاة أبيه وهو بالسرين من مشارف اليمن كما يقول ابن واصل (١).

ولما كانت رواية المقريزى تنصب على عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م فإن ما جاء فى ابن واصل من أن المعز قد جاءه خبر أبيه وهو فى مشارف اليمن فى طريق عودته إليها ، ليس صحيحا . إذ أنه من الثابت أن وفاة طغتكين كانت سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م أى بعد أربعة أعوام من ذلك التاريخ الذى حددته تلك المصادر المعروفة . أما المصادر اليمنية فإنها لم تشر إلى خروج المعز من اليمن سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ، وإنما حددته بعام ٥٩٣ هـ /١١٩٧م ، وأن الرسل قد أدركته قبل خروجه من حدود اليمن(٢) ، وأبلغوه بوفاة أبيه فعاد .

ولهذا فمن المرجح أن المعز قد خرج من اليمن غاضبا أو مطرودا من أبيه مرتين ، الأولى سنة ٥٨٩ هـ عندما توجه إلى الخليفة فى بغداد - كما ذكر ابن الساعى - ثم عند عودته على دمشق لزيارة عمه صلاح الدين قبيل وفاته. وعاد بكتاب الخليفة إلى أبيه فى اليمن . أما المرة الثانية فكانت سنة ٥٩٣ هـ عندما لحقته الرسل فى منطقة حرض من المخلاف السليمانى وأبلغوه بوفاة أبيه .

ومهما يكن من شىء، فما أن علم المعز بوفاة أبيه حتى حزن ولبس السواد

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٩ ب ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٩ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٠ ، الخزرجى : العسجد ص ٢٠٣ ، طراز الزمن ج ٢ ص ٣٦٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٩ ، قلادة النحر ج ٢ ص ٧٨٩، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ .

وجز شعره (١) . وعاد إلى زبيد فدخلها في التاسع عشر من ذى القعدة سنة ٥٩٣هـ (٢) / أكتوبر ١١٩٧م ، بعد أن استولى في طريقه على البلاد التهامية الواقعة إلى الشمال من زبيد (٣) ، ثم غادرها في اليوم التالى متوجها إلى تعز فدخلها في الثانى والعشرين من الشهر (٤) . وبقى بها شهرا تركها بعده إلى ذى جبلة فوصلها في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٩٣هـ (٥) / نوفمبر ١١٩٧ م .

سوء سياسة المعز واضطهاده لأتباعه :

لقد بدأ المعز سلطنته بسفك الدماء، ذلك أنه لم يكد يعلم بوفاة أبيه ـ وهو في مدينه حرض ـ حتى استدعى القاضى الأسعد عامل أبيه عليها وقتله واستصفى أمواله (٦) ، واستولى على خدمه وجواريه (٧) ، دون ذنب جناه، ولكن بحجة تقصيره في القيام بواجبات استقباله عند وصوله إلى حرض في طريقه إلى مصر قبل أن يتولى السلطنة (٨) . واستمر المعز متمسكا بسياسة البطش

---

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، النويرى : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٧ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن نفس الصفحة ، قلادة النحر نفس الصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٠ ب .

(٤) الخزرجى : طراز الزمن نفس الصفحة .

(٥) الخزرجى : العسجد نفس الصفحة .

(٦) العسجد ص ٢٠٣ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ٢٠ ب ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب .

(٨) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣١ أ .

فقتل جماعة كبيرة من غلمان أبيه (١) .

ومن ناحيــة أخرى ، فقد جاءه الهمام أبو زبا ـ نائب أبيه على صنعاء ـ عندما علم بوصوله وتوليه السلطنة خلفا لأبيه ، فلما اجتمع به أظهر له الولاء والطاعة (٢) ، إلا أن المعز كان قـد أضمر له الشر (٣) ذلك أنه لم يلبث أن سار معه متوجها إلى صنعاء ، فلما بلغها قبض عليه وقتله فى المحرم سنة ٥٩٤هـ(٤)/ نوفمبر ١١٩٧م ، وجعل مكانه نائبا آخر هو الشهاب الجزرى(٥) ، ثم عاد إلى زبيد (٦) بعد أن رتب العسكر (٧) بصنعاء لنائبه الجديد

لقد أساء المعز السيرة مع أجنــاده وأمرائه (٨) ، وكان شحيحا عليهم جوادا على غيرهم من أهل اللهو (٩) ، وكثر ظلمه وزاد طغيانه . ومما يذكر

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٩ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٣١ ص ٤٠ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ٢٠ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن عبد المجيد : نفس المصــدر والصفحة ، النويرى : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : العسجد ص٢٠٣ . ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ، بغيــة المستفيد نفس الصفحة ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

(٦) ابن الديبــع : بغية المستفيد نفس الصفحة .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢١ أ .

(٨) ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٦١ ، ابن الفــرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٩٣ .

(٩) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٤ ، طراز الزمن جـ ٢ ص ٣٦٩ .

أن الأتابك سيف الدين سنقر - وهو أحد كبار أمراء الأجناد - دخل عليه يوما فلما رآه المعز قال له : « ما أحسن أضلاعك هذه شواء » فلم يشك فى أنه يريد ذبحه . فلما خرج من عنده هرب ولم يعد إليه (١) . فأشيع عنه بأنه مولع بذبح وأكل بنى آدم (٢) ، وانتشر عنه ذلك ، فخافته مماليك أبيه لهوجه وسفهه ، وهرب منهم عدد كبير (٣) ، تحزبوا ضده وانضموا إلى أعدائه وحاربوه (٤) واتفقوا على قتله والتخلص من شره (٥) .

خروج المعز على المذهب السنى وادعاؤه الخلافة وانتسابه لبنى أمية :

لم يكد المعز يتقلد أمور السلطنة فى اليمن ، حتى ترك التمسك بمذهب أهل السنة،وانتقل فى بادىء الأمر إلىمذهب الاسماعيلية (٦)، وطمع أنصاره فى إبطال المذهب السنى فى اليمن (٧) . وصفوة القول أن المعز كان فاسد

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ص١٣٣ب .

(٢) الخزرجى : طراز الزمن جـ ٢ ص ٣٦٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٢٠ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٨٩ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ ، اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٥ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٣٧ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٧ ص ٤٥٣ .

(٥) الخزرجى : العسجد نفس الصفحة ، ابن واصل : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : نفس المصدر والصفحة .

(٦) الخزرجى : طراز الزمن جـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٧)طلب أنصار المعز من الاسماعيلية منه العمل على اسقاط مذهب السنة من اليمن، -

العقيدة ، وقد اتهم بأنه مصاب بضعف فى عقله . ذلك أنه ادعى النبوة [١] ، وقيل بل ادعى الربوبية نصف نهار ، وأمر كاتبه ـ وكان اسماعيليا ـ [٢] أن يكتب عنه فى مراسلاته بذلك . فكانت المكاتبات تصدر بقوله « صدرت هذه المكاتبة عن مقر الالهية » [٣] ثم نهى عن ذلك فانتهى خوفا من القتل [٤] . ولكنه تحول فادعى الخلافة ، ودعا لنفسه فى سائر مملكته [٥] وتلقب بالامام الهادى بنور الله، المعز لدين الله [٦]. ولبس ثياب الخلافة [٧]، وجعل شعاره

= فلما لم يتمكن، طلبوا أن يجرب ذلك بمدينة ذى جبلة ـ باعتبارها من معاقلهم ـ ولكن خطيبها لم يقبل باسقاط الشيخين (أبو بكر وعمر) من الخطبة . وبعد مشقة وجدوا من قبل القيام بهذه المهمة ، ولكنه مدح فى خطبته الخليفتين أبى بكر وعمر والمن بانتضهما : ومما يذكر أن هذا الخطيب كان قد قبل القيام بهذا العمل من أجل الحصول على مبالغ يسدد بها دينه ، فلما اطمأن الى ذلك وحصل على المال،قام بمدح أبى بكر وعمر بدلا من لعنهما . فلم يجد المعز بدا من الابقاء على الخطبة على حالتها الأولى (انظر الخزرجى : العسجد ص ٢٠٤ ، طراز الزمن جـ ٢ ص ٢٥٧) .

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ١٠٣٣ ، ابن رسول : نزهة العيون ص ٨٣ ب ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٧ ص ٤٥٣ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٧ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٤٣ ـ ١٦٠ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٣٧ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٩٣ أ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٤٣ .

(٦) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٠ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٨٠ ، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٦ ، جـ ٣١ ص ٤٠ ، على بيومى : قيام الدولة الأيوبية ص ٥٨ .

(٧) هذه الثياب عبارة عن القميص الواسع والعمامة والطيلسان (نهاية الأرب جـ ٢٧ ص

الخضرة ، وقطع الخطبة لبنى العباس وخطب له بأمير المؤمنين وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ٥٩٧ هـ[1]/ مارس ١٢٠١م ، كما خطب بنفسه على المنابر[2] وانتسب إلى بنى أمية[3] . وكتب منشورا بذلك ولقب فيه نفسه بألقاب كثيرة فقال : « إمام الأئمة ، وكاشف الغمة ، وعالى الهمة ، المفترض الطاعة على كافة الأمة ، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية ، وفرع الشجرة الإمامية الأموية ، المعز ، الناصر ، العزيز ، القاهر ، الرحيم ، القادر ، الحليم ، الذاكر ، سيد الموحدين . الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله ، الهادى إلى الحق بأمر الله ، أمير المؤمنين المعز اسماعيل بن طغتكين بن شادى بن مروان الأموى ، خليفة رب العالمين صلوات الله عليه وبركاته[4] .

وأرسل المعز كتب الدعوة إلى سائر الأقطار ، ومنها رسالة إلى عمه

= ص ٦) وهذه القمصان اكمام طويلة واسعة (طراز الزمن جـ ٢ ص ٣٧٠ ، تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٢٠ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٨٩) وتسمى هذه القمصان بالثمانية والعشارية ، لأن طول الكم يبلغ ثمانية أو عشرة أذرع (المسجد ص ٢٠٥) وقيل بأن طول الكم بلغ العشرين شبرا (أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٠٧ ، ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ ص ١١٩ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٢٧٩) وقيل بأن المعز جعل طول الكم خمسة وعشرين شبرا فى سعة ستة أشبار (المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٦٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٩٤ أ) بحيث يكون وجاسة ، فيصل إليه من يريد تقبيل يده فيرسل إليه كمه نيابة عنها (الخزرجى : المسجد ص ٢٠٥) .

(١) الخزرجى : المسجد ص ٢٠٥ ، طراز الزمن جـ ٢ ص ٣٦٩ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٦٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٨ ص ٩٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤ .

(٣) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٤) انظر ، ابن حاتم : السمط ٣٦ ـ ٣٨ .

الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى مصر يخبره فيها بما فعل ، ويعرض عليه النزول له عن الخلافة (١) .

لقد أحدث فعل المعز صدى كبيرا ، فنى بغداد أقيمت الاستعدادات وخرج الأمير طاشتكين إلى الحلة فى الخامس من ذى القعدة ٥٩٧ هـ / أغسطس ١٢٠١م ، « لاستعراض العساكر ، وكان على عزم التوجه إلى اليمن لمحاربة المعز اسماعيل (٢) . وفى مصر استاء الملك العادل أبو بكر مما فعله المعز ، وأنكر عليه دعواه الخلافة ، وانتسابه لبنى أمية ، وخجل أن يكون لبنى أيوب نسب متصل ببنى أمية (٣) . وكتب إليه يلومه ويوبخه ، وينهاه ويتهدده بسبب ذلك (٤) ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ، وأن يترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه . فلم يلتفت المعز إلى ذلك ولم يرجع عنه (٥) .

أما عن ادعائه النسب لبنى أمية ، فيذكر العينى (٦) أن « هذا الادعاء ليس بصحيح ، ولا له أصل يعتمد عليه ولا مستند يستند إليه » . وقال : قال ابن أبى طى (٧) « لا يعرف فى نسب نجم الدين [أيوب] أكثر من والده شادى

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٦ .

(٢) ابن الساعى الخازن : الجامع المختصر جـ٩ ص ٤٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ٣ ص ١٣٧ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ٨ ص ٩٢ ــ ٩٣ المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٦٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٢١٦ .

(٥) ابن الاثير : الكامل جـ١٢ ص ٦١ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ .

(٦) العينى : نفس المصدر مجلد ٥٠ ص ٥١٢ ــ ٥١٣ .

(٧) أبو شامة الروضتين جـ١ ص ١١٠ .

وحدثني أبي قال، كان تقي الدين عمر[بن شاهنشاه بن ايوب]، يزيد فيقول: شادي بن مروان . وسمعت من يقول شادي بن مروان بن يعقوب[١] .
قال وأجمع الجماعة من آل أيوب ان دعوى ابن سيف الإسلام[المعز اسماعيل ابن طغتكين] أنهم من بني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية كذب[٢] .
وأن جميع آل أيوب لا يعرفون جداً فوق شادي[٣]. قال ، وأخبرني السلطان الظاهر قال ، وصحة دليل ذلك أني وقفت على كتاب وقف رباط النجمي بدمشق، ولم يزد فيه على نجم الدين أبي سعيد أيوب بن شادي العادلي » [٤] .

وهكذا فليس هناك ما يؤيد صحة نسب بني أيوب الى بني أمية ، وان هذا الادعاء من جانب المعز ارتبط بادعائه للخلافة . ومن الواضح أن هذا الانتساب قد قصد به تأييد حقه في الخلافة باعتباره من قريش .

المعز وقيام عبد الله بن حمزه بالإمامة :

لقد كان قيام عبد الله بن حمزة [٥] بدعوته الأولى للاحتساب سنه ٥٨٣هـ/

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٢٧١ ، علي بيومي : قيام الدولة الايوبية ص ٥٧ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ١ ص ٤ .

(٣) قال ابن واصل: « والذين ادعو هذا النسب قالوا، أيوب بن شاذي بن مروان ابن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وفي عبد مناف يجتمع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسب بني أمية . فهذا قول من جعل نسبهم في بني أمية («مفرج الكروب جـ١ ص ٤».

(٤) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٠ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥ ص ٥١٢ـ٥١٣ .

(٥) هو الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة =

١١٨٧ م (١) . فلما تجمعت القبائل فى شمال اليمن من حوله ، وبدأ يشكل خطرا على الأيوبيين فى اليمن ، حاربه طغتكين وهزمه وشتت جموعه ، فظل ساكنا طوال الفترة الباقية من حكم السلطان طغتكين . فلما تولى المعز السلطنة، كانت سياسته السيئة دافعا ومشجعا لعودة عبد الله بن حمزة مرة أخرى ، وبالتالى إلى قيام قوى معادية جديدة لم يكن لها وزن منذ أن جاء الأيوبيين إلى اليمن .

وقد استغل ابن حمزة الانقسام فى صفوف الأيوبيين الناجم عن اضطهاد المعز لأتباعه . فتقدم فى ذى القعدة سنة ٥٩٣ هـ (٢) / سبتمبر ١١٩٧ م من بلاد الجوف إلى هجرة معين من أعمال صعدة (٣) - فأقام بها يدعو الناس إلى بيعته للامامة ، ثم انتقل إلى صعدة (٤) ، حيث بايعه الناس بمسجدها الجامع يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٥٩٤ هـ (٥) / ٢٣ يناير سنة ١١٩٨ م .

= ابن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (الصمدى : مآثر الأبرار ورقة ٨٩ ، ابن القاسم : طبقات العلماء الزيدية لوحة ٥٨ ، الجراقى : المقتطف ص ١١٦ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٠٨) .

(١) انظر ، الفصل الرابع ص ١٤٥ .

(٢) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ ٢ ص ٣٥٤ ، الصمدى : نفس المصدر ص ٩٠ ب ، ابن القاسم : نفس المصدر ص ٥٩ ب ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٣ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٣ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

(٥) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ ١ ص ٣٥٤ـ٣٥٥ ، الصمدى : مآثر الأبرار ص ٩٠ ب ، الجدارى : الجامع الوجيز ص ٦٦ ، أخبار الهجرة المنصورية لمؤلف مجهول ص ٣ ، زبارة : نفس المصدر والجزء ص ١١٤ .

ونشط أعداء الأيوبيين فى اليمن ، وتكتلوا وراء الإمام عبد الله بن حمزة ، عسى أن يتحقق لهم القضاء على الوجود الأيوبى فى اليمن ، ليستعيدوا فيها سلطانهم ، وخاصة بنو حاتم الذين كانوا من أكثر الناس دفعا لعبد الله بن حمزة للقيام بأمر الإمامة . وبلغ بهم الأمر إلى حد السماح له باستخدام حصونهم مثل حصنى ثلا وكوكبان إلى الغرب من صنعاء ، وكان على بن حاتم قد تمكن من شراء حصون كوكبان وبكر وثلا والظفر من نواب الأيوبيين فيها (١) . وبعد أن تكامل عسكر الإمام ، توجه إلى بيت خولان – من أعمال ذمار – ولكن القوات الأيوبية بقيادة الشهاب الجزرى نائب صنعاء ، وسيف الدين حكو بن محمد الكردى – أحد كبار القادة الأيوبيين – استطاعت رده وفرقت عسكره (٢) .

نتائج سياسة المعز الهوجاء واستياء قواد الجيش واستغلال الإمام للموقف :

لقد كان قادة الأيوبيين فى خوف من المعز لما عرف عن بطشة بهم . ولهذا لجأ الإمام إلى استغلال ذلك الموقف ، وأخذ يعمل على استمالة قادة المعز وجنده ويمنح الفارين منهم الحماية ، ليستعين بهم فى ضرب القوى الأيوبية نفسها . ولقد نجح الإمام فى ذلك إلى حد بعيد ، واستطاع أن يضم اليه جماعة من قادة المعز وعسكره (٣) . وكان سيف الدين حكو بن محمد الكردى (٤) أول من

---

(١) الشرفى : اللآلى المضيئة ج ٢ ص ١٣٣ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٤ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٣ .

(٤) كان سيف الدين حكو رجلا شهما شجاعا ، وكان الشهاب الجزرى يقدمه فى كثير من =

استجاب لدعوة الإمام . فلما علم المعز باتفاق حكو مع الإمام ، جرد له عسكرا للقبض عليه حيثما كان(١) . فلما تم اللقاء فى منطقة ذمار ، تظاهر حكو بأنه كان فى طريقه إلى المعز ، فلم يكذبوه ، ولم يمكنهم إلا مسايرته حتى يصلوا به إلى المعز . وأوهموه بأنهم إنما جاءوا لنصرته . وسار الجميع متجهين إلى تعز فى السابع عشر من رمضان سنة ٥٩٤ هـ (٢) / يولية ١١٩٨ م . فلما جاء الليل تسرب حكو عائدا حتى بلغ جبل كَنن (٣) ، فأحسن أهل سنحان استقباله (٤) فلما لحق به باقى عسكره توجه إلى حصن لاحج – وبه حامية أيوبية – فقاتلهم وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة وخرب الحصن (٥) . ثم سار إلى موضع آخر يسمى تريان (٦) – وهو تابع للمعز أيضا – فنهبه (٧) وقتل عددا ممن كانوا

الحروب، الـكان يؤدى مهمته على احسن وجه . وفى سنة ٥٩٤ هـ حدث خلاف بينهما ، فأضمر حكو الخروج عن طاعة الأيوبيين وراسل الإمام سرا ، وأخبره برغبته فى اللجوء إليه والعمل تحت رايته ، فاستجاب له الإمام وبعث إليه بمن التقى به فى مغارب ذمار . وكان حكو قد خرج إلى ذلك المكان بأمر من الشهاب الجزرى فخربه ونهبه ، واجتمع حكو بمندوب الإمام فى رمضان سنة ٥٩٤ هـ واخذ منه البيعة للامام ، وبقى الأمر سرا وصار حكو مباطنا للامام مظاهرا المعز . (انظر ، ابن حاتم : السمط ص ٢١ أ ، ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣١ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٥) .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٢١ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٢٢ أ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ ، الكبسى : اللطائف ص ٣١ ب .

(٤) تقع سنحان إلى الجنوب من صنعاء (أئمة اليمن ج ١ ص ١٢١) .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٦) تريان : موضع من بلاد نهد (انباء الزمن ص ٥٨) .

(٧) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

به (١) . ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل اعترض حكو لخزانة - كان قد بعثها المعز إلى الشهاب الجزرى بصنعاء - فقاتل حراسها وهزمهم وأسر بعضهم واستولى عليها منهم (٢) .

وهكذا برهن حكو على صدق نيته فى الخروج على الأيوبيين ، وأصبح الإمام على يقين من ميله إليه ، فأرسل فى طلبه ، فلما جاء إلى شبام (٣) فى ذى القعده سنة ٥٩٤ هـ / سبتمبر ١١٩٨ م ، أحسن الإمام استقباله وأكرمه . ولما جدد حكو البيعة للامام ، قدمه على أجناده وألزمهم بطاعته وتنفيذ أوامره ، ورفع الإمام منزلته ، ولقبه بالسلطان (٤) فاستمال بذلك جوارحه ، وقطع بذلك أى أمل له فى العودة إلى المعز (٥) . وصار حكو يواصل غزواته - لحساب الإمام - على البلاد والحصون الخاضعة لسيطرة المعز ، حتى ضاق عسكرها منه ضيقا عظيما ، وقاسوا منه الكثير (٦) .

كان انشقاق حكو ولجوئه إلى الإمام يشكل سابقة خطيرة جعلت الكثيرين غيره - من قادة وجند المعز - يلجأون إليه . ولم يمض وقت طويل حتى خالف أحد مقدمى جيش المعز ويدعى هشام الكردى (٧) ، وتوجه بعسكره

---

(١) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٢٢ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٨ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٦ .

(٤) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٢ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٢ ب .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٧) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة

إلى الإمام فسر بهم (١) ، وزاد في إكرامهم وأصبحوا من جملة عسكره .

ولقد كان لخروج قادة الأيوبيين على المعز وانضمامهم للامام أثره السيء ، اذ أصبح الإمام يشكل خطرا كبيرا على تماسك القوى الأيوبية بتحريضهم على الخروج عن طاعة المعز وإيوائهم واستخدامهم ضده . ولهذا لم يجد المعز مفرا من محاربة الإمام ، فتجهز في جيش كبير وتوجه إليه في شبام (٢) من نواحي كوكبان ، ولكنه توقف ولم يواصل السير لحدوث انشقاق جديد في صفوف جيشه بخروج مقدم آخر يدعى شمس الخواص عن طاعته ، وكان هذا الرجل قد علم بأن المعز يدبر التخلص منه بسمه (٣) فلما تأكد له صدق هذا النبأ (٤) ، خرج منشقا بمن كان معه من الجند (٥) ، وكانوا ستمائة فارس وراجل (٦) ، وهم معظم القوة التي كانت في طريقها لمحاربة الإمام (٧) ، وأرسل شمس الخواص إلى الإمام يطلب السماح له بالانضمام إليه ، وتم اللقاء بينهما في ثقيل عصر (٨) ، واتفقا على التوجه إلى صنعاء (٩) للاستيلاء عليها . فلما أحس المعز بذلك ترك صنعاء عائدا إلى تعز بعد أن رتب بها حامية ،

---

(١) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٦ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٢٣ ب .

(٥) ادريس عماد الدين : نزهة الافكار ص ١٢ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٧) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٨) أدريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

(٩) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٤ ب .

وتمكن بعد جهد من الوصول إليها (١) .

استيلاء الإمام على صنعـــاء :

بهذا تهيأت الظروف لمصلحة الإمام ورجحت كفته وتجمع لديه عـــدد كبير من الجند الأيوبي ، نتيجة التجاء كل من سيف الدين حكو بن محمد وهشام الكردي وشمس الخواص بمن كان معهم من الجند إليه . وعمل الإمـام على تحقيق الاستفادة الكاملة من هذه القوى ، باستخدامها في تقويض النفـوذ الأيوبي . واتفق مع شمس الخواص على التوجه إلى صنعاء للاستيلاء عليها . فلما جاءوها عسكروا بالقرب منها ، وتوجه الإمام في جماعة من أصحـابه بالقرب من المدينة ، فلمـا اقتربوا من باب الخندق للاستكشاف، قذفهم أهل صنعاء بالحجارة والنبال واضطروهم للعودة إلى معسكرهم (٢) ، فأمر الإمام ، فأذن بحي على خير العمل – وهو شعار الشيعة في الآذان – وعندئذ خـرج جماعة من أهل صنعاء معتذرين للامام ، وطلبوا منه دخول المدينة (٣) .

الموقف في صنعاء بعد دخـول الإمام عليها :

لقد انقسم أهل صنعاء إلى فريقين ، فمنهم من رحب بدخول الإمام ، ومنهم من كرهه (٤) . أما الإمام فإنه لجأ إلى تقسيم القوات الأيوبية الموالية له إلى

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٤ أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٢٤ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٤ ب ، ٢٥ أ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٥ أ .

قسمين ، أحدهما بقيادة حكو الذي بقي معسكرا خارج صنعاء (١) ، والثانى بقيادة شمس الخواص الذى دخل إلى المدينة من باب الخندق « فتفرق الناس من خوفه في المدينة» (٢). وركب الإمام في سبعين فارسا (٣) من أصحابه ودخل صنعاء في شهر ذي القعدة سنة ٥٩٤ هـ (٤) / سبتمبر ١١٩٨ م ، وفيها من جند المعز سبعمائة فارس (٥) .

توجه الامام إلى الجامع الكبير فى صنعاء ، فتزاحمت عليه وفود أهلها حتى غص المسجد من كثرتهم (٦) . فلما علم شمس الخواص باقبال الناس على الإمام ، أحس بخطورة الموقف ، وخشى من غائلته ، وأدركته التعاسة والنـــدم . فتوجه من فوره بجنده وحاصر المسجد (٧) ، بغيـة القبض على الإمام . فلما وصلت الأنباء للامام بذلك ، تفرق كل من جاء إليه بالمسجد ، ولم يبـق معه إلا خمسة عشر رجلا من خاصته (٨). فلما جاء الليل وتفرق معظم جند شمس الخواص

(١) المحلي الشهيد : الحـدائق الوردية ج ٢ ص ٣٦٤ ، الجندارى : الجامـع الوجيز ص ٧٠ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الصعدى : مآثر الابرار ص ٩٠ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص٥٩ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٦ .

(٤) الصعدى : نفس المصدر ص ٩١ ب .

(٥) المحلي الشهيـد : نفس المصدر والجـزء ص ٣٤٣ ، ٣٦٣ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٢ أ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٢٥ أ .

(٧) المحلي الشهيد : الحدائق الوردية ج ٢ ص ٣٦٤ ، الصعـدى : مـآثر الابرار ص ٩٠ ب ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٢ أ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٦ .

(٨) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٥ ب .

المحاصرين للمسجد، خـــرج الامام متنكـرا مع من تبقى معه[1] ، وسار معهم - وكأنه واحد منهم - بين الجند الأيوبى[2] فلم ينتبه إليه أحد ، ولجأ إلى الاختباء لدى أحد الموالين له بالمدينة .

وهكذا أصبح موقف الإمام فى صنعاء خطيرا ، وبدا وكأنه قد استدرج إلى صنعاء للايقاع به والقضاء عليه . ونتيجة لتلك المخاطر وخوفا على الإمام ، حاول أصحابه إدخال القسم المرابط خارج صنعاء من جيش الأيوبيين - الموالى للامام - إليها . كما أرسل الإمام إلى قائد هذا الجيش سيف الدين حكو يطلب منه الدخول بمن معه إلى المدينة ، ولكن حكو اعتذر خشية أن يتعرض هو وعسكره للأخطار[3] . ولما يئس الإمام وأصحابه من مجىء حكو لنجدتهم أخذوا يبحثون عن طريقة لاخراج الإمام سالما من صنعاء ، ولكن شدة الحراسة على أبواب المدينة لم تمكنهم من تحقيق ما عزموا عليه . ولهذا لجأوا إلى سلاح المال لإغراء الجند الأيوبى واستمالتهم[4] . واستطاعوا أن يستميلوا عددا كبيرا ثم فتحوا أبواب المدينة[5] فدخل الأمير حكو وعسكره إلى المدينة[6] ، بعد خروج شمس الخواص منها[7] ، فاطمأن

---

(١) المحلى الشهيد : نفس المصدر والصفحة ، ابن حاتم : السمط ص ٢٥ ب ، الصعدى : نفس المصدر والصفحة ، الجندارى : الجامع الوجيز : ص ٧٠ ، زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٦ أ .

(٤) زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٥) الصعدى : مآثر الابرار ص ٩١ أ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ .

(٦) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية ج ٢ ص ٣٦٥ ، الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٠ .

(٧) ابن حاتم . السمط ص ٢٨ أ .

الإمام وأصحابه ، ولكن لم يلبث شمس الخواص أن عاد إلى صنعاء ، ولم يكن الإمام مطمئنا له ، ولكنه اضطر إلى مداراته وتعظيمه حتى يستميله إلى جانبه . ونجح الإمام فى ذلك وأخذ البيعة منه وممن كان معه ، وبذلك استقرت الأمور واستقامت للامام في صنعاء ، وزالت المخاطر عنه .

محاولة شمس الخواص الاستيلاء على زبيد ووقوعه فى الأسر :

لقد بلغت عداوة شمس الخواص للمعز حدا جعلته يعد العدة للاستيلاء على زبيد منه ، فلما علم المعز بذلك ترك تعز وسبقه إلى زبيد . وقد استغل أصحاب شمس الخواص الفرصة وقبضوا على قائدهم ، وأتوا به أسيرا إلى المعز فى زبيد (1) ، فاكتفى المعز بنفيه إلى جزيرة دهلك فى البحر الأحمر ، فظل بها حتى مات (2) .

محاولة حكو الاستيلاء على السلطنة من المعز :

طمع سيف الدين حكو فى الاستيلاء على اليمن من المعز ، فجهز جيشا خرج به من صنعاء فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ (3)/ يناير ١١٩٩ م . وتصادف أن كان المعز قد أعد جيشا بدوره من ستمائة فارس إلى صنعاء ، فلما أحس حكو بذلك ندم على خروجه من صنعاء ، واضطربت جموعه وخاصة بعد أن وصلت قوات المعز إلى مدينة ذمار . ثم لم تلبث أن عادت الطمأنينة إليه بعد أن لحق به الامام ، وانضم إليه الكثير من

(1) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٨ ب .

(2) الكبسى : اللطائف ص ٣٢ ب ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٧ .

(3) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٨ ب ، ٢٩ أ .

قبائل المنطقة (١) . ومن ناحية أخرى فلما علم الأيوبيون بخروج الإمام من صنعاء ، أسرع الشهاب الجزرى فى جزء من جند المعز إلى صنعاء ليخلف الإمام عليها ويقطع طريق الرجعة عليه .

هزيمة حملة المعز واستيلاء الإمام على ذمار :

على الرغم من تخوف الإمام من احتمال نجاح الشهاب الجزرى فى الاستيلاء على صنعاء، إلا أنه فضل أن يكتل جهوده أولا لضرب الحملة الرئيسية والاستيلاء على مدينة ذمار (٢) ، فإذا ما تم له ذلك تحول إلى الشهاب الجزرى للقضاء عليه . وتمكن الإمام من الاستيلاء على ذمار فى شهر ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ(٣) / يناير ١١٩٩م بعد مقاومة عنيفة من قوات المعز فيها ، فلما انتهى من أمرها، تركها إلى صنعاء فى العشرين من ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ (٤) / ٢٠ يناير ١١٩٩م - وكان الشهاب الجزرى لا يزال محاصرا لصنعاء ومضيقا على أهلها - فتمكن الإمام من دخولها، وفوت بذلك الفرصة على الشهاب الجزرى واضطره إلى التحصن فى حصن براش (٥) . ثم لم يلبث أن انضم سيف الدين حكو إلى الإمام وتوجها إلى حصن براش ، وتم حصاره حتى

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٢٨ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٩ ب .

(٣) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية ج ٢ ص ٣٧٢ ، الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٠ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٢٩ ب ، ٣٠ أ ، المحلى الشهيد : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٠ أ ، الجندارى : نفس المرجع ص ٧٠ - ٧١ .

اشتد الأسر على الشهاب الجزرى فطلب الأمان ، واستجاب له الإمام على أن يتوجه رأسا إلى تعز . فلما خرج من الحصن أرسل الإمام إليه من ألقى القبض عليه وعلى من كان معه وهم فى طريقهم إلى المعز ، وذلك فى الثانى من ربيع الآخر سنة ٥٩٥هـ(١)/ فبراير ١١٩٩ م. فلما جاءوا بهم إلى صنعاء قيدوهم وأرسلوهم إلى حصن فدة (٢) للتحفظ عليهم .

موقعة نقيل صيد وهزيمة حكو ومقتله :

لقد كان لهزيمة جند المعز فى ذمار ، وأسر الشهاب الجزرى وغيره من الجند الأيوبى ، أثره السيء على المعز . ورأى أن الموقف يحتم عليه التوجه بنفسه – على رأس جيش – إلى صنعاء . فتجهز وسار « فى جحفل لجب وجيش جرار – فى غير علم من الإمام وحكو به ، ولا وقع عندهم أن المعز بعد هذه القضايا التى تمت على عسكره يتحرك إلى البلاد ولا يطلعها ولا يهتم بها » (٣) وتصادف أن كان حكو يريد معاودة محاولته السابقة للاستيلاء على اليمن من المعز ، وأغراه ابن المعلم (٤) بالمضي فى تنفيذ مخططه ، وقوى من عزيمته للاستيلاء على البلاد . وقد أراد ابن المعلم خديعته ليتيح الفرصة للمعز لاقتناصه والتخلص منه . وكان ابن المعلم على اتصال بالمعز ، ورسائله مستمرة إليه على وجه الكتمان . وعملا بمشورة ابن المعلم ، توجه حكو – على

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٠ ب.

(١) ابن حاتم : السمط ص ٣٠ب.

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣١ أ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة (كان ابن المعلم احد قادة جيش المعز فى حملة ذمار وقد تم اسره عندما استولى حكو والامام على ذمار فى ربيع الأول ٥٩٥ هـ) .

كره من الإمام (١) ـ لمحاربة المعز . فلما صار في مصنعة الحقل بالقرب من نقيل صيد (٢) ، عسكر بجموعه هناك ، وانضم إليه عدد كبير من قبائل المنطقة . أما المعز فقد جاء بعسكره إلى نقيل صيد ، فلما علم حكو بذلك ، أراد أن يسبقه إلى رأس النقيل للسيطرة عليه ، ولكن ابن المعلم أقنعه بالبقاء في موقعه وعدم احتلال رأس النقيل ، حتى لا تنفض القبائل من حوله . وفي نفس الوقت كتب ابن المعلم إلى المعز سرا يستحثه في الإسراع باحتلال رأس النقيل ، وقال له : « قد أمكنتك الفرصة في استرجاع البلاد ، فإن كنت تحب ذلك فلا تقف » (٣) . ونفذ المعز ما أشار به ابن المعلم وسيطر على رأس النقيل في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٥٩٥ هـ (٤) / فبراير ١١٩٩م . وكان الإمام قد خرج من صنعاء مددا لحكو (٥) ـ وكانت تلك عادته متى قصد حكو إلى مكان ـ « وقف بعده يومين أو ثلاثة وما فوق ذلك يسيرا » (٦) .

لم يكد المعز يستولى على رأس النقيل حتى أخذ في تنظيم قواته، وأسرع بالالتحام في معركة عنيفة مع حكو (٧) ، واستطاع المعز أن ينتصر فيها

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص١١٨ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٣١ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٢ ب .

(٧) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١٢ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٨ .

ويلحق بحكو هزيمة منكرة (١) ، أسفرت عن مقتله في كثير من أتباعه ، وغنم المعز كل ما كان معهم من مؤن المعز كل ما كان معهم وعتاد (٢) .

استيلاء المعز على ذمار :

لم يكد المعز ينتهي من معركة نقيل صيد ، حتى توجه مسرعا إلى مدينة ذمار — وكان قد لجأ إليها الفارون من عسكر حكو واحتموا بها — فتبعهم المعز ولم يترك لهم فرصة لتنظيم صفوفهم ، واستولى على المدينة قهرا (٣) .

وقعت أنباء هزيمة حكو ومصرعه واستيلاء المعز على ذمار وقع الصاعقة على الإمام ، وخاصة عندما رأى الناس يهرعون منهزمين بعد المعركة من جهة ذمار . مما أدى إلى اضطراب في صفوف أتباعه الذين «ساروا كل على وجهه ، لا يلوى أحد [منهم] على أحد . ولم يبق إلا الإمام وجماعة يسيرة ثبتوا معه تعصبا وتحببا وأنفة عليه من الانفراد » (٤) فاضطر الإمام إلى التوجه إلى شبام — حيث استقراره المعتاد (٥) — وأرسل إلى واليه في صنعاء يخبره بالهزيمة ، ويأمره بتسليم حصن فدة إلى بني حاتم والتفرغ للمحافظة على صنعاء (٦) . ولم يبق الإمام في شبام ، وانتقل إلى حصن ثلا فوصلة في

(١) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣١ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٣٢ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٢ ب .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥٩٥هـ [١]/مارس سنة ١١٩٩م للاحتماء به ، والعمل على تنظيم صفوفه.

استيلاء المعز على صنعاء :

تابع المعز سيره إلى صنعاء فدخلها [٢] ، ولحق به الشهاب الجزرى بعد أن تمكن من التخلص من الأسر ، وبقى المعز فى صنعاء عدة أيام غادرها بعدها متوجها إلى منطقة شوابة [٣] ، فلما بلغ بلدة ريدة – على بعد عشرين ميلا إلى الشمال من صنعاء [٤] ، قابله صاحبها وأكد ولاءه وتبعيته له ، فعاد المعز إلى صنعاء دون أن يواصل سيره إلى شوابة، حيث أقام الشهاب الجزرى نائبا عنه فى صنعاء [٥] ، وعاد إلى تعز [٦] .

تدهور موقف الإمام عبد الله بن حمزة :

استطاع الإمام عبد الله بن حمزة تحقيق كثير من الانتصارات على الأيوبيين ، بالاستعانة بالقوى المنشقة منهم. ولكنه ما أن قضى المعز على هؤلاء المنشقين ، حتى تقلص نفوذ الإمام بفقده هؤلاء الذين استولوا له على كثير من البلاد والحصون . ولقد أخذ إحساس الإمام بالخطر يتزايد ، وخاصة بعد أن علم بأن أهل البلاد يدبرون أمر القبض عليه ، فترك حصن ثلا فى رجب

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٣ ب ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة.

(٤) العرشى : بلوغ المرام ص ١٣٦ .

(٥) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٢ ب .

(٦) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

سنة ٥٩٥ (١) / مايو ١١٩٩ م وتوجه إلى بلدة أثافت ـ من بلادالظاهر(٢) ـ
ولقد زادت المعارضة للامام عبد الله بن حمزة بقيام الأمير يحيي بن الإمام
أحمد بن سليمان ، وخروجه عليه وتجهزه فى جيش لمحاربته فى أثافت . ولم
يشأ الإمام أن يواجه القوة بمثلها وتريث ولجأ إلى سلاح الخديعة ، فأرسل
أخاه يحيي بن حمزة فى جماعة من الأشراف للقاء الأمير الثائر يحيي بن أحمد بن
سليمان . وعملوا على استمالته إليهم (٣) ، وأخذوا يطيبون خاطره ويبدون
استعدادهم لقبول مطالبه وتحقيقها (٤) ، وكانت تتمثل فى المطالبة بولاية
صعدة وأعمالها ، وقبل الإمام مطلبه . فلما تقابلا وجدد يحيي بن أحمد بن
سليمان البيعة للامام عبد الله بن حمزة كتب له الإمام منشورا بالولاية على
صعدة (٥) .

لم يكد يحيي بن أحمد بن سليمان يغادر بلدة أثافت متوجها إلى صعدة ،
حتى عاد إلى الخلاف مع الإمام مرة أخرى بتحريض من بشر بن حاتم . كما
قام يحيي بن سليمان بمراسلة الشهاب الجزرى ـ نائب المعز فى صنعاء ـ يطلب
منه السماح له فى الوصول إلى صنعاء، فلما جاءها رحب به الشهاب الجزرى(٦) ،
ونصبه إماما للزيدية (٧) ، حتى يزيد من المعارضة للامام عبد الله بن حمزة .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٣٣ب ـ ٣٤أ .
(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ ، زبارة : أئمة اليمن جا ص ١١٨ .
(٣) زبارة : نفس المصدر والجزء ص ١١٩ .
(٤) يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .
(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٤ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .
(٦) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ ، زبارة : أئمة اليمن جا ص ١١٩ .
(٧) ابن حاتم : السمط ص ٣٤ ب .

وأخذ الإمام الجديد – يحيي بن أحمد بن سليمان – يدعو الناس إلى طاعة المعز والولاء له، وكتب رسالة إلى الإمام عبد الله بن حمزة ضمنها السب القطيع له [١]، ودعاه فيها بمسيلمة الكذاب [٢]، ثم تجهز في جيش لمحاربة ابن حمزة. فلما وصل إلى الهجر – بالقرب من الجنات شمال صنعاء – أسرع الإمام عبدالله ابن حمزة لملاقاته، وتمكن ابن حمزة من إلحاق الهزيمة بابن سليمان وأسره [٣]، وقتل الكثير ممن كان معه، واستولى على الهجر. وعاد بغريمه وأسيره إلى أثافت، حيث قيده وسجنه، ثم أمر بقتله بحجة أنه حاول الفرار، فقتل خنقا بالعمائم [٤] في الرابع من شعبان سنة ٥٩٥ هـ [٥] / أول يونيه ١١٩٩ م.

وكنتيجة لقتل الإمام المعارض يحيي بن أحمد بن سليمان، لجأ ابن عمه ويدعى سليمان إلى طلب النجدة من المعز، فزوده بجيش استطاع أن يستولي به على صعدة من الإمام الذى اضطر إلى التوجه إلى منطقة الجوف [٦].

وهكذا بدأ موقف الإمام في التأزم من جديد، بل وامتد الشقاق والانقسام في صفوف الأشراف الزيدية أنفسهم، بموالاة قسم منهم – وهم بنو سليمان وأتباعهم – للمعز. ولجأ الإمام عبد الله بن حمزة إلى الاستفادة من تجاربه السابقة من أجل استعادة مكانته وقوته من جديد، وذلك باستمالة

---

(١) زبارة: نفس المرجع والصفحة.

(٢) ابن حاتم: نفس المصدر والصفحة ؛ يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

(٣) يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة ؛ زبارة: نفس المرجع والصفحة.

(٤) يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة ؛ زبارة: نفس المرجع والصفحة.

(٥) الشرفي: اللآلى المضية جـ٢ ص ٢٢٢أ ؛ يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

(٦) ابن حاتم: نفس المصدر ص ٣٥ أ.

قادة الأيوبيين ، فأرسل إلى أحدهم ، ويدعى هلدرى بن أحمد المروانى (١) ، وكان طغتكين قد نفى هلدرى هذا الى الشام ، ولكنه عاد أيام المعز ، ولم يلبث أن اختلف مع المعز وفر من بطشه - فطلب الإمام من هلدرى المجىء إليه ليقيمه بدلا من حكو ، فاستجاب هلدرى ووصل إلى الإمام فى أثافت فى شعبان سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م ، فأحسن الإمام استقباله ، ورفع منزلته وسلطنه - كما فعل مع حكو - ولقبه بالملك المسعود (٢) .

آثار موقف هلدرى غضب زملائه من القادة الأيوبيين ، فكتب إليه علم الدين وردسار - أحد كبار قادة المعز - يعنفه (٣) ، ويطلب منه العودة إلى طاعة المعز ، ولكنه لم يستجب له ، وإنما رد عليه برسالة من الإمام عبد الله ابن حمزة يدعوه فيها إلى الاقتداء بهلدرى والدخول هو أيضا فى طاعة الامام (٤) .

ومن الجدير بالذكر أن هلدرى لم يبق عند الإمام طويلا ، إذ لم يلبث أن أضمر الخلاف عليه والخروج عن طاعته ، وقد دفعه إلى ذلك رسالة جاءته من الأمير طاشتكين - من أمراء الخليفة العباسى - يحثه فيها على مخالفة الإمام ، باعتباره علويا ، وأن انتصاره يؤدى إلى تقلص النفوذ السنى (العباسى) فى اليمن ، فصار كلما استدعاه الإمام تثاقل عليه واختلق المعاذير (٥) .

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٣٤ أ .

(٣) السكبسى : اللطائف السنية ص ٣٢ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٣٥ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٨ - ٣٩ أ .

خروج ورد سارعن طاعة المعز والتجاؤه إلى الإمام :

اختلف ورد سار مع المعز وخشى أن يفتك به ، مما اضطره إلى الخروج عن طاعته والفرار منه (١) . وأرسل إلى الإمام عبد الله بن حمزة يعرض عليه خدماته . فلما جاءه كتاب الإمام بالموافقه، خرج من عـــدن سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م فى طريقه للانضمام إليه ، فلماصار فى بلاد بكيل - من مغارب ذمار - كان رسل الإمام فى استقباله مرحبين بمقدمه . فلماعلم الشهاب الجزرى - والى صنعاء - خرج فى بعض أتباعه إلى بلاد الهان - من بلاد آنس (٢) - ليقطع الطريق عليه ويمنع رسل الإمام من الاتصال به . ولكن رسلا آخرين بعثهم الإمام إلى جهة ريمة (٣) كانوا قداستطاعوا مقابلة وردسار، وتوجهوا به فى طريقهم إلى الإمام. ومما يذكر أنه تصادف أن قابلهم هلدرى - وكان قدخرج عن طاعة الإمام - فأنكر وردسار ما اعتزم القيام به من الانضمام الى الامام ، خشية أن يمنعه هلدرى عن مواصلة المسير . وفى أثناء ذلك وصلت الأخبار بقدوم المعز إسماعيل فى جيش كبير - وكان وردسار ، قد استطـــاع أن يستميل إليه معظم من كان مع هلدرى من العسكر - ولهذا أسرع وردسار ، حتى لا يلحق به المعز ، وتوجه بمن تبعه إلى صعدة فوصلها فى الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٩٨ هـ (٤) / مارس سنة ١٢٠٢م . أما هلدرى ، فقط أرسل إلى المعز معتذرا عما قام به ، وقبل المعز اعتذاره وعفى عنه وولاه بعض البلاد (٥).

---

(١) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٢ ب ، زبارة . أئمة اليمن حـ١ ص ١٢٣ .

(٢) زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٣) الكبسى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٣٩ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٠ ب .

الخلاف بين سنقر والمعز وانقسام القوى الأيوبية :

قام المعز بالتوجه إلى بلاد حجة ، فلما وصلها استولى على حصونها ، وأرسل بعض عسكره إلى بلاد قدم بمنطقة حجة ، فأساءوا إلى أحد أصحاب الحصون هناك وأهانوه وأتوا به إلى المعز فى صورة غير لائقة . فأثار هذا التصرف سخط بعض قبائل المنطقة ، فتكتلوا ضد عسكر المعز وأنزلوا بهم الهزيمة . ولذلك اضطر سيف الدين سنقر الأتابك إلى الانسحاب بمن كان معه إلى بلدة الدنائب حيث كان المعز مرابطا فيها . وكانت أخبار قيام القبائل بهذا العمل قد وصلت إلى المعز قبل مجىء سنقر إليه ، فلما تمكن سنقر من الإفلات والعودة إلى المعز وجده قد قتل ما كان لأهل تلك المنطقة من الرهائن عنده (١) ، عقابا لهم وانتقاما منهم على ما فعلوا ، فلما لامه سنقر على هذا التصرف غضب منه وأصر على قتله (٢) - وخاصة أنه سبق له أن أنكر على المعز ادعاءه الخلافة وانتسابه لبنى أمية (٣) - فلما أحس سنقر بالخطر (٤) لم يجد بدا من الفرار والخروج عن طاعته ، واتفق مع عدد من جنده سرا واستمالهم إليه (٥) . وأظهر العصيان ، وسار بمن تبعه إلى المهجم - فى وادى سردد شمال زبيد - واستولى على ما كان للمعز بتلك المدينة من أموال (٦) .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤١ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٣ أ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٠ .

(٥) الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦١ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤١ ب ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

ثم اتخذ من إحدى البلاد القريبة منها ـ تسمى المـــدارة ـ مقرا له .

لما علم المعز بما قام به سنقر أسرع للحاق به ، فلما لم يظفر به فى مدينة المهجم ، ترك بها حامية من مائة فارس ، وتوجه إلى مدينة الكدراء ـ إلى الشمال من زبيد ـ فأسرع سنقر إلى مدينة المهجم مرة أخرى ، وهزم حاميتها ، واستولى على ما وجده فيها من الخيل والعدد والأموال ، وعاد إلى بلدة المدارة . فأثار ذلك المعز وأسرع إلى المدارة للقضاء على سنقر ، ولكن سنقر فاجأ طلائعه عند مشارف تلك البلدة وخرج أصحابه[١] فى سرعة غير متوقعة ، فلم يكد يطعن أول فارس من جند المعز ويسقط حتى انهزم الباقون وتراجعوا إلى الكدراء ، معرضين مؤخرتهم لنهب أهالى المنطقه [٢] . ولم يكتف سنقر بذلك بل سار إلى مدينة الكدراء فنهبها وأقام بها خمسة أيام[٣] ، ثم عاد إلى المدارة . أما المعز فإنه كان قد ترك مدينة الكدراء وتحصن فى مدينة زبيد .

وهكذا اشتد الصراع بين المعز وسنقر حتى بلغ الذروة ، وأصبح من المستحيل التوفيق بينهما . ولهذا أرسل سنقر إلى الإمام (٤) معربا عن رغبته فى الانضمام إليه (٥) ، فرد عليه الإمام مرحبا . وبينما كان سنقر فى طريقه

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤١ ب .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٢ أ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٣ أ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٢٤ .

إليه ، جاءته الأخبار بمقتل المعز (١) فعدل عما عزم عليه وتوقف عن مواصلة السير للالتحاق بخدمة الامام ، وعاد وقد استقر رأيه على الاستقلال بملك اليمن(٢).

موقف المعز من بنى حاتم :

كانت العلاقات قد استقرت بين السلطان طغتكين وبنى حاتم على أساس الاتفاق الذى أبرم بينهما ، والذى يقضى بألا يكون لبنى حاتم حكم على بلاد، فى مقابل جامكية شهرية محددة (٣) ، وقد ظل هذا معمولا به . فلما تولى المعز السلطنة بعد وفاة أبيه ، أخل بالاتفاق، وقطع الجامكية عن بنى حاتم ، فكان ذلك دافعا لهم على معاداة الأيوبيين والعمل ضدهم ، ولهذا شجعوا عبدالله بن حمزة على القيام بأمر الإمامة فى اليمن(٤) ، وسمحوا له باستخدام حصونهم - وهي حصون بكر وكوكبان وثلا والظفر - التى استطاعوا استردادها بالشراء من ولاة الأيوبيين فيها (٥) .

وإلى جانب ذلك ، فقد وقع خلاف بين الشهاب الجزرى - نائب صنعاء - وبين بشر بن حاتم ، ولجأ الشهاب إلى أسلوب المكر والخديعة ، وبدا لبشر ابن حاتم وكأن ما بينهما من خصومة قد زالت(٦) . وأخذ فى ملاطفته وإظهار

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) انظر ، ما سبق ص ١٤٤ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ١١ .

(٥) انظر ماسبق ص ١٦٠ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب ، يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٨ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١١٤ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٣٥ أ .

الود له ، في حين أنه كان يضمر له غـــير ذلك . وكتب إلى المعز وأغراه باستدعاء بشر بن حاتم والقبض عليه (١) فلما سار بشر في طريقه إلى المعز لحق به الشهاب الجزري ، وحمل المعز على القبض عليـه (٢) وعلى كل من كان في صحبته . فلما تم ذلك أرسل المعز بشرا ومن معه معتقلين إلى تعز ، ومنها إلى حصن التعكر (٣) . ولم يلبث المعز أن توجه في ألف فارس وكثير من العسكر إلى صنعاء (٤) . ثم غادرها بعد أيام إلى أثافت فوصلها في الرابع من جمادى الآخرة سنة ٥٩٦ هـ (٥) / مارس ١٢٠٠ م . ثم توجه إلى حصن كوكبان ـ وبه عمرو ابن علي بن حاتم ـ ووقع القتال بينهما في موضع يقال له اللطية ، ولحقت الهزيمة بعمرو ومن انضم إليه من أتباع الإمام عبد الله بن حمزة ، فتقهقروا إلى حصن بكر (٦) واستمر المعز محاصرا لكوكبان لمدة أربعة أشهر ، حتى قلت المؤن من الحصن وأشرف الموجودون فيه على الهلاك ، فلما طلبوا الأمان اشترط عليهم تسليم حصون كوكبان وبكر والظفر بالإضافة إلى خمسين ألف دينار فدية لبشر بن حاتم (٧) . ولقد كان المعز واثقا من أن بني حاتم لابد وأن يقبلوا شروطه لوجود حريم السلطان علي بن حاتم في كوكبان ، وفعلا استجاب علي بن حاتم لتلك الشروط وقام المعز بالافراج عن بشر بن حاتم ومن معه .

---

(١) زبارة : نفس المرجع والجزء ص ١٢٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٢٥ أ .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٠ ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٥ أ ، زبارة : نفس المرجع والجزء ص ١٢١ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٣٥ ب .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

علاقة بنى حاتم بالإمام عبد الله بن حمزة :

كان الإمام يعمل على اكتساب تأييد بنى حاتم له ، ذلك أنهم ساندوه عندما قام بالدعوة للامامة ، وسمحوا له باستخدام حصونهم ، وحاربوا معه ضد الأيوبيين ، وجرت بينهما عهود وذمم على أن الإمام إذا تمكن من البلاد وملك صنعاء ، ترك حصون السلطان على بن حاتم جميعها له » (١) ، وأن يشتركا سويا فى حكم صنعاء . فلما استولى الامام على صنعاء ، أقنعه أصحابه بعدم الوفاء لابن حاتم ، وصرفوه عما عقد له به . فلما رأى على بن حاتم ذلك ، قطع صلاته الودية بالإمام ، ولزم البقاء فى حصنه ذمرمر إلى أن مات سنة ٥٩٧هـ (٢)/ ١٢٠١م .

مقتل المعز :

كان من نتائج سياسة المعز السيئة ، وبطشه بأتباعه أن انشق عليه الكثيرون من كبار قادته ، بمن كان تحت إمرتهم من الجند ، وشكلوا جبهة معادية لها خطرها . وتمكن الإمام من استمالتهم إليه مما أدى إلى تقوية مركزه وتدعيمه ، واستطاع أن يحرز بواسطتهم انتصارات متكررة على المعز . ولقد اتخذت حركات تمرد كبار رجال الأجناد شكل الموجات ، ومن اليسير أن نتعرف على موجتين خطيرتين منها ، تتمثل أولاهما فى خروج كل من سيف الدين حكو ابن محمد وهشام الكردى وشمس الخواص ، ولقد تمكن المعز من التخلص من هذه الموجة التى انتهت بموقعة نقيل صيد واستعادة ذمار وصنعاء وغيرها ، وما تبع ذلك من ضعف موقف الإمام . أما الموجة الثانية ، فتتمثل فى خروج

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٥ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٠ .

كل من هلدرى وورد سار وسنقر على طاعة المعز ، والتجاء هلدرى ووردسار إلى الإمام ، وما كان من الحرب التي دارت رحاها بين المعز وسنقر . كما كان لعدم احترام المعز لعهوده مع بنى حاتم ، أن تألبوا ضده وانضموا إلى الإمام وساندوه وحاربوا معه ضد الأيوبيين .

ومهما يكن من شيء ، فقد تفاقم أمر المعز بدعواه الخلافة(١)، والانتسابه لبنى أمية ، وتدهورت الأمور في اليمن حتى « لم يكن بين عسكر المعز إلا من هو مريض القلب عليه اسوء سيرته فيهم ، وتضييقه عليهم ، وعدم النظر في أحوالهم وركونه إلى من لا نفع فيه ولا صلاح . وجعل أكثر بطانته وأصحاب مشورته الخدام والحريم » (٢) ، فاتفق جنده على التخلص منه ، وتربصوا به ، فواتتهم الفرصة بخروجه من زبيد دون حراسة إلا من مملوك له ، وكان « راكبا على بغلة ، وعليه حلة طويلة الأكمام ، فوثب عليه الأكراد عند مسجد شاشة (٣) . . . ففاتلهم بالمقرعة ، ودعا بحصانه ، فحال الأكراد بينه وبين جواده ، واستل سيفه فحالت أكمامه الطويلة بينه وبين الضرب بالسيف ، فقتل وقتل معه مملوكه ، ومثلوا به » (٤) . وكان مقتله في الثامن عشر من رجب سنة ٥٩٨ هـ (٥) / ١٠ ابريل ١٢٠٢ م .

---

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٢ أ ، ب .

(٣) يقع مسجد شاشة على بعد ميلين إلى الشمال من زبيد (الخزرجي : طراز الزمن ج ٢ ص ٣٧٠) .

(٤) الكبسي : اللطائف السنية ص ٣٣ أ .

(٥) الخزرجي : طراز الزمن ج ٢ ص ٣٧٠ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٩ ، الشرفة اللآلي الفضية ج ٢ ص ١٣٣ ب .

الفصل السادس

سلطنة الناصر أيوب
ومحاولات استعادة السيطرة الأيوبية فى اليمن
(٥٩٩ — ٦١١ هـ / ١٢٠٢ — ١٢١٤ م)

الموقف فى اليمن بعد مقتل المعز :

عمت الفوضى البلاد نتيجة لسياسة البطش والعسف التى انتهجها المعز إسماعيل ، والتى انتهت بمقتله . واستولى قتلته على مدينة زبيد ونهبوها [1] ، وأقاموا أحد زعمائهم — ويدعى هندوة — سلطانا عليهم فى زبيد [2] . وفى تلك الظروف كان تنصيب الناصر أيوب بن طغتكين سلطانا على اليمن خلفا لأخيه المعز وهو لا يزال طفلا فى العاشرة من عمره [3] .

ومن نتائج سياسة الشدة التى انتهجها المعز مع جنده أن فر عدد من كبار قادته بمن كان معهم من الجند وانضموا إلى الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة ، وأصبحوا عماد قوته . وقد تمكن الإمام باعتماده عليهم من الانتصار على الأيوبيين ، وأحرز بواسطتهم المكاسب العديدة ، فقد كانوا على معرفة تامة بمواطن القوة والضعف فى الجيش الأيوبى ، كما استطاع هؤلاء المنشقين التأثير على زملائهم فى جيش المعز ، مما أضعف من ولائهم لسلطانهم . كانوا

---

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ ب ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٣ ب ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٢٤ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ أ .

(٣) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٣ ب .

خير عون للامام على الوقوف والصمود أمام القوى الأيوبية . بل وأصبحوا يشكلون خطراً محققا على الوجود الأيوبى نفسه .

وتابعت القوى الداخلية المعادية للأيوبيين ، والمتمثلة فى الإمام وبنى حاتم ، تطورات الأحداث ، حتى تتمكن من انتهاز الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافها . وكنتيجة للانهيار الكبير الذى تردى فيه الأيوبيون ، وخاصة بعد مقتل المعز ، أخذ بنو حاتم يدفعون الإمام (١) ويرسلون الرسل إليه ويستحثونه للاسراع فى الاستيلاء على صنعاء (٢) .

وكانت القوى الأيوبية فى صنعاء تجتاز مرحلة خطيرة من التفكك والانقسام ، وكان الصراع على أشده بين واليها الأيوبى الشهاب الجزرى وبين جنده الذين هددوه من أجل الحصول على أموال ادعوها عنده للمعز استأثر بها الجزرى لنفسه دونهم ، وأرسلوا إلى ورد سار ـ أحد كبار قادة الأيوبيين ، وكان منشقا على المعز قبيل وفاته ومنضما إلى الإمام (٣) ـ وطالبوه بالحضور لتسلم المدينة (٤) .

وهكذا تهيأت الظروف ليحقق الإمام الاستيلاء على صنعاء ، فبادر بإرسال علم الدين ورد سار إليها . فلما دخلها وجد الشهاب الجزرى خائفا من جنده (٥) ، وقد نقل أهله وأثقاله إلى حصن عضدان (٦) وأعرب الشهاب

---

(١) الكبسى : اللطائف ص ٣٣ ب .

(٢) الكبسى . نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٤ ب .

(٤) الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) الكبسى : نفس المرجع و صفحة .

(٦) ابن حاتم . نفس المصدر والصفحة .

الورد سار عن رغبته في الدخول في طاعة الإمام (١) ، والانضمام له والعمل تحت سيطرته ، وطلب منه التوسط في ذلك لدى الإمام . فلما أرسل وردسار بهذه الرغبة إلى الإمام (٢) استجاب على الفور ، وأرسل أحد اتباعه بالأمان إلى الشهاب الجزرى ، ولأخذ البيعة منه (٣) . ثم توجه الشهاب بعد ذلك في أربعين من أخلص فرسانه (٤) لمقابلة الإمام وتجديد البيعة له ، فاستقبله الإمام في الثامن عشر من شوال سنة ٥٩٨ هـ (٥) / يوليه ١٢٠٢ م ورحب به ، فلما انتهى من ذلك عاد الشهاب إلى صنعاء ، وتوجه معه إليها] الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة - شقيق الإمام - إثباتا لتبعية المدينة للامام (٦) . وأصبح الآذان فيها بحى على خير العمل (٧) ، وهو شعار الشيعة في الآذان ؛ على كره من كثير من الأيوبيين (٨) ، كما أصبحت الخطبة للامام بدلا من الخليفة العباسى (٩) وبدخول صنعاء في طاعة الإمام ، تطلع إلى تحقيق

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٥ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٣ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٢ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٥ ب .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٨) الكبسى : نفس المرجع ص ٣٤ أ .

(٩) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة : (لقد كانت الخطبة أيام المعز له نفسه دون بنى العباس) الخزرجى : العسجد ص ٢٧٠ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب (فلما قتل المعز ، أعيدت الخطبة لبنى العباس - في زبيد - يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ٥٩٨ هـ ، وفى صنعاء في الجمعة الأولى من شهر شعبان سنة ٥٩٨ هـ) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٦ .

الاستيلاء على جميع بلاد اليمن (١) .

سياسة سنقر بعد إقامته أتابكا للناصر :

كان سيف الدين سنقر ، آخر المنشقين على المعز والخارجين عن طاعته. وقد كان فى طريقه — كغيره ممن سبقه من قادة المعز — للانضمام إلى الإمام. ولكنه لم يكد يعلم بمقتل المعز حتى عدل عن قراره (٢) — لزوال الأسباب الداعية إلى فراره — وراسل الجند الأيوبى فى زبيد (٣) ، وصالحهم واستمالهم إلى جانبه (٤) ، واستقر رأيه على العودة إليهم . فلما ترك بلدة المدارة وعاد إلى زبيد (٥) رحبوا به ونصبوه أتابكا للناصر أيوب (٦) .

كان سنقر حسن السياسة بعيد النظر ، ذلك أنه على الرغم من اقتناعه باحتمال ثورة قتلة المعز عليه ، وأنه لا بد أن يتخلص من خطرهم ، حتى يظهر أمام البيت الأيوبى بمظهر الحريص على حقوقهم ، الآخذ بثأرهم ، ولكنه لم يتمكن من إظهار موقفه العدائى من هؤلاء القتلة فى ذلك الوقت (٧) ،لأنه لن يستطيع حال توليه الحكم التصدى لهم ، حتى لا يتعرض لمعارضتهم ، خاصة وأنهم قد ارتضوه أتابكا للملك الناصر ، وحظى بتأييدهم . ولهذا أظهر لهم حسن

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٥ أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الكبسى : اللطائف ص ٣٣ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٣٧ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٧ ص ٤٥٣ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ ب ، العقيلى : المخلاف السليمانى جـ ١ ص ١٧٩ .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

نواياه فاطمأنوا على أحوالهم، ولكن إلى حين ، وحتى تستقيم الأمور لسنقر في البلاد ، ومن ثم يتدبر الوسائل للتخلص منهم. ولهذا لم يمكث سنقر طويلا في زبيد ، وأسرع متوجها إلى الملك الناصر في تعز (١) . ولقد استقر الرأي على قيام سنقر بأمر تصريف أمور السلطنة نيابة عن الناصر (٢) ، فتولى تدبير أمور دولته (٣) ، وتحمل بذلك عبء مسئولية خطيرة وشاقة .

لقد رأى سنقر أن يقر الأمور أولا في المناطق الخاضعة للسيطرة الأيوبية، ذلك أن بعض الولاة قد طمعوا في الاستحواذ على ما تحت أيديهم من البلاد ، وعملوا على الاستقلال بحكم مناطقهم ، لهذا بدأ سنقر بالتخلص منهم بعزلهم وتولية غيرهم ممن يثق فيهم في أماكنهم (٤) . وبهذا تفرغ سنقر لاستعادة النفوذ الأيوبي والعمل على تدعيمه باستكمال السيطرة التامة على البلاد .

عودة وردسار إلى المعسكر الأيوبي :

شعر وردسار بأنه تسرع بتسليمه صنعاء للامام ، خاصة وأن الظروف التي أجبرته إلى اللجوء إليه قد تغيرت بمقتل المعز . وتصحيحا لذلك عزم على التوجه إلى سنقر ، فغادر صنعاء متظاهرا بطاعة الإمام ، ولكنه فوجىء

---

(١) الخزرجي : العسجد ص ٢٠٦ ، ابن الديبع ، قرة العيون ص ١١٢ .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٤٨ .

(٣) العيني : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٣٤١ ، السكبسي : اللطائف ص ٣٣ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٤ أ ، الخزرجي : العسجد ص ٢٠٧ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٣ ص ٨١٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ ، الشرفي : اللآلي المضية جـ ٢ ص ١٣٣ ب .

بالقبائل الموالية للامام تعترض طريقه وتعوقه عن مواصلة المسير ، فأرسل إلى الأتابك سنقر يستنجده ، ولكنه لم يتمكن من نجدته لانشغاله بإقرار الأوضاع فى اليمن الأسفل وتهامة ، ولهذا لجأ وردسار إلى طريقة تخلصه من مقاومة القبائل له ، بأن أعلن تمسكه بالتبعية للامام ، ورفع علما للامام (١) كان معه منذ أن كان مواليا له ، وادعى وردسار بأنه لم يتحرك من صنعاء إلا تنفيذا لأمره (٢) ، وأظهر مرسوما (٣) من الامام بالفتح له (٤) ، فتخلت القبائل عن طريقه . وقد ساعده فى ذلك أن سنقر قد رفض مقابلة رسول للامام — كان قد جاء يطلب منه تنفيذ ما كان قد وعد به الإمام من الدخول فى طاعته ، وذلك عندما كان فارا من المعز — وكان سنقر قد أمر بحجز الرسول مشترطا عدم الدخول فى حديث معه إلا بعد وصول علم الدين وردسار (٥) فلما وصل بسلام إلى سنقر فى مدينة الجند (٦) سمح سنقر لمندوب الإمام بالعودة دون أن يدخل معه فى حديث فيما جاء من أجله .

استعادة صنعاء من الإمام :

لم يبق وردسار طويلا ، فقد ولاه سنقر على صنعاء (٧) — وهى فى يد

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٨ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٤ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٣ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٨ أ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٨ ب .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٩ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢٠٧ ، بامخرمة : قلادة النحر جـ٣ ص ٨١٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ .

الإمام (١) ـ وجهزه إليها بالمال والعتاد والجند لاستردادها ـ وكان الشهاب الجزرى غائبا عنها ـ فلما اقترب وردسار من صنعاء أحس نائب الإمام فيها بالخطر ، فنقل أمواله وأولاده إلى حصن عضدان (٢) ، وفر هاربا ـ فى أربعة عشر فارسا (٣) ـ إلى الإمام فى ذمرمر(٤) ، فدخلها وردسار واستولى عليها (٥) فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٥٩٨ هـ (٦) / سبتمبر ١٢٠٢ م .

وهكذا بدأ دور جديد من العداء في العلافات بين وردسار والإمام ، بعد عودة وردسار إلى المعسكر الأيوبى ، وكان الامام يأمل في عودة وردسار إلي طاعته ، ولذلك عمل استرضائه ، فبعث إليه يعاتبه(٧) على نقضه العهود(٨) التي كانت بينهما ، ولكن وردسار عمد إلى مراوغته . وأرسل إليه متظاهرا بأنه غير مخالف له أو خارج عليه(٩)، ثم لم تلبث الأحداث أن تطورت ودارت بينهما معارك كثيرة ، فكان الإمام ينتصر فيها حينا أو ينتصر عليه وردسار أحيانا(١٠) .

---

(١) الكبسى : اللطائف ص ٣٤ ب .

(٢)ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٠ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٣ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) محمد حسن: قلب اليمن ص ٣٨ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العسجد ص ٢٠٧ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص١٣٣ .

(٧) الكبسى : اللطائف ص ٣٤ ب .

(٨) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٤ .

(٩) ابن حاتم : السمط ص ٥٠ أ .

(١٠) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

مجهودات وردسار لاستعادة النفوذ الأيوبي في اليمن الأعلى :

عمل وردسار على استعادة النفوذ الأيوبي المتقلص في اليمن ، فما أن استرد صنعاء حتى صالح بني حاتم ، ضمانا لانضمامهم إليه ، وليأمن بذلك أحد الجوانب التي كانت معادية للأيوبيين ، فاشتد بهم أزره وقويت بهم شوكته ، مما دفع عددا من زعماء القبائل إلى الاقتداء بهم والدخول في طاعته ، وطالبوه بالحضور إلى بلادهم ليتسلمها[١] كدليل على تبعيتهم له.

وواصل وردسار حملاته على القرى والمناطق الموالية للامام ، فأرسل أحد مقدميه في عشرين فارسا إلى بعض القرى الواقعة في شرقي صنعاء ، ولكن الإمام كان قد أسرع إلى إمداد إحداها بعشرين من أتباعه[٢] فتمكنوا من إحراز النصر على جند وردسار ، وأوقعوا بهم الهزيمة ، ولم ينج منهم إلا اثنان . ولهذا توجه وردسار بنفسه ـ وقد أمدته قبائل بني شهاب وسنحان وغيرهم بالرجال ـ فخربها وردسار ونهبها ، وقتل من كان متخلفا بها ، وعاد إلى صنعاء [٣] .

تجهز وردسار قاصدا نواحي كوكبان ، وخرج من صنعاء بعد أن أناب عنه بها أخاه شمس الدين ، غير أن خلافا وقع في صنعاء ، وانتهز أهلها فرصة خروج وردسار وأعلنوا عصيانهم [٤] في العشرين من جمادى الآخرة سنة

---

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٠ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٥١ ب .

(٤) بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ٨١٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ ، الكبسي : اللطائف ص ٣٥ أ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٢٦ .

٥٩٩ هـ [١] / مارس ١٢٠٣ م ، وألقوا القبض على شمس الدين [٢] وأقاموا الآذان بحى على خير العمل ، وقد شجعهم على ذلك استعداد قبائل سنحان وبنى شهاب على تأييدهم إذا ماخالفوا وأعلنوا عصيانهم ، ولهذا أسرع وردسار بالعودة إلى صنعاء ، فلما جاءها وجد أهلها وقد تحصنوا بها وحالوا بينه وبين الدخول إليها [٣]، فعسكر إلى الشرق منها [٤] ، وراسل المتحصنين فيها [٥]، وعرض عليهم الصلح فلم يقبلوه [٦] . فلما فوجئوا بخذلان قبائل سنحان وبنى شهاب لهم ، وتعاونهم ومساعدتهم لوردسار فى ضرب الحصار عليهم أرسلوا إلى الامام عبد الله بن حمزة يستنجدونه ، فبعث الإمام إليهم قوة بقيادة أخيه عماد الدين يحيى بن حمزة [٧] .

كانت خطة عماد الدين يحيى بن حمزة تقوم على أساس مهاجمة القوات الأيوبية المحاصرة لصنعاء ، بغية فتح ثغرة تساعده على كسر الحصار والوصول إلى المدينة ، ولكن محاولاته باءت بالفشل لشدة الحصار المضروب على المدينة [٨] . ومن ناحية أخرى فقد أسرع وردسار وبعث إلى سنقر يخبره

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٧ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥١ ب .

(٣) الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٢ أ ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٨) ابن حاتم : السمط ص ٥٢ أ .

بمجريات الأحداث (١) ، وطلب منه أن يمده بالجند (٢). وكان سنقر قد تجهز في ستمائة فارس خلاف الرجالة للقضاء على المتمردين الأكراد الذين خرجوا عن طاعته وتحصنوا في مدينة زبيد ، وعلى الرغم من تلك الأحوال ، فما أن وصل كتاب وردسار حتى تحول سنقر إلى نجدته ، فجاء إلى صنعاء – على غير توقع من أهلها (٣) – في السادس من رجب سنة ٥٩٩ هـ (٤)/مارس ١٢٠٣م ، فلما رآه أهل صنعاء انحلت قواهم وأيقنوا بالهلاك (٥) . وما أن اقترب سنقر في بعض فرسانه من سور المدينة حتى استغاث به أهلها ، وطلبوا منه الأمان فأمنهم وأعطاهم سيفه (٦) ذمة لهم ، وعاد إلى معسكره . فلما اطمأن أهل صنعاء أرسلوا بعض مشايخهم إليه للترحيب به واسترضائه ، فعاتبهم على ماحدث منهم واستقر الأمر على أن يتحملوا غرامة قدرها عشرة آلاف دينار وعشرة من الخيل (٧) عقوبة لهم على ما صنعوا . وبهذا استرد سنقر صنعاء في اليوم التالي لوصوله إليها ، ودخلها جند وردسار منتقمين ، فأعملوا النهب والتخريب (٨) . فأغضب هذا التصرف سنقر وأمرهم بالكف عن ذلك (٩) ،

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الكبسي : اللطائف ص ٣٥ أ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الخزرجي : العسجد ص ٢٠٧ .

(٥) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٤ .

(٦) الكبسي : اللطائف ص ٣٥ أ .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٢ ب ، الكبسي : نفس المرجع والصفحة .

(٨) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٤ .

(٩) ابن حاتم : السمط ٥٢ ب .

وأمن الناس (١) . وقيل أنه قتل أحد جنده (٢) كإجراء حاسم لإيقاف التخريب .

لم يطل بقاء سنقر في صنعاء طويلا إذ غادرها متوجها إلى مغارب كوكبان (٣) ، ولم يحدث بينه وبين أهالى تلك المنطقة صدام (٤) ، لإعلانهم الدخول في طاعته (٥) . ومما يجدر بالذكر أنه جرت مراسلات بينه وبين عماد الدين يحيى بن حمزة من أجل التوصل إلى عقد صلح مع الإمام (٦) . وقد تم الاتفاق على هدنة بين الطرفين لمدة عام واحد ، وكان عماد الدين يحيى يرغب في أن تكون مدتها ثلاثة أعوام (٧) .

جاء سنقر لنجدة وردسار ولإقرار الأوضاع في اليمن الأعلى ، في وقت كانت الاضطرابات بين الأكراد في تهامة قد بلغت حدا خطيرا ، وكان سنقر قد أعد العدة للقضاء على هذا التمرد ، ولكن ما أن جاءته استغاثة وردسار حتى سارع بتلبيتها . فلما انتهى من مهمته ، بادر بالعودة إلى زبيد ، فلما اقترب منها ، وجد أن الأكراد قد استبدوا بالأمر فيها (٨) ونهبوا وردا من

---

(١) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٥ أ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٣ أ .

(٧) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٨) بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ٨١٧ .

التهائم(١) ، كما خرج والى عدن عن طاعته (٢) .

سنقر والقضاء على قتلة المعز :

ولخطورة الأحوال في تهامة وعدن أرسل سنقر إلى وردسار يستدعيه(٣) ليستعين به على قتال الخارجين عليه (٤) ، حتى يتمكن من إعادة الأمور إلى طبيعتها . واستجاب وردسار له (٥) ، وتجهز في جم غفير (٦) ، فلما وصل إلى سنقر تحركا معا إلى زبيد لمحاربة الأكراد المعتصمين فيها (٧) . فلما علم المتمردون خرجوا من زبيد لقتال سنقر ومن معه ، فلما دار القتال وحمى وطيسه، قصد بعض فرسان المتمردين إلى قلب جيش سنقر (٨) ، مما أدى إلى خلخلة في صفوف جيش سنقر، وتضعضع عسكره (٩). وكادت الهزيمة تلحق بجيشه لولا ثبات وردسار عند الأعلام (١٠) ،حتى أعاد الجيش إلى مصافه (١١)، وتمكن من الانتصار على المتمردين وألحق بهم الهزيمة وقتل منهم

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ أ .

(٣) الكبسي : اللطائف ص ٣٥ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٣ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٤ .

(٥) الخزرجي : العسجد ص ٢٠٧ ، الشرفي : اللآلي المضية ج ٢ ص ١٣٤ أ .

(٦) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، الكبسي : نفس المرجع والصفحة .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٨) الخزرجي : نفس المصدر ص ٢٠٨ .

(٩) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(١٠) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة .

(١١) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

الكثير (١) وحال بين الباقين وبين العودة إلى زبيد (٢) ، ثم عاد إلى زبيد بعد أن استردها فى العاشر من ذى القعدة سنة ٥٩٩ هـ (٣) / يوليه ١٢٠٣ م وقبض على متزعمى حركة العصيان — وهم أنفسهم قتلة المعز — وأعدمهم (٤) .

إقرار الأمـــور فى عـدن :

كان سنقر قد جرد عسكرا إلى عدن - عندما كان يقوم بمحاربة أكراد زبيد الخارجين عن طاعته - وذلك حتى يشغل واليها، خوفا من أن يتعاون مع المتمردين فى زبيد . فلما انتهى سنقر من القضاء على المتمردين توجه إلى عدن ليشد أزر الجند القائمين على حصارها ، وتم تضييق الحصار على المدينة ومنعت الإمدادات لها مما اضطر واليها إلى الرضوخ وطلب الأمان ، فأمنه سنقر ودخل إلى عدن واستولى عليها (٥) . وولاها أحد أتباعه ، وخلع نائبها وولاه أحد حصون لحج ، ثم عاد إلى زبيد وأخذ يولى ثقاته على البلاد والحصون ، فأقطع كرديا يدعى بكتمر مدينة المهجم ، وولى فخر الدين أبى بكر بن على بن رسول على حصن حب (٦).

عودة الصراع بين الأيوبيين والإمام ، وانتصار وردسار عليه فى مطرة :

وبإقرار الأمور فى زبيد وعدن انتهت مهمة وردسار ، ولهذا سمح له سنقر

---

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ٨١٧ ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٤ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٤ ب .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٥ أ .

بالعودة إلى صنعاء ، فلما وصلهـا فى المحـرم سنة ٦٠٠ هـ / سبتمبر ١٢٠٣ م — وكانت قـد وقعت فى يده رسالة مرسلة من الإمام إلى أحد أمراء الأجنـاد الأيوبيين يحرضه فيها على الخروج عن طاعة الأيوبيين ويغريه بالانضمام إليه — فاحتج وردسار على الإمام وعتب عليه نقضه للصلـح (١) ولـكن الإمام نفى التهمة التي نسبها وردسار إليه ، وقرر بأنه لايزال متمسكا بالصلح مبقيا عليه . إلا أن وردسار لم يقتنع بذلك ، وأخـذ فى تجهيز عسكره (٢) وتوجـه إلى شبام — الواقعة إلى الشمال الغربى من صنعاء ، وهى إحدى البلاد الموالية للامام — فخربها وقتل عددا من أتباع الإمام فيها (٣) وعاد إلى صنعاء .

واصل وردسار حملاته على البلاد الموالية للامام (٤) — وكانت القـوات التابعة للامام قد تمركزت فى بلدة مطرة تحت قيادة الأمير صارم الدين ابراهيم شقيق الإمام — فلما وصل ورد سار إليهـــا فى الثامن من ربيع الأول سنة ٦٠٠ هـ (٥) / نوفمبر ١٢٠٣ م ، اشتبك فى حرب ضارية مع قوات الإمام المرابطة عندها ، وانتهت الموقعة بانتصار ورد سار وهزيمة جند الإمام ومقتل قائدهم الأمير صارم الدين ابراهيم ، وأرسلت رأسه إلى صنعاء (٦) ، ومنها إلى سيف الدين سنقـــر فى زبيد (٧) ، وكانت تلك الموقعـة من المواقع الحاسمة ، وكانت

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٢٩ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٥٥ ب .

(٤) زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٦) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٤ ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

انتصار ورد سار فيها كبيرا،حيث قتـل من أتباع الإمام عددا كبيرا ، ولم ينج من القتل إلا من استطاع الفرار إلى الجبال (١) .

لم يكد الإمام يعلم بهزيمـة أخيه ومقتله فى مطرة حتى حزن عليـه حزنا شديدا ، وكان وقع الصدمة عليه وعلى أتباعه عظيما ، واضطربت المناطق التى تحت سيطرته. وذكرصاحب السمط أن الإمام أخذ يحض القبائل على التضامن معه للأخذ بثأر أخيه والانتقام من الأيوبيين ، ثم ألقى قصيدة من نظمه فى رثائه بمحضر من القبائل بمسجد حوث بعد صلاة الجمعة لإحدى وعشرين ليلة خلت من شعبان سنة ٦٠٠هـ / ابريل ١٢٠٤م « فلما فرغ من خطبته برز العرب وخلا بعضهم ببعض ، ثم عادوا إلى الإمام مجيبين لداعيه، وباذلين القيام معه» واتفقوا على أنهم سوف يقدمون ألفى رجل مزودين بالأموال والمؤن (٢) ، فشكرهم الإمام على ما تعهدوا له به .

استيلاء الإمام على حصنى بكر وكوكبان :

لم يمض وقت طويل حتى تمكن الأمـير عماد الدين يحيى بن حمزة ـ أخو الإمام ـ من التوصل إلى إقنـاع نائب حصن بكر ـ الأيوبى ـ بالتخلى عن الحصن واستولى عليه بطريق الشراء منه (٣). وهكذا كانت تلك وسيلة سهلة للاستيلاء عن المدن والحصون الواقعة تحت السيطرة الأيوبية ، كما انتهز الإمام فرصة عجز النائب الأيوبى لحصن كوكبان عن تحمل نفقات ذلك الحصن(٤)،

---

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٦ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٧ أ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٥ .

واستطاع إقناعه بالتخلي عنه واشتراه منه (١) واتخذه قاعدة للسيطرة على المناطق المجاورة .

لم يكن استيلاء الإمام على حصني بكر وكوكبان ليفت في عضد وردسار، ولكنه كان دافعا له على مهاجمة البلاد الموالية للامام وتخريبها وقتل كل من يتصدى له ، مثلما حدث ببلدة شبام (٢) . كما تمكن ورد سار من الاستيلاء على عدد من المواقع المجاورة لبلدة ريدة وخرب عددا آخر . وقد أراد الإمام التصدى له وأسرع لملاقاته ، ولكن ورد سار بادر بالعودة إلى صنعاء، وبعودته قل الضغط على الإمام والبلاد الموالية له . ومما يذكر أن الإمام أخذ في عمارة حصن قديم ، كان للامام أبي الفتح الديلمي (٣) ، وكان اختياره ذلك الموقع لمناعته وتوسطه للبلاد التي تحت سيطرته (٤)، ولكي يتخذه ملجأ إذا ما اضطرته الظروف إلى ذلك. وكان قد ابتدأ في عمارة هذا الحصن وتحصينه في العشرين من شوال سنة ٦٠٠هـ (٥) / يونيه ١٢٠٤م وأطلق الامام عليه اسم ظفار (٦) . فلما علم ورد سار بقيام الإمام بتحصين حصن ظفار ، خرج مغيرا من صنعاء ليحول دون استكمال عمارة هذا الحصن ، ولكن الإمام كان قد أرسل بعض

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) انظر ماسبق ص ١٩٦ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٢٩ . (تولى الإمام أبو الفتح الإمامة في الفترة من سنة ٤٣٧ هـ إلى سنة ٤٤٤ هـ) الجرافي : المقتطف ص ١١١ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥٨ أ .

(٦) المحلي الشهيد : الحدائق الوردية ج ٢ ص ٣٨٣ ، ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الصعدى : مآثر الأبرار ص ٩١ أ ، الجنداري : الجامع الوجيز ص ٧١ .

أتباعه فرابطوا على أحد الجبال المتحكمة فى الطريق إلى الحصن، مما اضطر ورد سار إلى العودة إلى صنعاء بعد أن خرب ونهب - فى طريق عودته - عددا من القرى ، واستمر الإمام فى عمارة حصنه (١) .

الصلح بين الإمام وورد سار :

لقد تم التوصل إلى عقد صلح بين الإمام وورد سار سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، ويقضى هذا الصلح بأن يسلم الإمام حصن كوكبان إلى وردسار (٢) وبشرط ألا يتعرض الأيوبيون للبلاد التى يسيطر عليها الامام ، على أن تكون هناك هدنة لمدة سنتين (٣) وعشره أيام (٤) تبدأ من منتصف المحرم سنة ٦٠١ هـ(٥)/ سبتمبر ١٢٠٤ م .

ويذكر صاحب السمط أن الدافع إلى تخلى الإمام عن حصن كوكبان يرجع إلى أن هذا الحصن « كبير ويحتاج الرتبة القوية من الخيل والرجل ، والإنفاق الواسع . ولم تكن قدرة الإمام تتسع لذلك (٦) » ، خاصة بعد أن تكلف كثيرا من النفقات في عمارة حصن ظفار وفى شراء حصن بكر . وكان الامام يريد هدم حصن كوكبان ، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك لحصانته ومناعته وصعوبة هدمه ، ثم لخوفه من وردسار إن هو أقدم على تنفيذ ذلك.

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٩ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) زبارة: نفس المرجع والجزء ص ١٣٠ .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥٩ أ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

ولهــذا فضل أن يسلمه لوردسار مقابل الصلح معه ، فيضمن بذلك سلامة المناطق الخاضعة له (١) . ومما يذكر أن محادثات هذا الصلح كانت تدور فى بادىء الأمر بين الإمام وسنقر - على غـير علم من وردسار - وقد تمسك سنقر باستعادة حصنى بكر وكوكبان ، فلم يقبل الإمام بذلك . ثم لجأ الإمام إلى مراسلة وردسار وتم التوصل إلى عقد هذا الصلح، واستحلف كل منهما الجانب الآخر على الوفاء (٢) ، وأخذ الإمام على وردســار الأيمـان والعهودُ المغلظة والمؤكدة (٣) . وتنفيذا لذلك الاتفاق أرسل وردسار أربعمائة من فرسانه إلى كوكبان وتسلمه في الثـــانى والعشرين من المحرم سنة ٦٠١ هـ (٤) / سبتمبر ١٢٠٤ م .

لم يكد وردسار ينتهى من أمر الصلح مع الإمام حتى جاءه سنقر قاصــدا صعدة (٤) ، فلما توجه وردسار للقائه عنـــد ذمار وأعلمه بأمر الصلح مع الإمام . (٦) لم يقبل سنقر ذلك ، وأصر على استعادة حصن بكر أيضا ، وصمم على المسير إلى صعدة لمحاربة الامام ولكن وردسار أقنعه بالعدول عن ذلك مؤقتا ، فعاد إلى زبيد .

أما وردسار فإنه لم يكد يرجع إلى صنعاء بعد مقابلة سنقر ، حتى أرسل إلى الامام يبلغه بعدم قبـول سنقر لشروط الصلح . وترددت الرسـل بينهما ، وكل متمسك بموقفه (٧) ، فالامام يصر على التمسك بحرفية الاتفاق ، ووردسار

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٥٩ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٠ ب .

(٣) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٠ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٣ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٦) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ .

يعمل على تعديله . فلما رأى أصحاب الامام إصرار وردسار وتمسكه ، أقنعوا الامام بالاستجابة لطلبه منعا من تجديد القتال ، خاصة وأن الظروف ليست فى صالحهم . وتم التوصل إلى تعديل الصلح مع الابقاء على الهدنة بالإضافة إلى عشرة من الخيل ومثلها من الابل وخمسة أحمال من الحديد (١) وحصان لوردسار (٢) .

تقلص نفوذ الامام وخضوع كثير من مناطق سيطرته للأيوبيين :

يبدو أن اطمئنان الإمام إلى وجود صلح بينه وبين الأيوبيين ، وقيام هدنة بينهما ، قد أطلق يده فى التصرف فيما يسيطر عليه من البلاد ، مما أدى إلى الشعور بالقسوة نتيجة تشدده فى معاملة أهالى تلك البلاد . وقد ساعد هذا الشعور على سريان موجة كبيرة من السخط عليه . فلم يكد سنقر يصل إلى زبيد بعد عودته من مقابلة وردسار حتى لحقته الكتب من كثير من المناطق التى يسيطر الامام عليها ، يستنجدونه ويحضونه على المسير إليهم ويقررون التبعية له والرضاء عن حكمه . كما وردت كتب أخرى مماثلة لوردسار من الأشراف آل القاسم – من منطقة شمال تهامة – ومن منطقتى الجوف والظاهر . ولتأكيد جدية ذلك المطلب ، عرض أهل منطقة الجوف رهن عدد من أبنائهم كدليل على صدق ولائهم ، وضمانا لاستمرار تبعيتهم . ومما زاد من عزم وردسار على الاستجابة لهم ، أن جاءه بشر بن حاتم (٣) ، وطلب منه اغتنام الفرصة واستكمال السيطرة على اليمن .

---

(١) يوجد خام الحديد فى منطقة صعده ، ويستخدم فى صناعة أدوات القتال .

(٢) ابن حاتم : السمط ٦٣ أ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ب .

وهكذا وبعد أن تحسنت الظروف وتهيأت للأيوبيين من جديد، عمل وردسار على استغلال ذلك الموقف وبدأ على الفور بالتوجه إلى مدينة الجند - وبصحبته بشر بن حاتم - للتشاور مع الأتابك سنقر. واستقر رأيهم على التوجه أولا إلى صنعاء ليعدوا للأمر عدته، فلما دخلوها فى السادس عشر من رجب سنة ٦٠١ هـ (١) / مارس ١٢٠٥ م، « جاءت الناس من كل جهة إلى الأتابك، وقرب وجوه الناس وسلاطينهم، وأحسن وأفاض الانعام، فاشرأبت له قلوب الرعايا، وشاع ذلك في الجهات، وحصل على الامام من ذلك المشقة، وتركه الناس خوفا من الغز [الأيوبيين]، ومالوا إليهم، ولم يبق معه إلا الأقل ممن أخذته الحمية أو ممن هو من الأهل »(٢).

تقدم سنقر فى عسكر كثيف إلى حصن ظفار (٣)، ولكنه لم يتعرض له، وواصل سيره إلى بلدة شوابة، فوصلها وقد فر منها أهلها (٤) خوفا منه، ثم تقدم إلى بلاد الجوف، فلما دخلها فى السابع من شعبان سنة ٦٠١ هـ / مارس ١٢٠٥ م، توافد عليه أهلها مستجيبين له ومرحبين به ودخلوا فى طاعته، مؤكدين مخالفتهم للامام وخروجهم عليه (٥). فاستحلفهم سنقر وأحسن إليهم، وبقى فى بلادهم خمسة أيام، توجه بعدها إلى صعدة فاستولى عليها بعد قتال شديد ضد أتباع الإمام فى السادس عشر من شعبان سنة ٦٠١ (٦) / ابريل ١٢٠٥ م.

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٤ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٤ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٦٤ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

وأخلاها من أتباع الإمام ، وأصبحت الخطبة فيها للخليفة العباسى ، كما غزا بعض المواقع فى منطقة صعدة وغنم منها مغانم كثيرة (١)

فلما استقامت الأمور لسنقر فى صعدة ونواحيها ، ولى فيها نائبا وترك معه مائة وعشرين فارسا (٢) ثم توجه عائدا إلى زبيد . وقد تعرض سنقر عند مروره عبر بلاد الأهنوم لبعض هجمات القبائل الموالية للامام فهزمهم (٣) ، وتابع سنقر سيره غربا ، آخذا طريق تهامة . فلما وصل إلى مدينة حرض استقبله واليها الشريف المؤيد بن قاسم ، فأقره سنقر على مدينته . وواصل سيره فى طريق العودة إلى زبيد ، حيث أخضع فى طريقه كثيرا من قرى بنى شاور (٤).

محاولات الإمام استعادة المناطق التى فقدها :

أثرت الانتصارات الأيوبية على الامام ، وحطمت آماله وبددت أحلامه . ولهذا آثر البقاء فى قرية حوث يترقب الأحداث ويتحين الفرص لاستعادة مافقده ، فلما عاد سنقر من صعدة بدأ الإمام فى إعادة تنظيم صفوف أتباعه ، كما جاءه وفد من أهل صعدة للاعتذار له لما حدث منهم من مساندتهم للايوبيين (٥) مؤكدين عدم العودة إلى مثل ذلك مرة أخرى . فقبل الإمام اعتذارهم ، ووجدها فرصة سانحة لاستعادة مدينة صعدة ، باعتبارها عاصمة دولته . وطلب

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٥ ب ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٦ أ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٦٦ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

-حن وفدها العودة إليها والقيام بمقاتلة الحامية الأيوبية المرابطة فيها والاجهاز عليها ، أو الاكتفاء بمحاصرتها ومناوشة أفـــرادها ومنعهم من الخروج من المدينة حتى يأتيهم جنده الذين اعتزم إرسالهم بقيادة أخيـه عمـاد الدين يحيى للقضاء عليهم (١) . ولكن رجال الحـامية الأيوبية كانوا قـد علموا بذلك المخطط ، فحاولوا الخروج من صعدة ،والفرار منها ، ولـكنهم لم يتمكنوا ، لمراقبة أهل المدينة لهم . فلما اقترب عسكر الامام من صعدة لجأ أفراد الحامية إلى الخديعة، وتظاهروا بالاستعداد لملاقاة جند الإمام ومقاتلتهم. فلما خرجوا من المـدينة تفادوا الالتحام مع قوات الإمام. وساروا متلمسين مسالك الطريق إلى تهامة (٢) . ولكنهم تعرضوا لهجمات بعض القبائل ، وقسوة الأحوال الجوية، وتمكن البعض من الانضمام إلى إحدى القوافل المتجهة إلى تهـــامة ، واتجه الباقون إلى حصن تلمص ، وكان تابعا للأيوبيين . فلما فشلت محاولات أتباع الامام من منعهم من الوصول إلى الحصـن ، استغل الامام وجـــود محمد بن كز (٣) ـ الذى خرج عن طاعة الأيوبيين وانضم إلى الإمام ـ وأمده بالجند،

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٧ أ .

(٢) لما خرجت الحامية من صعدة وسارت متجهة الى تهامة ، ظنت بعض القبائل فى منطقة غرب صعدة أن هؤلاء الجند عبارة عن حملة موجهة اليهم ، فحاربوهم وأعملوا فيهم السلب والنهب ، كما تعرضت الحامية الأيوبية لسيول جارفة شتتهم وفرقت جمعهم ، وتمكن بعضهم من الانضمام الى احدى القوافل المتجهة الى تهامة ، وتمكن الباقون من الوصول الى حصن تلمص (ابن حاتم : السمط ص ٦٧ ب) .

(٣) كان محمد بن كز قد خرج عن طاعة سنقر ، وأخذ يغير على البلاد التى تحت السيطرة الأيوبية . فلما خشى من انتقام سنقر ، ونضم الى الإمام رغم المحاولات التى بذلها وردسار لاقناعه بالعدول عن ذلك ، والتزم له بالأمان من سنقر . فلما وصل الى الامام فى شوال سنة ٦٠١ هـ ، أحسن الإمام استقباله ورحب به وقدمه على العسكر ، وكتب له منشورا بذلك وأعلنه على الناس (انظر ، السمط ص ٥٧ أ) .

كما انضمت إليه بعض القبائل ، وأحكم الجميع الحصار على حصن تلمص . فلما فقدت الحامية الأيوبية الأمل فى وصول نجدة لها ، طلب قائدهم الأمان لنفاذ ما كان فى الحصن من المؤن ، ووافق الامام على تأمينهم بشرط أن ترحل الحامية إلى صنعاء مباشرة . ويرجع سبب موافقه أتباع الإمام على ذلك الى تخوفهم من وصول نجدات لفك الحصار ، واحتمال خروج صعدة - مرة أخرى - عن سيطرة الإمام (١).

ومما يذكر أن وردسار كان قد بعث برسالة إلى قواته المحاصرة فى تلمص ، ولكن عدم قيام مقدم الحامية بفض الرسالة قبل ترك الحصن للتعرف على ما بها ، تسبب فى ضياع الحصن ، ذلك أنه لم يطلع على الرسالة إلا بعد أن خرج أفراد الحامية من الحصن ، وكان وردسار قد طلب منهم الصمود لمدة يومين حتى يأتيهم ، فندم مقدم الحامية على تسرعه ، وحاول العودة إلى الحصن ولكن محمد بن كز لم يمكنه من ذلك (٢) .

وهكذا نجد أن الفترة التى بدأت منذ تولى المعز السلطنة تتسم بانقسام القوى الأيوبية ، وتحول المنشقين للعمل مع الإمام ضد الأيوبيين ، مما كان له أكبر الأثر فى استمرار محاولات الإمام من أجل السيطرة على البلاد. ومن الملاحظ أنه كلما كان هناك انقسام وضعف فى القوى الأيوبية، تحولت القبائل لتأييد الإمام . كما كان لطبيعة البلاد الجبلية أثرها فى تقسيم اليمن إلى أجزاء كثيرة ومنفصلة، مما يعوق أية اتصالات أو نجدات مهما كانت عاجلة ،

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٨ أ ، ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٨ ب .

وخاصة فى منطقة جبال اليمن الشمالية لبعدها عن مركز الثقل للجند الأيوبى فى مناطق تمركزهم فى تعز وزبيد . مما جعل الأهالى والقبائل فى تلك المناطق النائية يضطرون إلى التذبذب يوما مع الإمام وآخر يخضعون فيه للأيوبيين حسب الظروف السائدة . فزاد ذلك من أعباء سنقر وتحمل — بصفته أتابكا للملك الناصر أيوب – الكثير من المشاق فى سبيل الاحتفاظ بالوجود الأيوبى فى اليمن .

ومما يستلفت النظر ، أن اتفاقيات الصلح التى كانت تعقد بين الأيوبيين والامام ، وما يقترن بها من تحديد مدة هدنة ، كان يسعى إليها الجانب الذى يحتم عليه موقفه ذلك ، حتى يكتسب وقتا يستطيع خلاله إعادة تنظيم صفوفه استعدادا لجولة أخرى . فإذا ما زالت الأسباب التى اضطرت هذا الفريق إلى السعى لعقد الاتفاق ، فإنه لا يرى حرجا فى نقض الصلح وخرق الهدنة . وهذا يفسر أسباب استمرار عدم احترام الهدنة وعدم إقامة أى وزن لحرمتها حتى أصبح هذا التصرف مألوفا .

لقد كان على وردسار ، باعتباره واليا على صنعاء وأعمالها ، مسئولا عن مناطق اليمن الشمالية ، أن يتصدى لكافة محاولات الإمام وأتباعه للسيطرة والتوسع فى تلك المناطق . وهكذا تحمل وردسار عبء ذلك الكفاح ، فلم يكد يقضى على تمرد ، أو يتصدى للامام وأعوانه فى منطقة ، حتى يضطر إلى شد الرحال إلى منطقة أخرى لنفس الغرض . وعلى الرغم من أنه كثيرا ما كان يتمكن – بامكاناته ودون الاستعانة بالقوى الرئيسية الموجودة فى تعز وزبيد – من إقرار الأمور وردع الخارجين على الطاعة . إلا أنه لم يكن يعمل بمعزل عن تلك القوى المركزية . ولقد كان وردسار يسارع

لمساعدة الأتابك سنقر إذا طلب إليه ذلك . كما كانت الإمدادات تأتيه من سنقر إذا احتاج الموقف إلى ذلك .

مواصلة الأيوبيين تعقب قوى الإمام :

وفى مجال تعاون القوى الأيوبية ، تمدنا المصادر ببعض التفصيلات ، منها قيام وردسار بحشد جيش إلى منطقة الظاهر ضم الكثير من العربان ورجال القبائل من همدان وسنحان وبنى شهاب وغيرهم من القبائل الموالية له ، كما زوّده سنقر بأربعين فارسا وانضم إليهم مثلهم من جنده الموجودين فى ذمار « وأعد النقابين والمخربين ، واستعمل الآت الحديد . . . لقطع الأعناب وخراب الأبنية وغير ذلك » (١) . وفى شهر ذى القعدة سنة ٦٠١ هـ / يونيه ١٢٠٥ م توجه وردسار فى هذا الجيش الكبير إلى بلاد الظاهر ، فلما وصلها لم يقاومه أهلها ، ولم يتصد له أحد منهم (٢) . فاكتفى وردسار بهدم بعض الاستحكامات وترك بلاد الظاهر إلى بلدة دماج ، حيث كان الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة – أخو الإمام – معسكراً فيها فى مائة وخمسين فارسا . وقد أسفرت المعركة بينهما عن مقتل كثير من الجانبين ، وعقر كثير من الخيل (٣) .

لم يتوقف وردسار بل واصل حملاته ، فتوجه إلى مدينة حوث ، فلما اقترب منها ترك معظم جيشه عند بركة ماء بالقرب منها تعرف ببركة الهجرة .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٩ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٩ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

لحفظها خشية أن يسيطر عليها أعداؤه . وتوجه وردسار فى ثلاثمائة فارس، وألف راجل (١) إلى مدينة حوث فخرّب دارا للامام بها . هذا وقد استغل الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة فرصة ذهاب وردسار إلى حوث وأغار على القوات الأيوبية المرابطة عند البركة المذكورة وأنزل الهزيمة بها وأجبرها على تـــرك موقعها . فلما علم وردسار بذلك أسرع بالانضمام إلى بقية قواته ، وعاد إلى صنعاء بعد أن خرب فى طريق عودته عددا من القرى، وعقر مزارع الكروم حولها (٢) .

وتذكر المصادر بأنه ما أن عاد وردسار إلى صنعاء حتى حدث فيها سيل عظيم فى السابع من ذى الحجة سنة ٦٠١ هـ (٣) / يوليـه ١٢٠٥ م ، خرب جزءا من سور المدينة من أساسه (٤) ، وأدى إلى هــدم كثير من الدور من

(١) ابن حاتم : السمط ٦٩ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٠ أ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣١ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ (كان سور صنعاء مركبا عليه شبابيك من حديد ، وكان يحيط بالسور خندق ، فمتى حان وقت المطر يتم رفــع تــلك الشبابيك حتى لاتعوق تدفق الماء فى مجرى السيل الذى يخترق المدينة . فلما جاء هذا السيل لم يستطع الحراس رفع الشبابيك لشدة ضغط المياه وتراجعها حتى بلغت ثرة العين ــ جنــوبى الســور ــ فاندفـع الماء مرة أخرى حتى اقتلع جزءا من السور ولم يتسع مجرى السيل لــكل المياه المتدفقة ، فماج الماء كالبحر المتلاطم وخرب نحوا من أربعمائة دار وثمانية مساجد ودار الإمارة التى كان قــد بناها وردسار فى الجانب الغربى من صنعاء مما يلى مجرى السيل فى بستان السلطان . وتدهلك عدد من الناس والدواب ، وبلــغ من خطورة ذلك السيل ــ الذى لم يسبق حــدوثه ــ أن ارتفــع الماء داخل مسجد الصومعة إلى ما يزيد عن قامة الرجــل بالرغم من أن المسجد يقــع على مــكان مرتفــع . وقيل بأن المسجد أصبح كسفينة فى بحر (انظر ، انباء الزمن ص ٦٦ ، اللطائف ص ٣٥ ب ، ٣٦ أ ، أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣١) .

بينها قصر وردسار، فلم يتمكن وردسار من النجاة إلا بصعوبة. وقد رأى أتباع الإمام أن ما أحدثه هذا السيل ماهو إلا معجزة من الإمام، لوقوع ذلك عقب قيام وردسار بتخريب دار الإمام ببلدة حوث.

التوصل إلى عقد صلح بين الإمام والأيوبيين :

يعتبر عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م عام هدوء نسبى فى اليمن، ذلك أنه تم التوصل إلى عقد صلح بين الإمام وبين وردسار، وتقضى شروط هذا الصلح بأن يسلم الإمام خمسة عشر فرسا وخمسة عشر بعيرا، مقابل أن يعيد وردسار ما عنده من الرهائن. واتفق على قيام هدنة مدتها عشر سنوات متوالية وعشرة أيام وعشر ساعات (١)، وأخذ كل جانب المواثيق والعهود على الجانب الآخر. ومما يذكر أن محمد بن كز الكردى ـ أحد القادة الأيوبيين الموالين للامام ـ كان بين من جاء إلى وردسار للمشاركة فى مفاوضات ذلك الصلح (٢).

توتر الموقف من جديد بين الإمام والقوى الأيوبية :

لم يكد عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م ينتهى حتى استجدت المناوشات بين الطرفين، وحدث نقض للصلح وانتهكت الهدنة (٣)، ودارت بعض المعارك بينهما (٤). ولكن الأمور لم تلبث ان هدأت من جديد، وأمكن الإبقاء على الصلح

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٧١ أ.

(٢) استطاع وردسار أن يقنع ابن كز بترك العمل مع الإمام والعودة إلى سنقر، فلما وصل إليه قبض عليه سنقر وحبسه فى حصن التعكر فبقى به حتى مات (انظر، ابن حاتم : السمط ص ٧١ أ).

(٣) زبارة : أئمة اليمن ص ١٣١.

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٧٢أ.

بنفس شروطه مرة أخرى (١) . وقد استغل وردسار عودة الهدوء وعمل على تدعيم قواته ، وأخذ فى الاستعداد لمحاربة الإمام . وأرسل إلى سنقر يطلب منه الاسراع فى مده بالرجال والعتاد تعزيزا لقواته ، فاستجاب سنقر لمطلب وردسار وتجهز بنفسه ، وتوجه على رأس جيش كبير فى طريقه إلى صنعاء ، ولكنه اضطر إلى العودة قبل الوصول إليها ، إذ جاءته أنباء عن حدوث قحط فى منطقة الجبال الشمالية ، ولأن ما معه من المؤن أو ما يوجد منها فى صنعاء قد لا يفى باحتياجات جيشه (٢) .

وهكذا ظل الموقف بين الأيوبيين والإمام مترددا ما بين الهدنة والحرب (٣) . ولم يلبث الإمام أن نشط وزاد خطره ، واستطاع أتباعه أن يستولوا على عدد من البلاد ، وواصلوا توسعاتهم حتى بلغوا مغارب حصن كوكبان ، مما أنذر بالدخول فى مرحلة جديدة من الصراع العنيف بين القوتين . فقد زاد موقف وردسار حرجا ، ولم يجد بدا لوقف توسعات الامام إلا أن يتوجه بنفسه إلى زبيد ليطلع الأتابك سنقر على تطورات الموقف وما وصلت إليه الحالة من خطورة ، مما يهدد بفقد منطقة الجبال الشمالية ، ومن ثم يصعب استعادتها ثانية . وبعد دراسة الموقف اتضح لهما أن الأشراف الزيدية ـ بزعامة الإمام ـ يشكلون خطرا حقيقيا على استقرار الحكم الأيوبى فى اليمن ، ولهذا ومن أجل ضمان استمرار السيطرة الأيوبية على تلك المناطق كان محتما القضاء على تلك القوى تخلصا من خطرها . وتنفيذا لهذه الخطة استقر الرأى على القيام بحملة

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٢ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٢ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

كبيرة تبدأ بإخضاع منطقة وصاب ومخاليفها، وتتجه شمالا حتى تستكمل السيطرة صعده على صعدة وأعمالها، بغية القضاء على أنصار الإمام واستئصال شأفتهم أينما كانوا[1].

موقعة وصاب وانكسار القوى الأيوبية :

أسرع سنقر فى تجهيز جيش كبير وقسمه إلى قسمين، توجه وردسار على رأس أحدهما إلى صنعاء، واتفقا على أن يكون اللقاء فى منطقة وصاب. فلما وصل سنقر إلى تلك المنطقة فى ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ / سبتمبر ١٢٠٧م وجاءه وردسار فى موعده[2]، بدأ سنقر فى محاصرة أحد الحصون هناك، ودارت المراسلات بينه وبين صاحب الحصن الذى أبدى استعداده لتسليم رهينة لسنقر ـ كدليل على الولاء والطاعة ـ وأن يرفع سنقر الحصار وألا يتعرض للمزروعات بسوء. ولكن سنقر اشترط تسليم ثلاث رهائن عن كل قبيلة، وأن يتعهد أهل الحصن بالولاء له والتعاون معه فى محاربة الإمام. فلما امتنع صاحب الحصن عن قبول تلك الشروط زحف سنقر بقواته على الحصن للاستيلاء عليه. وقد وصف بدر الدين بن حاتم هذه المعركة فذكر، بأنه «أجتمع مع أهل وصاب عرب كثير، وركب الأتابك في عسكره فى اليوم الثالث، وناجزوا أهل وصاب القتال، ودنوا من الحصن .. ـ وأهله ممتنعون فيه وحوله ـ فحين دنوا منه، انحدر عليهم أهل الحصن ومن معهم من الجموع ونزلوا عليهم من كل جهة، فحلت الكسرة بالغز حتى أنهم لم يتمكنوا من دخول خيامهم ـ وكانوا قد نزلوا عن ظهور خيلهم ـ فراموا معاودة الركوب

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٣ أ.

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٣ أ.

فحيل بينهم وبين ذلك . وأوقعوا فيهم السيف ... وقتل من الغز مائة وسبعون قتيلا ، ومن العرب الذين أجابوهم جماعة (١) . وتمكن سنقر من الانسحاب إلى أحد المواقع التابعة له ، ولحقه وردسار . ثم عاد كل منهما إلى مقره دون الاستمرار فى تنفيذ ما خططا له من القضاء على الإمام ومؤيديه .

أوجس أهل وصاب خيفة من انتقام سنقر ، ونصحهم أحد ذوى الرأى فيهم بالإسراع بالاعتذار والتودد إليه ، والعمل على استرضائه . ذلك أن الأيوبيين سوف « لا يتركون لهم وترا ، ولا يغفلون أمرا ... وأن ميلهم إلى الأتابك ومكاونتهم له، أولى من الأشراف وأحمد لعواقبهم » (٢)، فاقتنعوا برأيه وأرسلوا محسين من ذوى الرأى فيهم إلى زبيد للاعتذار لسنقر وطلب العفو منه . فأحسن سنقر استقبالهم ، وأكرمهم واستجاب لهم ، « وكتب لهم منشورا بالصدقه عليهم ببلادهم » (٣).

حطمت هزيمة وصاب الخطة التى كان قد وضعها سنقر لاستكمال السيطرة على اليمن ، وأثرت تأثيرا سيئا فى نفوس عسكره ، وزاد الطامعون فى المناطق التى تحت السيطرة الأيوبية ، وضربت الفوضى أطنابها وخاصة فى منطقة الجبال الشمالية وكنتيجة لذلك ورفعا للروح المعنوية للجند ، وتخلصا من آثار تلك المعركة ، أسرع سنقر فأعاد تنظيم جيشه وتوجه مسرعا إلى صنعاء فدخلها فى العشرين من رجب سنة ٦٠٤هـ (٤) / فبراير ١٢٠٨ . ويبدو أن سنقر قد

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٣ أ ، ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٤ أ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

لجأ إلى ذلك لكى يوهم اليمنيين باستمرار تماسك كيان جيشه وعدم تأثره بهزيمة وصاب.

محاولة الأشراف بنى حمزة القضاء على سنقر :

لما علم بنو حمزة بوصول سنقر إلى صنعاء بعد هزيمته فى وصاب ، لاح لهم أن يوقعوا به وبقواته فى شرك ويقضوا عليهم ، وكان الأمير عماد الدين يحيي بن حمزة ، أخو الإمام ، في حصن بكر ، وعلم أن رجلا من أهل الحصن ممن يعملون سرا مع الأيوبيين قد أرسل إلى سنقر يطلب منه المجىء للاستيلاء على الحصن ، وأنه سوف يتزعم حركة تمرد ضد الأشراف عند اقترابه من الحصن ، حتى يسهل سقوطه . فاستقر رأى عماد الدين يحيي بن حمـــزه على الاستفادة من تلك الخطة التى وضعت ضدهم ، فدس لهـــذا الرجل بعضا من أعوانه ، وتمكنوا من اكتساب ثقته ، وأظهروا له ميلهم إلى سنقر وسخطهم على الإمام . وأوهموه بأنهم يحلمون فى التخلص من سيطرتـه ، واستكمالا للخطة خرج عماد الدين من الحصن بعد أن أبعد عنه من لا يثق فيهم ، وكمن بقواته في مكان قريب من الحصن . فلما خرج تظاهر أتباعه المدسوسين فى الحصن بالمخالفة عليه ، وأرسل الرجل ـ الذى استدعى سنقر ـ يستحثه على الاسراع فى الوصول إلى الحصن بعـــد أن خلع أهله طاعة الإمام وأعلنوا عصيانهم له وولائهم للأيوبيين . فلما اقترب سنقـــر فى قلة من أتباعه إلى الحصن ، جاءه الرجل المـوالى له ـ فى بعض من توهم أنهم معـه ـ ورحب بسنقر . فلما هموا بالتقدم إلى الحصن وصلت رسالة إلى سنقر من أحد أتباعه فى حصن ثلا يخبره فيها بنبأ المؤامرة عليـه ، ويحذره من مغبة الوقـوع فى الشرك الذى نصب له (١) ولكن الحاضرين من أهل حصن بكر ، تقوا هـذه

---

(١) انظر ، ابن حاتم : السمط ورقة ٧٥ ــ ٧٦ .

التهمة عنهم بإصرار ، خشية انكشاف أمرهم ـ وعملوا على تشكيك سنقر في الأمر وأطلعوه على رسائل إدعوا وصولها أيضا من ثلا يطلب فيها مرسلوها عدم التفريط في الحصن ، ويحثونهم على الإبقاء عليه لأنفسهم . وقد أرادوا بذلك أن يبرروا الغرض من وراء الرسالة التي وصلته ، وتشكيكه حتى لا يستولي على الحصن .

لم يكد سنقر يقتنع بوجهة نظرهم ، ويهم بمواصلة التقدم إلى الحصن حتى وصلته رسالة أخرى من نفس المصدر الذي سبق أن أرسل له ، يؤكد عليه فيها بألا يجازف بالدخول إلى الحصن ، وختم رسالته بقوله : « لا رحم الله قتيلا بعد نذيرا » (١) فعندئذ توقف سنقر عن التقدم وأصبح أكثر إيمانا بوجود مؤامرة ضده ، وفشلت المحاولات التي بذلت بعد ذلك لاقناعه بالتقدم إلى الحصن . ولما كشفت الخديعة عاد رجال الحصن بحجة المحافظة عليه إلى أن يزول الشك الذي سيطر على سنقر ، ويتأكد من ولائهم له ، ثم يتقدم ليتسلم الحصن . ونجحوا في العودة إلى الحصن دون أن يمسهم سنقر بسوء ، فلما وصلوا قتلوا اثنين ممن تأكد لهم صدق ولائهم لسنقر. كما خرج الأمير عماد الدين يحيي بن حمزة من مكمنه (٢) وهاجم سنقر ومن معه، مما اضطره إلى التقهقر والانسحاب سريعا إلى المعسكر الرئيسي الذي كان يرابط فيه وردسار . وكان سنقر قد أراد التوجه إلى بلاد الجوف ، ولكنه عدل عن ذلك لوصول وفد من أهل تلك المنطقة إليه مؤكدين استمرارهم على الولاء والطاعة له .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٦ أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٦ ب .

فعاد إلى زبيد حيث استولى - فى طريق عودته - على حصن عضدان (١) .

إغارة قوات الإمام على تهامة :

لم يبق سنقر كثيرا فى زبيد ، إذ غادرها فى شوال سنة ٦٠٤ هـ / ابريل ١٢٠٨ م متوجها فى جيش كبير إلى صعدة وبلاد الظاهر (٢) . ولكنه لم يكد يصل إلى صنعاء حتى علم بأن قوات الإمام قد وصلت إلى مدينة المهجم فأسرع بالعودة إلى تعز . وكان الإمام قد أعد تلك القوات وأرسلها إلى منطقتي المهجم ووادى سردد من أعمال تهامة (٣) ، وعندما علم بتجهز سنقر إلي صعدة . ورأى الإمام أن حملته على تهامة ستكون فى الوقت المناسب ، الذى عبئت فيه القوات الأيوبية لحملة صعدة ، ومن ثم فمن المتوقع ألا تلاقى قواته مقاومة تذكر في تهامة، وبهذا يتمكن من تحقيق هدفين رئيسيين، أولهما : تحقيق مكاسب وانتصارات فى منطقة تهامة - معقل الأيوبيين - وثانيهما : إجبار سنقر على العودة دون اتمام حملته على صعدة . وتوجهت قوات الإمام بقيادة أخيه يحيى بن حمزة، وقد انضم المؤيد بن قاسم من المخلاف السليمانى - وكان قد أبقاه سنقر حاكما عليه من قبله - إلى الحملة . وتمكنت تلك القوات من دخول مدينة المهجم على حين غفلة من أهلها (٤) ، وأشعلوا النيران فى مساكنها (٥) . ولكن القوات الأيوبية استطاعت بمساندة أهل وادى سردد التصدى لقوات

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٧ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٧٨ أ .

(٥) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٣٢ .

الإمام ، وأسروا المؤيد بن قاسم وأرسلوه جريحا إلى سنقر بعد عودته إلى تعز (١) . ولقد كان سنقر بعيد النظر فلم يعامله كعدو ، بل بالغ فى إكرامه وأمر بمعالجته ، فكانت تلك وسيلة فعالة لاستمالته وضمان ولائه ، وتعاونه معه مستقبلا ، ثم أمر سنقر بإعادة المؤيد إلى ولايته بعد أن حجز أولاده عنده رهينة ، ضمانا لاستمرار ولائه له ، وأرسل معه خمسين فارسا مجهزين بمئونة عام (٢).

مهادنة الأيوبيين للامام والاعتراف بمناطق سيطرته :

لما انتهى سنقر من أمر المؤيد بن قاسم،وتم إحباط محاولة الإمام لتحقيق مكاسب فى تهامة ، قام سنقر بحشد قواته مرة أخرى وتوجه بها إلى صنعاء، فوصلها فجأة (٣) فى المحرم سنة ٦٠٥ هـ (٤) / يوليه ١٢٠٨ م . ويبدو أن الموقف العسكرى للأيوبيين لم يكن ليسمح فى ذلك الوقت بمزيد من الحروب ، ذلك أنه حدث خلاف فى الرأى بين قادتهم حول استمرار الحرب ضد الإمام ، بل بلغ الأمر إلى حد أن رأى البعض التخلى عن صنعاء نفسها وتركها للامام (٥) . وأمام ذلك الانقسام لم يجد سنقر بدأ من العودة إلى زبيد ، مكتفيا بالتوصل إلى تجديد الصلح مع الإمام (٦) . على أن يسلم الإمام مائة حمل حديد ، وعشرة من الخيل سنويا ، وأن تكون منطقة البون

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٨ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٨ ب — ٧٩ أ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٩ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٧٩ ب .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

الأعلى والأسفل للأيوبيين ، وذلك مقابل التسليم بأن تكون بلاد الظاهر والجوفين ـ الأعلى والأسفل ـ وصعدة للامام (١) .

محاولات سنقر للمحافظة على الوجود الأيوبى والحد من تفوذ الإمام :

لم يهدأ الإمام وأتباعه، واستمرت مناوشاتهم للقوات الأيوبية فى منطقة الجبال الشمالية،وسببوا لهم الكثير من المتاعب ، ولم يتمكن وردسار من حكام السيطرة على ما تحت يده من البلاد ، « وكثرت وجوه الفساد عليه ، فلم يدر أى وجه يسد ، ولا أى جهة يحارب . فلم يمكنه إلا مواصلة الكتب إلى الأتابك يستنجده ويستحثه ويعرفه ما هو فيه » ، ويحذره من تفاقم الأمور وأنه إن لم يتدارك الأمر فسوف تؤخذ البلاد منهم قهرا (٢) .

وتقديرا لخطورة الموقف تجهز سنقر فى جيش كبير وأسرع إلى صنعاء ، فوصلها فى شوال سنة ٦٠٥ هـ / ابريل ١٢٠٩ م . واستعان ببعض الجند الموجودين فيها ، وضمهم إلى جيشه ثم غادرها بعد ثلاثة أيام . ويبدو أن سنقر قد قصد إرهاب قبائل المنطقة وإثبات مقدرته على قمع تمردهم ، ذلك أنه سار متوجها إلى مدينة ثلا حيث كان الإمام موجودا فيها . فلما وصل إلى قرية شبام ، غير وجهته إلى بلاد الظاهر حيث « خرب قرى كثيرة وزراعات » (٣) ، وواصل سيره إلى بلدة حوث فخربها وأخرب عددا آخر

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٩٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٤ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٦ ، ٦٧ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٢ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٠ أ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٨٠ أ .

من القرى. ثم توجه إلى بلاد الجوف ، فعقر زرع بعض بلادها ، واستولى على بلدة براقش قهرا بالسيف وقتل عددا من أهلها (١) ، وولى عليها أحد ثقاته من أهلها ، وعاد إلى صنعاء ومنها إلى تعز (٢) .

ويبدو أن هذا الأسلوب من أساليب القمع قد أفاد فى وقف الإغارات المعادية للأيوبيين ، وأدى إلى استقرار الأمور هناك. إذ سادت فترة من الهدوء النسبي استمرت حتى نهاية سنة ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م . هذا باستثناء حادث واحد قام به أتباع الإمام بإغارتهم على بلدة الجنات واستيلائهم عليها بعد هزيمة الحامية الأيوبية فيها . ومع بداية عام ٦٠٧ هـ/١٢١٠ م تجهز سنقر للقيام بجولة قمع أخرى ، فوصل إلى صنعاء فى المحرم سنة ٦٠٧ هـ (٣) / يونيه ١٢١٠ م ، ومنها توجه إلى بلاد الطويلة (٤) وبعض المواقع المجاورة لها ، فخرب بعض الدور هناك وعقر الكثير من الزرع وعاد إلى تعز (٥) .

لم يقبل الامام باستمرار تقلص نفوذه ، وانحصاره فى نطاق محدود ، ولهذا لجأ إلى الأماكن النائية ليسترد فيها نفوذه ، وبدأ بإقناع والى براقش - من بلاد الجوف - بالانضمام اليه ، وتسلم منه المدينة ، كما انضم إليه والى بلاد بكيل ، وخرج عن طاعة الأيوبيين. وكنتيجة لذلك تجهز ورد سار لاستعادة السيطرة على تلك البلاد ، ولكنه اكتفى بالتوجه إلى بلاد بكيل حيث استعاد

---

(١) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٢ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٠ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٣ .

(٤) زبارة : نفس المصدر والجزء ص ١٣٣ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

الولاء فيها للأيوبيين صالحا ، وعاد إلى صنعاء (١).

فشل الإمام فى السيطرة على تهامة :

يبـدو أن الامام أراد أن يشغل الجزء الأكبر من الجيش الأيوبى بفتح جبهات حرب فى مناطق جبال اليمن الشمالية ليستنفذ طاقتهم من ناحية، وليتمكن من ناحية أخرى من الاستيلاء على منطقة تهامة . ذلك أنه جهز جيشا بقيادة أخيه أسد الدين الحسن بن حمزة، وعدد من كبار قادة الأشراف، وتحركوا إلى تهامة فى شهر صفر سنة ٦٠٨ هـ (٢) / يوليه ١٢١١ م. فلما وصلت قواتهم إليها، فاجأهم بكتمر السيفى ـ أحد كبار قادة الأيوبيين المسئولين عن تلك المنطقة ـ وانقضت قواته عليهم دون توقع سـابق منهم ، ودارت بين الفريقين حرب طاحنة انتهت بهزيمة قوات الامام ، وإصابة أخيه الأمير أسد الدين الحسن ابن حمزة بجراح بالغة ، ومقتل عدد كبير منهم بينهم أحـد كبار قادتهم وبدعى مجد الدين يحيي بن محمد بن أحمد ، واضطر جنـد الإمام إلي الفرار ، والعودة إلى بلادهم (٣) .

وهكذا أثرت تلك الهزيمة تأثيرا كبيرا فى الامام وأتباعه ، فلجأ إلى إثارة القلاقل وتشجيع القيام بها ضد الأيوبيين فى منطقة الجبال الشمالية وفى تهامة . وكان ورد شار دائم الكتابة لسنقر لإحاطته علما بتلك الأحداث . كما توجه بكتمر السيفى ـ الذى أحبط محاولة الامام فى الاستيلاء على تهـامة ـ إلى

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٨١ أ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٣ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

سنقر فى زبيد يشكو له قلة عسكره ويضعه أمام الأمر الواقع « إما أن يقويه ... وأما أن يعذره » (١) . فأمده سنقر ، ودعم قواته (٢) ، بما يكفل له إحكام السيطرة على منطقته .

ويمكن القول بأنه كان لجولات القمع التى كان يلجأ إليها سنقر فائدة كبيرة فى استقرار الأمور ، ولهذا تجهز تلبية لدعوة ورد سار ، ودخل صنعاء فى ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هـ (٣) / سبتمبر ١٢١١ م ، ثم توجه منها إلى بلاد بنى شهاب (٤) ، فلما أتاها صالحه أهلها وأقروا له بالطاعة . ثم تقدم إلى قرية ثلا حيث خرب جانبا منها ، وعقر بعض زرعها ، كما خرب عددا آخر من قرى المنطقة. وحتى يتمكن الإمام من وقف تدفق الحملات الأيوبية ، وتفادى مخاطرها ، لذلك بادر بالسعى إلى عقد صلح مع سنقر ، وجرت مراسلات بينهما حتى تم التوصل إلى عقد صلح لمدة سنتين ، وعاد سنقر إلى زبيد (٥).

وفاة سنقر :

لم يطل الأجل بالأتابك سيف الدين سنقر ، إذ لم يلبث أن توفى فى تعز سنة ٦٠٨ هـ (٦) / ١٢١١ م . وقد اختلف فى تحديد تاريخ وفاته ، فذكر

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٨١ أ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٤ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨١ ب ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢١٠ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٦ أ .

صاحب السمط (١) أنه توفى فى ربيع الآخر سنة ٦٠٩ هـ / سبتمبر ١٢١٢م ، وذكر الخزرجى نقلا عن الجندى(٢) بأن وفاة سنقر كانت فى جمادى الأولى سنة ٦٠٧ هـ / اكتوبر ١٢١٠ م . وقد أورد الخزرجى (٣) تلك التواريخ الثلاثة للوفاة مقررا صحة التاريخ الأول (٦٠٨ هـ). فهو بذلك يستبعد أن تكون الوفاة سنة ٦٠٧ هـ ، ذلك أن سنقر قد شارك فى حروب وقعت سنة ٦٠٨ هـ ، ومن ثم فلا تكون الوفاة سنة ٦٠٧ هـ طبقا لما ذكره الجندى. كما يستبعد ما ذكره صاحب السمط من أن الوفاة كانت سنة ٦٠٩ هـ لعدم وجود ما يثبت اشتراكه فى أية أحداث أو معارك بعد شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هـ / سبتمبر ١٢١١ م ، إذ لو كانت وفاته فى سنة ٦٠٩ هـ لورد ذكره فى كثير من أحداث ذلك العام ، باعتباره من أكبر وأقوى الشخصيات الأيوبية الموجودة على مسرح الأحداث فى اليمن آنذاك .

قيام غازى بن جبريل بالأتابكية للناصر :

لقد تولى سنقر أمور الدولة للناصر ، وتحمل أعباءها نيابة عنه ، فلما توفى — وكان الناصر قد بلغ العشرين من عمره — استوزر من بعده نائبه على لحج بدر الدين غازى بن جبريل (٤) . فحل فى الأتابكية بدلا من سنقر ، وصار مدبر الدولة والمتصرف في أمورها (٥) ، وكان سىء السيرة « فعامل

---

(١) ابن حاتم : نفس الصفحة ص ٨٢ ب .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ٢١٠ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

(٤) الكبسى : اللطائف ص ٣٦ أ .

أكابر النـاس وأمراءه بالسم » (١) حتى أفنى أكثرهم . فاستمرت بذلك موجة الانقسام التي بدأت منـذ تولى المعز السلطنة، والتى استغلهـا الإمام لصالحه ، فعانى الأيوبيون منهـا الكثير ، واستفاد الامام من تلك الظـاهرة باعتبارها دليـلا مقنعا للقبائل وأهل اليمن على ضعف القوى الأيوبية ، ممـا يؤدى إلى رفع الروح المعنوية لأتباعه،ويضمن استمرار اندفاعهم فى مواصلة الكفاح ضد الأيوبيين بمعونة المنشقين عليهم من جندهم . وهكذا كان لعدم وحدة الصف الأيوبى ، وتحدد قوى الإمام واندفاعه للتصدى لهم، أن أصبح من العسير على القوى الأيوبية السيطرة على الموقف فى اليمن .

فلقد تحمل كل من الأتابك سنقر ووردسار العبء الأكـــبر ، وكان كفاحهما مريرا من أجل توحيد الصف ، والعمل على استعادة الاستقـرار ، وتثبيت السيطرة الأيوبية فى اليمن .

سوء سياسة الناصر وأثرها فى زيادة الخلاف بين قادته :

لمـا تسلم الناصر زمام الأمور بعد وفاة سنقر ، أرسل إلى وردسار يطلب منه المجىء ، ولكنه أبى أن يأتيه ، مشترطا أن يسلم إليه أولا الشهاب الجزرى والى صنعاء السابق ليقتله (٢) ، وكان الشهاب قد انضم إلى الإمام ، واستطاع سنقر ـ قبل وفاته ـ أن يقبض عليه ويسجنه فى حصن التعكـــر ، وبعد مشاورات وافق الناصر ، وتم تسليم الشهاب إلى رسل وردســار (٣) . فقتلوه

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٨٢ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) الكبسى : اللطائف ص ٣٦ أ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٤ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨٢ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

خنقا (١) . وعندئذ جاء وردسار إلى الناصر فأحسن استقبـاله وأجل قدره وزاده على ولايته بحصن السمدان (٢) .

ومهما يكن من شيء ، فإذا اعتبرنا تمسك وردسار بالقضاء على الشهاب الجزرى كان جزاء عادلا على خروجه عن الطاعة ، والتجائه إلى الإمام ، فقد سبقه وردسار نفسه إلى ذلك ، واستولى من الشهـاب على صنعاء للامام ، بل وهو الذى توسط له لدى الإمام وزكاه فى الدخول فى طاعته . ولقد كان لانسياق الناصر لوردسار ، وعمله بمشورته فى حادثة أخرى سببـا فى وقوع فتنة كبرى فى صفوف الجند الأيوبى ، كان من الممكن أن تطيح بالوجود الأيوبى باليمن . ذلك أن الناصر خرج فى حملة تفقدية سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م إلى بلاد حجة ومعه وردسار ، ثم انضم إليها بكتمر السيفى عندما وصلا إلى مدينة المهجم . وسار الجميع متوجهين إلى حجة ، ولكن الناصر رأى أن يعسكر فى مكان قريب منها ، وأمر بكتمر بمواصلة التقدم الى حجة (٣). وفى خلال إقامة الناصر فى معسكره أخذ وردسار فى إغرائه وتحريضه على قتل بكتمر (٤) وتم الاتفاق على أن يتم ذلك بمجرد عودته إليها من حجة ، واستكمالا للخطة أرسل الناصر وزيره غازى بن جبريل إلى مدينة المهجم للتحفظ على أموال بكتمر وأهله الموجودين فيها (٥) .

---

(١) الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨٣ أ ، يحيى بن الحسين : أنبـاء الزمن ص ٦٧ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٦ أ .

(٤) الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة.

ولم تذكر المصادر التي تحت أيدينا الأسباب والدوافع الداعية إلى قتل بكتمر . ويبدو أن الحقد وحده هو الدافع إلى سلوك هذا المملك ، إذ أن أعمال بكتمر تؤكد إخلاصه ، فهو الذي تصدى لحملات الإمام على تهامة وتمكن من أسر المؤيد بن قاسم وأرسله إلى سنقر عندما تعاون المؤيد مع قوات الإمام التي أغارت على مدينة المهجم سنة ٦٠٤ هـ وأشعلت فيها النيران . وهو الذي استطاع مباغتة قوات الإمام في حملتها الثانية على تهامة سنة ٦٠٨ هـ ، وتمكن من هزيمتهم وقتل وأسر منهم الكثير . أضف إلى ذلك أنه كان يقظا وحريصا على استمرار فاعلية قواته لإحكام السيطرة على منطقته ، إذ أنه سارع الى سنقر عقب حملة الإمام سنة ٦٠٨ هـ ، وطلب أن يزوده بالرجال والعتاد ليتمكن من القيام بمسئولياته كاملة في حماية منطقته والذود عنها . وهكذا فقد كانت تلك الشواهد تدل على إخلاص بكتمر ، وأنه لم يكن طامعا في ملك أو سيطرة ، خاصة وأنه طلب من سنقر أن يعفيه من مهمته إذا لم يستطع تعزيز قواته والاستجابة له .

وصفوة القول أنه كان للقرار الذي اتخذه الناصر بقتل بكتمر نتائج وخيمة . فلم يكد بكتمر يتوجه عائدا من حجة حتى جاءه من أطلعه على ما دبر له ، فعدل عن العودة إلى معسكر الناصر ، ولجأ الى قرية الدنائب (١) . هذا وقد انضم إليه عدد كبير من الجند استنكارا للمؤامرة ، كما سرت موجة من الغضب بين جند وردسار نفسه ، ومضوا إلى خيمته لقتله (٢) ، ولكنه استطاع

(١) ابن حاتم : السمط ص ٨٣ أ ، الكبسي : اللطائف ص ٣٦ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

(٢) الكبسي : نفس المرجع والصفحة .

الفرار والاحتماء بالملك الناصر، ولم يخل معسكر الناصر من الساخطين . فلما تفاقم الموقف وخشي الناصر على نفسه ، تحرك متجها الى المهجم واستولى على ما كان فيها لبكتمر، وسار الى زبيد ، ومنها الى تعز . أما وردسار قد عاد الى صنعاء (١) .

لقد كان لتلك التصرفات الطائشة أثرها السيء على الموقف في اليمن ، وكرد فعل لما حدث ، أخذ بكتمر - ومن تبعه من الجند - في الإغارة على البلاد التي تحت السيطرة الأيوبية . وأخيرا استقر رأيه على مراسلة الإمام عبد الله بن حمزة للانضمام إليه (٢) . وكنتيجة لخطورة الموقف أرسل الناصر أيوب في طلب وردسار لمشاركته الحرب ضد بكتمر ، فجاءه في جيش كبير، وحطت جموعهم عند جبل برع - حيث كان بكتمر متحصنا فيه - «وكان بينهم وبين بكتمر حروب ومقامات ، وآل الأمر بينهم الى أن صالحوا بكتمر على تسليم أربعين ألف مثقال ثمن دوابه» (٣) وأن يخرج بكتمر من اليمن الى الشام .

وفاة وردسار :

لما انتهت تلك الفتنة التي أشعل أوارها وردسار ، وعاد الملك الناصر أيوب الى زبيد ، كان قد تحايل وسقى وردسار السم (٤) فمرض وخرج الى حصن السمدان حيث مات فيه سنة ٦١٠ هـ (٥)/ ١٢١٣ م ، ثم نقل الى مدينة الجند

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٣ ب ، يحيي بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨٤ أ .

(٤) الكبسي : اللطائف ص ٣٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٤ .

(٥) الخزرجي : العسجد ص ٢١١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٤ .

حيث دفن فيها (١) .

وفاة الملك الناصر أيوب :

استغل بدر الدين غازى بن جبريل فرصة التخلص نهائيا من وردسار وعمل على السيطرة الكاملة على مقاليد الأمور والانفراد بتدبير شئون مملكة الناصر (٢) ، وبلغ به الأمر إلى أبعد من ذلك ، إذ طمع فى الملك . وفى سبيل تحقيق مطمعه أقنع الناصر بالتوجه إلى صنعاء (٣) لقتال الإمام عبد الله بن حمزة (٤) . فتجهز الناصر فى جيش كبير وتزود بأموال جمة وخرج من تعز فى مستهل ذى الحجة سنة ٦١٠ هـ (٥) / ابريل ١٢١٤ م متوجها إلى صنعاء ، فلما وصلها ، بقى فيها عدة أيام ، جاءته خلالها وفود القبائل من كل ناحية (٦) . كما استولى على ما كان لوردسار من أموال وذخائر هناك ، وألقى القبض على أتباع وردسار حتى فر منهم الكثير . ثم غادر الناصر صنعاء فى الثالث من محرم سنة ٦١١ هـ (٧)/مايو ١٢١٤ م لمحاربة الإمام (٨) . ولكنه لم يكد يبتعد كثيرا

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٢) الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠ ب ، العقيلى : المخلاف السليمانى جـ ١ ص ١٨٠ .

(٤) الخزرجى : طراز الزمن جـ ٢ ص ٤١٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٤ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٢٤ ، قلادة النحر جـ ٣ ص ٨٢٠ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

(٥) الخزرجى : العسجد ص ٢١١ ، طراز الزمن جـ ٢ ص ٤١٥ .

(٦) الكبسى : اللطائف ص ٣٦ ب .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ٨٤ ب .

(٨) الكبسى : نفس المرجع والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

حتى صنعاء حتى مرض فعاد إليها بعد ستة أيام (١) من خروجه منهـا ، حيث توفي في الحادي عشر من المحرم سنة ٦١١ هـ، بعد يومين من عودته إلى صنعاء، وقيل بأن غازي بن جبريل سمه (٢) طمعا في الملك (٣) ، ودفن في صنعـاء ، وقيل بل طلي بالممسكات ونقل إلى تعز حيث قبر فيها (٤) .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة، يحيى بن الحسين : أنبـاء الزمن نفس الصفحة ، زبارة ، أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٥ .

(٣) الخزرجي : العسجد ص ٢١١ ، طراز الزمن جـ ١ ص٤١٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٣٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ص ٨٢٠ ، ٨٢٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٤ ، الكبسي : نفس المصدر والصفحة ، الشرفي : اللآلي المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

(٤) بامخـرمة : قـلادة النحـر جـ ٣ ص ٨٢٠ ، ٨٢٢ ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

الفصل السابع

تدهور موقف الأيوبيين فى اليمن

وسلطنة سليمان بن شاهنشاه بن تقى الدين عمر الأيوبى

(٦١١ - ٦١٢ هـ / ١٢١٤ - ١٢١٥ م)

الموقف فى اليمن قبيل تولى سليمان السلطنة :

ترتب على سياسة الناصر أيوب أن انقسمت القوى الأيوبية الموجودة فى اليمن ، فكان ذلك دافعا على ظهور القوى المعادية لهم . وقد استتبع ذلك بذل جهود ضخمة ، كتلك التى قام بها سنقر من أجل استعادة السيطرة الأيوبية ، والعمل على تحقيق الاستقرار وتثبيت النفوذ الأيوبى في اليمن . ولقد استطاع سنقر - بحملاته وحروبه المستمرة - التصدى لمحاولات الإمام والقضاء على مخططاته فى التوسع . فحافظ بقدر طاقته على النفوذ الأيوبى ومنع تقلصه . ولقد تدهور الموقف كثيرا بعد وفاة سنقر ، وكادت الفتنة التى نشبت نتيجة لموقف الناصر وموافقته على التخلص من بكتمر السيفى ، أن تطيح بالوجود الأيوبى ذاته . كما كان لوفاة وردسار مسموما - بتدبير من الملك الناصر - ثم وفاة الناصر نفسه وبنفس هذا الأسلوب من وزيره ومدبر أموره غازى ابن جبريل طمعا منه فى الملك ، نتائج خطيرة على الوجود الأيوبى فى اليمن .

ولقد كان لهذه الأحداث آثارها الوخيمة ، إذ أدت إلى انهيار كبير فى القوى الأيوبية ، وعمت الفوضى أنحاء البلاد . وليس أدل على ذلك من أن

جند الناصر دخلوا عليه ـ عندما بلغهم موتـه ـ ونهبوا جميع أثاثه (١) ، و[illegible] يبقوا منه على شيء ، وحكى أن أحد هؤلاء الجند لم يجد شيئا يأخذه فانتزع الفراش من تحته وألقى به على الأرض فانسلخ بعض جلده (٢) . وهذا يوضح مدى ما وصلت إليه الحالة من فوضى .

مقتل غازى بن جبريل بعد استيلائه على السلطنة :

تولى غازى بن جبريل أمر البلاد (٣) بعد موت الناصر ، وجمع كبار أمراء الأجناد ـ وكان قد استولى على أموال الناصر (٤) ـ فـوزع عليهم منها واستحلفهم لنفسه (٥) ، وتسلطن عليهم ، وتسمى بالملك ، وتلقب بالظاهر (٦) ، وضرب السكة باسمه ، وخطب له على منابر صنعاء (٧) . ثم خرج من صنعاء ـ بعد أن ولى فيها أحد ثقاته (٨) ـ وتوجه إلى تعز .

لم يكد غازى بن جبريل يصل إلى حصن ذروان حتى رتب فيـه حامية ، بعد أن قتل جماعة من أهل الحصن ، فأثار بذلك سخط سكان المناطق المجاورة ـ

---

(١) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٦ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٨٤ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢١١ ، الشرقى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٥ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والص[illegible] ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٣٥ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : قلادة النحر جـ ٣ ص ٨٢٢ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الكبسى : اللطائف ص ٣٦ ب .

(٧) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، الشرقى : نفس المصدر والصفحة .

(٨) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

فلما مر فى طريقه على جبل الشعر تصدت له قبائل المنطقة واستولت على بعض أثقاله، ولكنه واصل سيره، وعند عبوره نقيل قيضان فاجأته القبائل مرة أخرى ونهبت أمواله (١)، فلما صار فى منطقة السحول، أحاط به كثير من سكانها، فقتل منهم ثلاثة، فثبت له الباقون، ولم يستطع مقاومتهم، فنهبوا ما بقى معه من خيل وعدد وسلاح (٢) ولم يرعوا حرمة ما كان معه من النساء، واستولوا على حليهن (٣). وهكذا تعرض غازى بن جبريل خلال عبوره المنطقة لمخاطر جسيمة لم يسبق وقوع مثلها من قبل، مما يؤكد ضعف النفوذ الأيوبى حينذاك. وقد لجأ غازى بن جبريل إلى مدينة إب للاحتماء بها من هجمات القبائل - وقد تفرق ما كان معه من الجند (٤) - فلما عاد البعض إلى أم الملك الناصر فى حصن حب، شتمتهم وفزعتهم بالكلام، وحملتهم على قتل غازى، (٥)، فتوجهوا إلى مدينة إب وقتلوه فى المحرم سنة ٦١١ هـ (٦) / مايو ١٢١٤م، واحتزوا رأسه (٧) تقربا لها (٨) وانتقاما منه لدسه السم لابنها (٩).

---

(١) ابن حاتم: نفس المصدر والصفحة، الكبسى: نفس المرجع والصفحة، زبارة: نفس المرجع والصفحة.

(٢) بامخرمة: قلادة النحر جـ ٣ ص ٨٢٢، ابن الديبع: بغية المستفيد ص ١١ أ.

(٣) ابن حاتم: السمط ص ٨٥ أ، يحيى بن الحسين: أنباء الزمن ص ٦٨.

(٤) الخزرجى: العسجد ص ٢١١.

(٥) بامخرمة: قلادة النحر جـ ٣ ص ٨٢٢، ابن الديبع: نفس المصدر والصفحة.

(٦) الخزرجى: نفس المصدر والصفحة.

(٧) بامخرمة: نفس المصدر والصفحة، العقيلى: المخلاف السليمانى جـ ١ ص ١٨١.

(٨) ابن حاتم: نفس المصدر ص ٨٥ ب، يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة، زبارة: أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٥.

(٩) الكبسى: اللطائف السنية ص ٣٦ ب.

قيام أم الناصر بأمر الملك وموقف القوى المضادة :

استمر المد الفوضوى فى المعسكر الأيوبى ، وبقيت اليمن بلا سلطان (١) . ولما لم يكن باليمن أحد من رجال البيت الأيوبى ، فقد قامت الخاتون أم الناصر بأمر الملك (٢) ، وأقيم أحد أمراء الأجناد - ويدعى المجاهد - أتابكا لها ، وبويع له على الطاعة (٣) .

استغلت القوى المعادية للأيوبيين فى اليمن فرصة الضعف والانقسام فى صفوفهم وخاصة بعد وفاة الناصر ، وأخذت فى التمرد عليهم ، مثلما حدث من القبائل التى تصدت لغازى بن جبريل ، وقامت بتشتيت قواته عند عودته من صنعاء إلى تعز . كما بدأ بنو حاتم يظهرون على مسرح الأحداث كأعداء مرة أخرى ، بعد ما كانوا من أكثر الناس تعاونا مع السلطات الأيوبية . فقد اغتنموا فرصة الانهيار الذى انتاب المعسكر الأيوبى ، واستولوا على حصن بيت نعم وفدة والظفر والفص والمصنعة (٤) .

استغلال الامام للموقف واستيلاؤه على صنعاء :

أعطت الظروف التى استجدت على الموقف فى اليمن فرصة جديدة للامام لتنفيذ مخططاته والاستيلاء على البلاد ، فأرسل جيشا بقيادة أخويه يحى

---

(١) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢٧ ص ٤٥٣ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٠٨ .

(٢) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨٥ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

(٤) الخزرجى : العسجد ص ٢١٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٥ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

والحسن لمحاربة بقايا الأيوبيين فى صنعاء وقد تصدت لهما الحامية الأيوبية واستبسلت فى قتالهما (١) . وكان أهل المدينة قدأدركوا مدى ضعف القوى الأيوبية وخشوا بطش الأشراف بهم ، ولهذا مال أكثرهم إلى أصحاب الإمام، واستطاعوا أن يسهلوا عملية إدخال بعضهم إلى المدينة ، ففر رجال الحامية الأيوبية إلى حصن براش (٢) وقبض الأشراف على من وجدوه منهم فى صنعاء ، وأرسلوهم إلى الإمام فى حصن ظفار فأمضى فيهم أمره . فلما دخلت صنعاء تحت سيطرة الإمام جاءها فى صفر ٦١١هـ (٣) / يونيه ١٢١٣م ، وقيل فى الثالث من ربيع الأول (٤) سنة ٦٠١هـ / يوليه ١٢١٣ م . والمرجح أن التاريخ الأول خاص باستيلاء قوات الإمام على صنعاء أما الثانى فهو تاريخ دخول الإمام إليها .

استيلاء الإمام على ذمار :

كان استيلاء الإمام على صنعاء نصرا كبيرا له، فما أن وصل إليها حتى وفدت عليه جموع أهلها وبايعته على الطاعة ، ثم توجه إلى مدينة ذمار وبها حامية أيوبية، فلما علم أفرادها بقدومه إليهم أسرعوا فتحصنوا بحصن هران وبدار خولان (٥)،

---

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٦ ب .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ١١٢ ، المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ ٢ ص ٣٨٧ ، الصمدى : مآثر الأبرار ص ٩١ أ ، الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٣ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨٦ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٦ ب ، زبارة: أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٥ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، المحلى الشهيد : نفس المصدر والصفحة و يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

فقصدهم الإمام وأقام الحصار على الحصنين (١) . فلما لم يقبلوا التسليم، ضيق عليهم الحصـــار حتى اضطرهم إلى طلب الأمان (٢) ، فأمنهم وخرجوا من الحصنين دون أن يسمح لهم بأخذ شيء ممـــا لهـم ، كما استولى على خيلهم وسلاحهم (٣) . وظل الإمام خمسة عشر يوما فى ذمار ، جاءته خلالها جموع القبائل من أنحاء كثيرة لمبايعته . ثم عاد إلى صنعاء حيث أقام الحصار على حصن بزاش ، ولكن حاميته صمدت للحصار (٤) .

وهكذا تجمعت عوامل الضعف من كل جانب ، فالانقســام الذى عرف طريقه إلى صفوف الأيوبيين ، أدى إلى فقدان هيبتهم وازدياد الطمـع فيهم ، ولم تعد القبائل تخشاهم . وإن ماقاموا به ضد غازى بن جبريل لهـــو أكبر شاهد على ذلك . ومن ناحية أخرى ، فقد كان بنو حاتم متعاونين مع الأيوبيين ، ولكنهم انتهزوا ذلك الضعف واستولوا على عدد من الحصون . والإمام الذى كان يحلم بالسيطرة الكاملة على اليمن ، واستطاع الاستيـلاء على صنعاء وذمار وعدد آخر من الحصون ، وأصبح المتحكم فى الجـزء الشمالى من اليمـــن .

ظروف سلطنة سليمان بن شاهنشاه :

وهكذا، يتضح مما سبق مدى ما بلغته أحوال الأيوبيين من تدهور نتيجة لذلك

---

(١) الكبسى : نفس المصدر ص ٣٧ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٦ ب ، الكبسى : نفس المرجـع والصفحة .

(٣) المحلى الشهيد : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨٧ أ .

الأحداث المتلاحقة ، حتى أصبحوا بغير رابط يربطهم (١) وأخذوا يتطلعون إلى شخصية قوية وحاسمة كشخصية تورانشاه أو طغتكين لإنقاذ الموقف المتدهور والقضاء على مظاهر الانقسام بينهم والعمل على اقرار الأوضاع في تلك البلاد. ومن ناحية أخرى، فقد كانت الأحوال في مصر لا تسمح بإرسال أحد أفراد البيت الأيوبي إلى اليمن ، أو إرسال إمدادات عسكرية ، لانشغالهم في الاستعداد لصد عدوان صليبي مرتقب (٢) ولهذا فلم يكد يصلهم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب (٣) ، حتى ملكوه عليهم .

وقد اختلفت الروايات في كيفية سلطنته ، فقيل بأنه كان قد دخل مكة وقت الحج سنة ٦١٠ هـ/١٢١٣ م ، ثم جاء إلى اليمن في زي الصوفية ـ صحبة أمير الحاج اليمني ـ فلما وصل زبيد وعلم الجند الأيوبي بقدمه وتحققوا من صحة نسبه إلى بني أيوب أجمعوا على سلطنته ، ولكنه اعتذر ، فلم يقبلوا عذره (٤) .

وقيل بأن أم السلطان الناصر كانت قد أرسلت بعض غلمانها إلى مكة ـ وقت الحج ـ لتقصي أخبار مصر والشام ، وكانت تتطلع إلى وصول أحد

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٧ ب .

(٢) الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ص ١١٢ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٦٨ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٢٧٩ ، ٣٤١ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٠٨ ، الحنبلي : شفاء القلوب ص ٧٥ أ ، ابن الشحنة : روض المناظر ص ٥٥ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨٨ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

أمراء البيت الأيوبى فتتزوجه وتملكه البلاد (١) . فلما وصل أتباعهـا إلى مكة وصادفوا سليمان وتأكدوا من نسبه أرسلوا يبلغونها بذلك ، فأمرت بإحضاره وتزوجته وملكته على اليمن (٢) ، وجعلت الجند يقسمون له على الطاعة (٣).

ويذكر صاحب السمط رواية سمعهـا ممن حكاها عن الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول ، فقال : « كنت يومئذ أمير حرض والهلية ومعى صنوى نور الدين ... فبقينـا ننتظر ما يكون من الأمر ، فجاءنى من أعلمنى أنه قد دخل حرض رجل فى زى الفقـــراء ينتسب إلى بنى أيوب ، فأمرت بإحضاره ، وقلت نسأله ونبحثه عن نسبه ، فإن كان كما زعم فهو يكون السلطان . فحضر إلى وسألته ، فانتسب فعرفته ... وأقمناه ولقبناه بالملك المعظم ، ونشرنا له الدعوة من وقته ، وسرنا فى خدمته ... حتى وصلنا به زبيد وقد صار ملـــكا » (٤) .

ومهما كانت الكيفية التى جاء بها سليمان ، فلقد كانت الأوضاع فى اليمن تستلزم وجود رأس للدولة ينسق الجهود ، ويرعى شئون البلاد ، ويعيد الأمن والنظام إلى ربوعها . ولهذا فلم يكد سليمان يصل إلى اليمن حتى أقيم سـلطانا عليها . وقد بدأت سلطنته فى الثالث من صفر سنة ٦١١ هـ (٥) / يونية ١٢١٤م وقيل فى الثـانى والعشرين من ربيع الأول سنة ٦١١ هـ (٦) / أغسطس سنة

(١) العينى : نفس المصدر والمجلد ص ٢٧٩ .

(٢) ابن واصل : نفس المصدر والجزء ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٠ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨٦ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٨ أ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢١٢ .

١٢١٤ م . ومن المرجح أن التاريخ الثانى خاص باكمال سلطنته بعد تخلصه من الأتابك المجاهد .

موقف الأتابك المجاهد من قيام سليمان بالسلطنة :

لم يقبل المجاهد — الذى أقامته أم الناصر أتابكا لها — بسلطنة سليمان ، وقام بالقبض عليه (١) . فلما بلغ ذلك إلى نساء القصر غضبن لتصرفه وسلوكه هذا المسلك من تلقاء نفسه (٢) ، وقمن بإطلاق سليمان من سجنه ومكنه من حصن تعز فلما علم المجاهد بذلك لجأ إلى حصن السمدان وتحصن فيه خوفا من سليمان (٣) . وكان سليمان قد قام بعزل بعض ولاة البلاد والحصون وولى غيرهم فيها ، وعزم على القيام ببعض الحملات لتثبيت نفوذه فى بعض الجهات . فلما علم المجاهد بذلك أراد استغلال ذلك الموقف بأن يدخل إلى تعز بعد خروج سليمان منها بحملته (٤) ، وبذلك يتمكن المجاهد من الاستيلاء على تعز . ولكنه لم يحالفه التوفيق فى ذلك ، لتسرعه فى الوصول إليها قبل خروج سليمان منها ، مما أدى إلى تمكن سليمان من القبض عليه وعلى من معه وأودعهم السجن ، ثم قتله بعد أيام (٥) . فلما تخلص سليمان من المجاهد وأعوانه توجه إلى حصن التعكر واستولى عليه ، ولم يلبث أن بلغه حدوث اضطراب فى نواحى زبيد فأرسل جيشا تمكن به من القضاء على تمرد الخارجين هناك ، وذلك فى ربيع الأول

---

(١) السكبسى : اللطائف ص ٣٧ أ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، السكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٤) السكبسى : نفس المصدر ص ٣٧ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٨٨ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

سنة ٦١١ هـ [١] / يوليو ١٢١٤ م وأجبرهم على العودة إلى طاعته ، وأخذ منهم الرهائن ضمانا لاستمرار ولائهم له .

سياسة سليمان وفشله فى السيطرة على البلاد :

تجمع المصادر على أن سليمان قد سلك مسلكا غير قويم ، وانتهج سياسة سيئة ، فلم يكد يستقر على عرش اليمن حتى ملأها ظلما وجورا (٢) ، وقيل بأنه قتل مائة من فرسانه (٣) ، وقام بالملك قياما ضعيفا (٤) ، وغفل عن أمور الدولة وانغمس فى ملذاته وشهواته ، واشتغل باللهو واللعب ، وأعرض عن زوجته . التى ملكته البلاد (٥) ، مما أدى إلى زيادة تصدع الحكم الأيوبى فى اليمن ، وضربت الفوضى أطنابها . واستغلت العناصر المعادية ذلك الموقف لمصلحتها ، فخرج المؤيد بن قاسم عن طاعة سليمان ، وهاجم بلدة المحالب وخربها بالتعاون مع أعوان الإمام (٦) .

وهكذا فلم تستقر الأمور - بصفة عامة - لسليمان ، وحدثت أحداث كان من الممكن معالجتها بحكمة أو تفادى وقوعها . فقد خلق سليمان جوا من الإرهاب فى صفوف عسكره ، وعامل أمراء الأجناد معاملة تتسم بالغدر ، مما أفقدهم الثقة فيه ، وجعلهم يتآمرون ضده ، ويتحينون الفرص للايقاع به .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٩ أ ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٣٩ .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢١٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٥ .

(٤) الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ .

(٥) ابن واصل : نفس المصدر والصفحة ، العقيلى : المخلاف السليمانى جـ٢ ص١٨١ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٨٩ أ .

ومما هو جدير بالذكر ، أنه كان قد أقطع صنعاء للأمير بدر الدين الحسن ابن علي بن رسول ، وجهزه في جيش لاستردادها من الإمام [1] . ولقد كان من الطبيعي أن يكون بدر الدين موضع ثقة سليمان وتقديره ، لما له من فضل في توليته السلطنة ـ كما تقول رواية صاحب السمط [2] ـ ولكن ما أن وصل بدر الدين إلى مدينة الجند في طريقه إلى صنعاء ، حتى بلغه أن سليمان يعد العدة للقضاء عليه ، وأنه قد كلف فملا من سيتولى تنفيذ ذلك ، فلجأ بدر الدين إلى حصن الدملوة واحتمى فيه . وتدخل بعض كبار أمراء الأجناد ، وتوسطوا له عند سليمان ، وأقنعوه بإخلاصه وبضرورة التمسك به ، فأمنه سليمان وأعاد إليه ولاية صنعاء بعد أن يستردها من الإمام ، وفي نفس الوقت ظل يضمر لبدر الدين الحقد ويتحين الفرص للغدر به [3] . أما بدر الدين فقد توجه إلى صنعاء وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن غادرها الإمام [4] . ثم لم تلبث الأمور أن تأزمت من جديد عندما أرسل سليمان جيشا إلى صنعاء للاستيلاء عليها من بدر الدين والقبض عليه ، فأسرع بدر الدين إلى ترك المدينة وتقدم إلى تهامة للوقوف وجها لوجه أمام سليمان ، وقد انتهز الإمام الفرصة فعاد إلى صنعاء مرة ثانية ، فلما وصل بدر الدين إلى مدينة الكدراء ، خرج له سليمان لمحاربته وأسفرت المعركة عن هزيمة سليمان . ثم لم يلبث أن تم التوصل إلى تسوية الخلافات بينهما [5] .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) انظر ، ما سبق ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٣) الكبسي : اللطائف السنية ص ٣٧ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٨٩ ب ، الكبسي : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٨٩ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

وهكذا كان لسوء سياسة سليمان أثرها فى قيام حركات العصيان ضده . ومما يذكر أنه حدث أن طلب سليمان إحضار أحد خصومه للانتقام منه — وكان هذا الرجل قد احتمى بأحد كبار أمراء الأجناد — فلما طلب سليمان منه تسليمه ، طلب منه الأمان له أولا ، ولكن سليمان رفض وأخذ الرجل عنوة ، فأثار ذلك التصرف غضب الجند ، وأعلن عدد كبير منهم العصيان احتجاجا ، وخرجوا بأسلحتهم من مدينة زبيد ، وخشية استفحال الموقف جرد لهم سليمان عسكرا ، ولكنهم استطاعوا هزيمتهم . ثم واصل المنشقون سيرهم ، فلما بلغوا بلدة المحالب أرسلوا إلى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة — أخو الإمام — يخبرونه بميلهم للامام ، ويعرضون الانضمام إليه ، ويطلبون السماح لهم بالوصول إليه ، فأسرع عماد الدين وأرسل أحد أتباعه إليهم ، فاستحلفهم وأخذ البيعة منهم ، وتعهدوا بالاخلاص للامام وتم ذلك فى رمضان سنة ٦١١ هـ [(١)]/ يناير ١٢١٥ م .

أما سليمان ، فإنه كان قد وصل إلى المهجم بعد هزيمة عسكره ، فلما علم باتصال الجند المنشقين بالإمام ، أسرع بالعودة إلى زبيد ، بعد أن أقام عز الدين ابن وردسار نائبا عنه فى مدينة المهجم ولقد حاول عز الدين أن يتفق مع المنشقين « على حرب سليمان ، وأن يكونوا يدا واحدة على سليمان وعلى الأشراف (٢) » .

ولقد تتابعت الأحداث وتلاحقت من كل جانب ، وساءت حالة سليمان وفقد سيطرته تماما على البلاد ، ولم يعد قادرا على شيء . واستغل الإمام ذلك

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٠ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩١ أ .

الانهيار ، وقوى أمره وأخذ يصول ويجول دون أن يجد من يتصدى له أو يقف أمامه ، مستغلا الضعف والانهيار والانقسام فى صفوف الأيوبيين ، ومستعينا بالمنشقين منهم لتثبيت دعائم سلطانه . فأخذ فى الاستيلاء على البلاد والحصون ، وأرسل عامله على ذمار للاغارة على لحج وأبين فى أقصى الجنوب وذلك فى رمضان سنة ٦١١ هـ/ يناير ١٢١٥ م . ودارت هناك حروب بين الفريقين قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، ولولا استماتة نائب الأيوبيين فى القتال وصموده لسقطت المنطقة فى أيدى أتباع الإمام ، ولكنهم اضطروا إلى العودة إلى ذمار بعدما فشلت محاولتهم فى الاستيلاء عليها (١) .

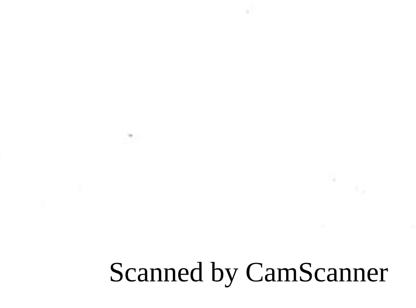
لم تقف مطامع الإمام عند ذلك الحد ، إذا أخذ يقرع أبواب المعاقل الأيوبية القريبة من زبيد . فأرسل جيشا تمكن من إحراق مدينة المهجم فى شوال سنة ٦١١ هـ / فبراير ١٢١٥ م ، ونهب بعض البلاد المجاورة لها (٢) . وفى مستهل ذى القعدة سنة ٦١١ هـ / مارس ١٢٢٥ م استطاع الإمام أن يستولى - بعد حصار طويل - على حصن كوكبان (٣) . كما أقام الحصار على حصن براش فى ذى الحجة سنة ٦١١ هـ/ ابريل ١٢١٥ م ، وكاد يستولى عليه لولا أنه اضطر إلى فك الحصار عنه عندما علم بوصول الملك المسعود بن الكامل إلى مكة فى طريقه إلى اليمن .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩١ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩١ ب .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢١٢ .



الفصل الثامن

اليمن وسلطنة الملك المسعود بن الكامل

(٦١٢ — ٦٢٦ هـ / ١٢١٥ — ١٢٢٩ م)

حملة الملك المسعود :

أسبابها :

لقد تزعزع الحكم الأيوبى فى اليمن ، وأصبح الموقف من الخطورة لدرجة اضطر معها سلطان مصر الملك الكامل بن العادل الأيوبى إلى ارسال حملة عسكرية إلى اليمن بقيادة ابنه الملك المسعود ، لإقرار الأمور والقضاء على القوى المعادية فيها ، وضمان استمرار خضوع تلك البلاد للدولة الأيوبية . وقد أوردت المصادر أسبابا متباينة حول حملة الملك المسعود ، فمن تلك المصادر ما أرجعت أسباب الحملة إلى رسالة التحدى التى قيل أن الإمام عبد الله بن حمزة قد بعث بها إلى الخليفة العباسى الناصر أحمد بن المستضىء ، وأرفق بها قصيدة ندد فيها بالبيت العباسى واتهمهم باغتصاب الخلافة ، مؤكدا حقه الشرعى فيها ، ومهددا بالاستيلاء على بغداد ، وأنه لهذا السبب بعث الخليفة إلى الملك العادل – أخى صلاح الدين – يطلب منه تجريد حملة إلى اليمن للقضاء على ذلك الإمام ، حتى لا يتمكن من إقامة خلافة علوية أخرى ، بدلا من الخلافة الفاطمية التى لم يمض وقت طويل على التخلص منها [1] .

---

(١) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٧ أ ، ابن مغلر : كتاب الترجمان – مخطوط – ملك القاضى السياغى أحد علماء صنعاء .

ومن المصادر ماذكرت أن الإمام عبد الله بن حمزة كان قد اضطهد فرقة المطرفية (١) - وهي إحدى الفرق الخارجة على المذهب الزيدي - وأفتى الإمام بتكفير أتباعها وجواز سبيهم ، واستباح أموالهم ونكل بهم حتى أصبحوا بين قتيل وطريد (٢) . وكنتيجة لذلك أرسل زعيم تلك الفرقة ، ويدعى ابن النساخ ، برسالة إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد في بغداد يشرح له فيها قضية أتباعه ، ويستجير به ويستحثه على إرسال جيش (٣) « لإطفاء نار تأججت باليمن ، أذكى وقودها قائم من بني الحسن (٤) » وأنه لهذا السبب تم اعداد حملة المسعود .

وقيل بأن سليمان بن شاهنشاه كان قد طغى ، وكتب إلى الملك العادل - وهو عم جده تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب - كتابا بدأه بقوله .« إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم (٥) . فاستقل الملك العادل عقله ، وكان قد بلغه ماوصلت اليه أحواله من سوء ، فرأى أنه لابد لليمن

(١) سميت هذه الفرقة بهذا الاسم نسبة الى مطرف بن شهاب من أهل اليمن ، وقد كانوا ممن بايعوا الامام عبد الله بن حمزة ، ثم ظهرت منهم أقوال تخالف أصول المذهب ، فقاتلهم الامام عبد الله بن حمزة (الجرافي : المقتطف ص ١١٨) لمعارضتهم لإمامته (مآثر الأبرار ص ٩٠ ب) وخروجهم على مذهبه (يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص٦٧-٦٨) .

(٢) المحلي الشهيد . الحدائق الوردية ج ٢ ص ٢٩٣ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٣٢ .

(٣) الجداري : الجامع الوجيز لوحة ٧٤ .

(٤) المحلي الشهيد : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٣٩ ، الحنبلي : شفاء القلوب لوحة ١١٢ ، ابن الشحنة : روض المناظر ص ٥٦ ، ابن الوردي : تاريخه ج ٢ ص ١٢٠ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٨ .

من سلطان قادر ، يمضي إليها ويدبر أمر ملكها ، ويعمل على عودة النفوذ الأيوبي كاملا إليها ، وتثبيته واستمراره فيها . ومما دفع الملك العادل ـ بصفته وريث دولة أخيه صلاح الدين - إلى تكليف ابنه ونائبه في مصر الملك الكامل محمد لإرسال تلك الحملة، أن أم الملك الناصر بن طغتكين ـ وهي التي أقامت سليمان في السلطنة ـ قد بعثت إلى الملك العادل تشكو له من تصرفات سليمان (١) .

ومهما يكن من شيء ، فإن الحملة كانت نتيجة لضعف سليمان وسوء سياسته وانقسام القوى الأيوبية وتدهور شئونها باليمن ، وما نتج عن ذلك من مطامع القوى المعادية لهم ، وخاصة الإمام عبد الله بن حمزة ، وعجز القوى الأيوبية هناك عن صده والقضاء على أطماعه التي تستهدف تحقيق السيطرة الكاملة على اليمن ، حتى أنه « توهم الأوهام ورام كل مرام (٢) » .

إعداد الحملة :

وهكذا وحتى يمكن استعادة وتثبيت السيطرة الأيوبية في اليمن ، ومن أجل إقرار الأمور هناك ، فقد قام السلطان الملك الكامل الأيوبي بتجهيز جيش قوامه ألف فارس ومن الجاندارية والرماة خمسمائة (٣) ، وزودهم بما يحتاجونه ، وعهد بقيادة الحملة لابنه الملك المسعود. ولما كان المسعود لا يزال في سن البلوغ ، فقد جعل أبوه معه جمال الدين فليت أتابكا ومدبرا لأموره (٤)

---

(١) ابن واصل : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٤٨ .

(٣) المقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٧ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٥٣ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٣٤٧ ، النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ١٨ ، الحنبلي : شفاء القلوب ص ٩٩ أ .

(٤) الخزرجي : العسجد ص ٢١٢ ، الشرفي : اللآلي المضية ج ٢ ص ١٣٤ أ .

وكتب إلى شمس الدين على بن رسول وإلى سائر أمراء الأجناد فى اليمن يأمرهم بطاعته (١) .

سـير الحمـلة :

غادر المسعود الديار المصرية فى السابع عشر من رمضان سنة ٦١١ هـ (٢) / يناير ١٢١٥ م فى طريقه إلى اليمن . فسار بالجيش برا إلى صعيد مصر حتى قوص ومنها إلى عيذاب . أما المؤن والعتاد ، فقد تم نقلها من القاهرة بواسطة المراكب النيلية إلى قوص ، ثم حملت على الجمال إلى ميناء عيذاب ومنها عبر البحر الأحمر إلى الحجاز (٣) ، فوصل إلى مكة فى الثالث من ذى القعدة سنة ٦١١ هـ / مارس سنة ١٢١٥ م (٤) ، وقيل فى ذى الحجة (٥) . فاستقبله أمير مكة الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس متخوفا (٦) ، فخلع المسعود عليه الخلع التى قدرت بألف دينار ، وأعطاه ألفا آخر نقدا ، كما نثر على الناس ألفا ،

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٠ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٣٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٧٤ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٩٢ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٧٤ ، العينى : عقد الجمان جـ ٢٢ ص ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٥٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٣٤ .

(٥) أدريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٤٨ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٩٢ أ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٧ ب .

ثالثا (١) وأقيمت الخطبة له بمكة (٢). ولم يبق المسعود بمكة سوى ستة أيام رحل بعدها إلى اليمن قبيل موعد الحج ، ذلك أنه خشى لن بقى إلى وقت الحج أن يتفرق عسكره (٣) ، وقيل بل غادر مكة بعد قضاء فريضة الحج (٤) ولكن هذا القول الأخير ليس له مايؤيده ، إذ أن وصول المسعود إلى زبيد كان فى مستهل المحرم ٦١٢ هـ (٥) / مايو ١٢١٥ م ، وبديهى أنه لا يستطيع الوصول فى ذلك الموعد إلى اليمن إذا كان قد بقى حتى أتم أداء فريضة الحج مع ما يحتاجه من وقت لإعادة تنظيم حملته.

وصول المسعود إلى اليمن والقبض على سليمان :

لم يكد المسعود يصل إلى حدود اليمن حتى خرج للقائه عدد كبير من أهالى البلاد من الأعيان والأشراف وفى مقدمتهم المؤيد بن قاسم السليمانى — نائب الأيوبيين فى منطقة حرض — واستقبلوا الملك المسعود ورحبوا بقدومه وأعلنوا ولاءهم له . وقد كان سرور الملك المسعود عظيما ، فخلع على المؤيد وأكرمه . وواصل المسعود تقدمه ، فلما اقترب من زبيد خرج إليه جند سليمان وأصحابه للقائه مرحبين ، وكان ممن جاءه الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول وأخوه نور الدين عمر وأخويهما موسى وأبو بكر ، فأحسن

---

(١) العينى : نفس المصدر والمجلد ص٣٤٢ ، الفاسى : نفس المصدر والصفحة ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٩٩ أ .

(٢) ابن خلكان : نفس المصدر والصفحة ، ابن تغرى بردى: نفس المصدر والصفحة .

(٣) العينى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن خلكان : نفس المصدر والصفحة ، ابن تغرى بردى: نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٢ ب ، الحنبلى : نفس المصدر والصفحة .

المسعود استقبالهم وأكرمهم (١) . ودخل زبيد يوم السبت (٢) أول المحرم سنة ٦١٢ هـ (٣) /مايو ١٢١٥ م وقيل فى الثانى منه (٤) ، وملك المدينة بغير قتال (٥). فلما علم سليمان بانضمام جنده إلى المسعود لجأ إلى حصن من تعز واحتمى به . أما المسعود فإنه ظل فى زبيد حتى جاءته أثقاله وتجهيزاته عن طريق البحر (٦) فبدأ فى العمل على توحيد الصفوف ، ورأى أن يلجأ إلى معالجة الموقف مع سليمان بالطرق السلمية حقنا للدماء ، وذلك بأن يبعث إلى سليمان ويصالحه على أن تكون له التهائم ، وأن تكون الجبال لسليمان (٧) . ولكن بدر الدين الحسن بن على بن رسول لم يوافقه على رأيه وأقنعه بمراسلة الجند الأيوبيين الموجودين فى تعز ، وإلزامهم بتسليم سليمان حتى لا يعرضوا أنفسهم للمخاطر . وعملا بتلك المشورة أرسل المسعود إلى كبار أمراء الأجناد الذين مع سليمان فى حصن تعز يأمرهم بالقبض على سليمان ، فاستجابوا له على الفور

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٩٢ أ ، الكبسى : اللطائف ص٣٧ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ١٨ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٢ ب ، العينى : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٣٤٢ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ أ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٧٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٣٤ ، الحنبلى : شفاء القلوب لوحة ٩٩ أ .

(٤) الخزرجى : العسجد ص ٢١٣ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٠ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١ أ ، المقبلى : الخلاف السليمانى ص ١٨٢ .

(٥) العينى : عقد الجمان مجلد ٥٢ ص ٣٤٢ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٤١ .

(٧) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٥ ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

وقبضوا على سليمان وأرسلوه له أسيرا فى صفر ٦١٢ هـ [١] / يونية ١٢١٥ م حيث قام المسعود بإرساله ـ معتقلا ـ إلى مصر [٢] . ودخل المسعود تعز فى التاسع من صفر سنة ٦١٢ هـ [٣] / يونيه ١٢١٥ م وقيل فى العاشر منه [٤] .

موقف الملك المسعود من الإمام :

لقد تمكن المسعود من السيطرة على تهامة ومنطقة اليمن الجنوبية ، وخاصة بعد إقصاء سليمان عن الحكم . فلما استقرت له الأمور فى تلك المناطق ، جهز جيشا بقيادة الأتابك جمال الدين فليت لاستعادة السيطرة الأيوبية على صنعاء وغيرها المناطق التى يسيطر الإمام عليها .

الإمام يفقد ذمار وصنعاء وغيرها ويعجز عن مقاومة القوات الأيوبية :

لم يكد فليت يصل إلى ذمار حتى جاءته وفود عديدة من القبائل على رأسهم مشايخ سنحان وبنى شهاب [٥] ، فاستقبلهم فليت استقبالا عظيما

---

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١ أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٣ أ ، الخزرجى : العسجد ٢١٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ ، الشرفى: اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب ، الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٥٣ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٨ أ (وظل سليمان فى القاهرة حتى قتل شهيدا فى موقعة المنصورة سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٢٧ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٢٢ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٨١ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٥٣ .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣١ .

(٥) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤١ .

وأكرمهم ، وأعلنوا الولاء والطاعه للملك المسعود ، ثم واصل فليت سيره بعد أيام إلى صنعاء . أما الإمام فإنه لما علم بحملة فليت وأحس أنه غير قادر على مواجهته ومقاومته أو الصمود أمامه ، أخرب دار السلطنة في صنعاء والدور التي كان الأيوبيون يستعملونها من قبل (١) ، وترك صنعاء في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٦١٢ هـ / أغسطس ١٢١٥ م ، وتوجه إلى حصن بيت أنعم (٢) . وهكذا استطاع فليت أن يستولى على صنعاء في مستهل جمادى الأولى سنة ٦١٢ هـ / أغسطس ١٢١٥ م .

ولم يكد الأتابك فليت ينتهي من أمر صنعاء حتى سارع بالتوجه إلى حصن بيت أنعم ، وبدأ في حصاره في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٦١٢ هـ (٣) / سبتمبر ١٢١٥ م - بعد أن تركه الإمام - وظل محاصرا له حتى استولي عليه قهرا بالسيف (٤) في الثاني من رجب سنة ٦١٢ هـ (٥) / أكتوبر ١٢١٥ م . وتابع فليت الإغارة على البلاد الموالية للامام مثل شبام والبلاد الحميرية والمصانع وغيرها ، ودارت بينه وبين أتباع الإمام معارك متعددة ، استرد الأيوبيون بها الكثير من البلاد والحصون التي كان الإمام مسيطرا عليها كما أجبرت القبائل أمام - القوى الجديدة - على الطاعة ، وتسلم فليت الرهائن منها ضمانا لاستمرار طاعتهم للأيوبيين (٦) .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٩٣ ب ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٣ ، الشرفي : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ .

(٢) الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٣ ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٣) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ٢ ص٤٠٦ ، الجندارى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٥) المحلى الشهيد : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

توصل الإمام إلى عقد صلح مع الأيوبيين :

لقد كان للانتصارات التي حققها فليت أثرها فى تقلص نفوذ الإمام ، وتفرق أتباعه « وكثر خاذله ... لطول الأمد على الناس وملالهم ، وإيثار الأكثر منهم للراحة والدعة ، وهو غير مكترث بقلتهم ولا مطول بتفرق جماعتهم ، حتى أن أهل الدين الذين ينتمون إليه لم ير منهم أحد إلا جماعة قليله من شيعته ... وكانت أحوال اليمن فى شدة خذلانهم ، وعظيم انحرافهم تحكى [ما] كان فى عصر الحسين بن على عليه السلام »(١) . وهكذا لم يجد الإمام بداً من مراسلة الأتابك فليت فى الصلح ومطالبا بإطلاق الرهائن التى أخذها من بيت أنعم (٢) . أما فليت فقد اشترط الاحتفاظ بما استولى عليه من البلاد التى كانت تحت سيطرة الامام (٣)، وأن يسلم الإمام عشرين حصانا وعشرين جملا (٤) . وبعد أن وافق الطرفان على تلك الشروط ، تم عقد الصلح فى غرة المحرم سنة ٦١٣ هـ (٥) / ابريل ١٢١٦ م مع قيام هدنة لمدة ثلاثة عشر شهراً (٦) . وعاد فليت إلى تعز بعد أن رتب الأمور فى صنعاء وما إليها من البلاد التى صارت تحت الحكم الأيوبى ثانية (٧) .

---

(١) المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ ٢ ص ٤٠٩ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٤ أ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١٤١ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، إدريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

(٥) الجندارى : الجامع الوجيز ص ٧٣ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، إدريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

(٧) ادريس عماد الدين : نفس المصدر ص ٤٩ .

عصيان قبائل سنحان ومساندة الإمام لهم :

ومهما يكن من شيء فقد ظل فليت فى تعز حتى نهاية ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م حتى جاءت الأخبار بعصيان قبائل سنحان ، وأنهم قد تحصنوا بجبل كنن ، وقطعوا طريق الإمدادات (١) والاتصالات بين صنعاء ومراكز القيادة الأيوبية فى تعز وزبيد . ومما زاد من خطورة الموقف ، ماقام به الإمام عبد الله بن حمزة من استغلال عصيان أهل سنحان والعمل على مساندتهم ، وحثهم على التمادى فى عصيانهم للأيوبيين ، وأرسل إليهم ابنه عز الدين محمد (٢) فى جماعة من أتباعه لتدعيم موقفهم ، حتى يتمكنوا من الصمود .

مساندة بنى حاتم لحامية صنعاء الأيوبية ضد الإمام :

ومن ناحية أخرى فقد تعرضت صنعاء للمخاطر نتيجة لموقف قبائل سنحان ، وقيام الإمام عبد الله بن حمزة بإعداد العدة للاستيلاء عليها . ولولا أن أسرع بنو حاتم فى جموع من قبائل همدان ــ للوقوف إلى جانب الحامية الأيوبية فى صنعاء وشد أزرها ، لاستطاع الامام أن يستولى على المدينة . وقد تمكنت الحامية الأيوبية بمعاونة بنى حاتم من التصدى لقوات الامام التى جاءتها بقيادة عز الدين محمد بن الامام فى العاشر من المحرم سنه ٦١٣هـ / ابريل سنة ١٢١٦ م حيث قتل ــ فى تلك المعركة ــ عدد من الفريقين (٣) .

---

(١) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٤ ، المحلى الشهيد : الحدائق الوردية جـ ٢ ص ٤١٥ ، الخزرجى : العسجد ص ٤١٤ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٤ ب ، ٩٥ أ .

محاصرة الأيوبيين لقبائل سنحان المتمردة :

وأمام تلك التحديات أرسل الملك المسعود أتابكة جمال الدين فليت في جيش كبير إلى صنعاء . فلما وصل إلى بئر الخولاني ـ بسفح جبل كنن (١) الذي تحصنت فيه سنحان ـ أقام الحصار حول الجبل (٢) . وقد اشتبك في عدد من المعارك مع أهل سنحان وجند الإمام (٣) . وظل فليت محاصرا لهم ومضيقا الخناق عليهم حتى توفي سلخ ربيع الأول سنة ٦١٤ هـ (٤) /يونية سنة ١٢١٧م.

وفاة الإمام عبد الله بن حمزة وانقسام الزيدية من بعده :

توفي الامام عبدالله بن حمزة أثناء حصار فليت لأهل سنحان (٥) ، وكانت وفاته في حصن كوكبان في الثاني عشر من المحرم سنة ٦١٤ هـ (٦) / ابريل ١٢١٧ م ، عن إثنين وخمسين عاما وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوما (٧) .

---

(١) زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٥ أ .

(٣) الشرفي : اللآلي المضية جـ٢ ص ١٣٤ أ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤١ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢١٤ .

(٥) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، المحلي الشهيد : الحدائق الوردية جـ ٢ ص ٢١٦ ، الخزرجي : المسجد ص ٢١٤ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣ ، الشرفي : اللآلي المضية جـ٢ ص ١٣٤ ب ، الجنداري : الجامع الوجيز ص ٧٣ ، زبارة : نفس المصدر والجزء ص ١٤٢ .

(٧) الصمدي : آثر الأبرار ص ٩١ ب ، الخزرجي : المسجد ص٢١٤ ، الكبسي : اللطائف ص ٣٨ أ (كان مولد الامام عبد الله بن حمزة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

وكانت مدة إمامته تسعة عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما (١)، عاش معظمها فى كفاح مرير ومستمر من أجل فرض سيطرته على اليمن، ومكافحة الأيوبيين. فكان من أكبر أعداء الأيوبيين صمودا. وبوفاة الإمام عبدالله ابن حمزة، أقيم ابنه عز الدين محمد محتسبا ــ وهي مرتبة دون مرتبة الإمامة ــ لأنه لم يكن قد بلغ درجة الإمامة المعتبرة عند أهل مذهبه (٢). وقد تم مبايعته على ذلك فى أول صفر سنة ٦١٤ هـ (٣).

لم تستقر الأمور لعز الدين ابن الامام، ذلك أنه لم يلبث أن حدث شقاق وانقسام في صفوف الزيدية (٤). فنى الوقت الذى أقيم فيه عز الدين محتسبا، قام أحد الأشراف وهو المعتضد يحيى بن المحسن بن المحفوظ بالدعوة لنفسه بالإمامة فى نواحى صعدة فى صفر سنة ٦١٤ هـ (٥) / مايو سنة ١٢١٧ م. وهكذا فقد انقسم الأشراف وأشياعهم من الزيدية بين مؤيد ومعارض لهذا أو ذاك، وشغل البيتان فى معارك عدة. ولكن الوقت لم يساعد مدعى الامامة إذ لم يجمع العلماء عليه، وعارضوه ووقفوا ضده، رغم أنه كان عالما مبرزا، وكان الإمام عبد الله بن حمزة قد شهد له قبل وفاته بأن عنده علم أربعة أئمة (٦)

---

(١) الصعدى : نفس المصدر والصفحة ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٢) الكبسى : اللطائف ص ٣٨ أ (عن شروط الامامة عند الزيدية ، انظر الفصل الأول ص ٣٤ ــ ٣٥ ، والفصل الرابع ص ١٤٥ هـ ٢).

(٣) الصعدى : مآثر الأبرار ص ٩٩ ب .

(٤) Kay : Yaman, Its Early Mediaeval History. p. 319

(٥) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٤ .

(٦) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٨ ب ، الجندارى : الجامع الوجيز لوحة ٧٤ .

توسعات المسعود على حساب ضعف القوى الزيدية :

على الرغم من انقسام الزيدية بعد وفاة الإمام عبد الله بن حمزة وسهولة القضاء على تمرد القبائل الخارجة عن طاعة الأيوبيين لانقطاع إمدادات الإمام لهم ، إلا أن وفاة جمال الدين فليت أثناء حصاره لتلك القبائل كان من الممكن أن يعوق القضاء على تمردهم ، ممـــا جعل المسعود يعجل بالمسير للقضاء على عصيان أهـــل سنحان قبل أن تتمكن القوى الزيديـة من تسوية خلافاتها وتـوحيد صفوفها (١) ، مما قـد يؤدى إلى زيادة الأعباء الواقعـة على عاتق الأيوبيين نتيجة اشتداد مقاومة تلك القبائل . ولهـذا رأى أن يتقـدم بنفسه للقضاء على ذلك التمرد ، فلما وصل إلى بئر الخولانى فى أول جمادى الأولى سنة ٦١٤ هـ (٢) / أغسطس سنة ١٢١٧ م بدأ الزحف على حصن براش (٣) - وكانت قبائل سنحان قـد استولت عليه - وتمكن المسعود من استعادته فى اليـوم التالى لوصوله ، ثم سار إلى صنعاء فدخلها فى الثامن من جمادى الأولى سنة ٦١٤ هـ (٤) / أغسطس ١٢١٧ م .

ومما يذكر أنه لما استولى المسعود على حصن براش وجد به حريما لرئيس قبائل سنحان فأكرمهن ولم يتعـرض لهن بسوء ، وبعثهن إليـه مكرمات (٥) . فكان لهذا التصرف أثره الحسن فى نفوس قبائل سنحان ، وساعد على تصفية

---

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٥ ب ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٤ .

(٣) الكبسى : نفس المرجع ص ٣٨ أ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٩٥ ب .

(٥) الكبسى : اللطائف ص ٣٨ أ .

الجـــو بينهما . فلمـــا أحس الأشراف الزيدية المناصرين لقبائل سنحان والموجودين معهـم فى جبل كنن بذلك ، خشوا أن يقعوا فى أيـدى الملك المسعود فغادروا جبل كنن (١) فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦١٤ هـ (٢) / أغسطس ١٢١٧م واستولى عليه المسعود فى نفس ذلك اليوم (٣)، ودخلت سنحان فى طاعته (٤) .

تابع الملك المسعود حملاته فسار إلى حصن كوكبان ، وتمكن من الاستيلاء عليه (٥) فى الخامس من جمادى الآخـر سنة ٦١٤ هـ (٦) / سبتمبر ١٢١٧م . وقد أمكن للأشراف التوصل إلى عقد صلح معه (٧) فى نفس ذلك التاريخ (٨)، وعاد إلى صنعاء ، ثم تركها فى شهـر رجب سنة ٦١٤ هـ (٩)/ مايو ١٢١٧ م فى طريقه إلى تعز .

---

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٦ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٦ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٤ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، الشرفى : اللآلى المضيـة ج ٢ ص ١٣٤ ب ، زبارة : أئمـة اليمن ج ١ ص ١٤٤ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الافكار ص ٥٠ .

(٥) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، زبارة : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : العسجـد المسبوك ص ٢١٤ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٣ .

(٧) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٤ .

(٨) ابن حاتم : السمط ص ٩٦ أ .

(٩) الخزرجى : العسجد ص ٢١٥ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٣ .

وفي ربيع الأول سنة ٦١٥ هـ / مايو ١٢١٨ م عاود الملك المسعود المسير إلى صنعاء ، واستولى في طريقه على حصن الشوافي (١) في جمادى الأولى من السنة (٢) . ثم توجه إلى بلدة حوث فخربها (٣) ثم تركها إلى منطقة الجوف ، ولكنه لم يبق فيها غير ثمانية أيام (٤) ، وسار إلى شوابة ثم غادرها بعد خمسة أيام إلى ريدة (٥) ، وفي طريقه إليها مر على حصن ظفار (٦) ، فاعترضه الأشراف فقاتلهم . ثم واصل سيره إلى ريدة ومنها عاد إلى صنعاء ، فوصلها في الثالث من ذي القعدة سنة ٦١٥ هـ (٧) / يناير ١٢١٩ م . حيث توصل بنو حمزة إلى عقد صلح (٨) مع الملك المسعود في رجب سنة ٦١٦ هـ (٩) / سبتمبر ١٢١٩ م . ويبدو أن ذلك العام كان عام هدوء ، إذا استثنينا حادثا واحدا أشار إليه صاحب السمط (١٠) ، يتعلق بحدوث خلاف بين الملك المسعود وبين المؤيد بن قاسم المتولي على المخلاف السليماني ، حيث قام الملك

---

(١) الكبسي : اللطائف ص ٣٩ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٧٠ .

(٢) الخزرجي : العسجد ص ٢١٥ .

(٣) الشرفي : اللآلي المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب ، زبارة : نفس المرجع والجزء ص ١٤٥ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٦ ب ، الخزرجي : العسجد ص ٢١٥ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الشرفي : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : نفس المصدر ص ٢١٥ .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٨) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٩) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العسجد ص ٢١٥ .

(١٠) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٦ ب - ٩٧ أ .

المسعود بخلعه عن ولايته وأقام فيها اثنين من خاصة أمرائه ، وقـــد قامت الحروب بينهما وبين المؤيد بن قاسم الذى قيل بأنه تمكن من قتلهما .

محاصرة المسعود لأهل بيت الإمام فى حصن بكر :

وفي جمادى الأولى سنة ٦١٧ هـ [١] / يوليـه ١٢٢٠ م غادر الملك المسعود تعز متوجها إلى صنعاء [٢] فوصلها فى التاسع من رجب [٣] (سبتمبر) بعد جولة تفقدية ثم تركها إلى حصن بكر [٤] ـ وفيه بعض أولاد الإمام عبدالله ابن حمزة وأمهاتهم [٥] ـ فلما وصله فى الثامن عشر من رجب سنة ٦١٧ هـ [٦] / سبتمبر ١٢٢٠ م حاصره من كل جانب [٧] ، وبنى حوله ســورا [٨] لإحكام الحصار عليه . ومما يذكر أن الأشراف الزيدية لما أحسوا بخطورة الموقف، أخذوا يتدبرون الوسائل لإنقاذ الحصن أو خلاص من فيه من آل حمزة [٩] .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ٩٧ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٥ .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٥٠ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٦ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٩ أ ، الشرفى : اللآلى المضيئة جـ ٢ ص ١٣٤ ب .

(٥) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٦ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٧) ادريس عماد الدين : نفس المصـدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٨) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحه ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

(٩) الخـزرجى : نفس المصدر والصفحـة ، ابن الديبع : نفس المصـدر ص ١١٧ ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

وهكذا تجهز عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة فى جموع كثيرة من أنصاره ، وتوجه بهم إلى تهامة بغية الاستيلاء عليها [١] حتى يضطر الملك المسعود إلى فك الحصار عن بكر ، وحتى يتمكن الأشراف من ناحية أخرى من تحقيق مكاسب في تهامة . ولكن المحاولة باءت بالفشل نتيجة لخروج أحد كبار قادة الأشراف - ويدعى سليمان بن موسى الحمزى - عن طاعة عز الدين ابن الإمام ، وانضمامه إلى الملك المسعود ، الذى جهزه لمحاربة عز الدين . وكان عز الدين قد اضطر نتيجة لذلك إلى الالتجاء إلى منطقة الجوف ، فتعقبه سليمان بن موسى حيث دارت بينهما معارك عظيمة هناك [٢] .

أما الملك المسعود فإنه لما طال حصاره لحصن بكر ، وأحس الأشراف بإصراره على الاستيلاء على الحصن ، مما قد يعرض أولاد الإمام وحريمه الموجودين فيه للخطر ، فقد تم التوصل إلى اتفاق يقضى بتسليم الحصن له مقابل مبلغ عشرة آلاف دينار [٣] ، تسلمها الأمير يحيى بن حمزة - أخو الإمام - ودخل المسعود الحصن فى مستهل ربيع الأول سنة ٦١٨ هـ [٤] / ابريل سنة ١٢٢١ م بعد حصار دام سبعة أشهر وإثنى عشر يوما . ثم عاد المسعود إلى زبيد بعد أن ولى بدر الدين الحسن بن رسول على صنعاء [٥] .

---

(١) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ٢١٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٧ ، الشرفى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٤ ب ، زبارة : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، الشرفى : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٩٧ أ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، إدريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

حملة المسعود على مكة :

شعر الملك المسعود باستقرار الأمور فى اليمن . ولهذا اتجه فى جيش إلى مكة لمحاربة شريفها الحسن بن قتادة (١) . وانه وإن كانت المصادر لم تشر إلى أسباب تلك الحملة فربما تكون من أجل القضاء على طغيان هذا الشريف . وهكذا خرج المسعود من زبيد فى السابع عشر من المحرم سنة ٦١٩ هـ (٢) / مارس ١٢٢٢ م ، فلما وصل إلى مكة كان الحسن بن قتادة قد خرج منها (٣) ، وولى هاربا ، لأن جنده قد تفرقوا من حوله لإساءته السيرة فيهم (٤) ، ودخل المسعود مكة فى ربيع الأول سنة ٦١٩ هـ (٥) / ابريل ١٢٢٢ م دون أن يتصدى له ابن قتادة (٦) . وحرم المسعود سفك الدماء بمكة ومنع النهب (٧) ، وأمر أن يصاح لمن فيها من التجار المجاورين بالأمان (٨) « فأمن الناس واستمر التجار على البيع والشراء » (٩) ، وقام المسعود برد ما استولى عليه

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢١٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٧ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص٩٧ أ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب .

(٣) الكبسى : اللطائف ص ٣٩ أ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١٢ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ٥٥١ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢١٣ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٧ ب ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٧) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٨) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٧١ .

(٩) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٧ أ .

شريف مكة من أموال وخلافه إلى أصحابها (١) . وهكـذا سلك المسعود مسلكا قويما فى معاملته لأهل مكة ، إلا أن بعض المصادر قد رددت ما ذكره سبط بن الجوزى (٢) من المسعود قد أساء السيرة وتعدى حدوده وأكثر من سفك الدماء ، وأعمل النهب فيها (٣) .

ومهما يكن من شىء فقد أناب المسعود فى مكة نور الدين عمر بن على ابن رسول (٤) ورتب معه حامية من ثلاثمائة فارس (٥) وعاد إلى اليمن ، فوصل إلى زبيد فى جمادى الأولى سنة ٦١٩ هـ (٦) / يونيه ١٢٢٢ م . ومما يذكر أنه لم يكد المسعود يترك مكة حتى أعاد شريف مكة تنظيم أتباعه بغية العودة إلى مكة ، ولكن نور الدين عمر لم يمهله حتى يستكمل استعداداته ، وجاءه على غير توقع منه وباغته ، وفرق جمعه وهزمه ، وقتل طائفة من عسكره فاضطر إلى الهرب مرة أخرى (٧) .

---

(١) المقريزى : نفس المصدر والصفحة .

(٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٢٤ .

(٣) انظر ، الفاسى : العقد الثمين جـ٤ ص ٣٥٤ ، المقريزى : السلوك جـ١ ص ٧٧ – ٧٨ ، ٢١٣ ، الذهب المسبوك ص ٧٧ ، ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٢ ص ٤٣٣ ، أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص ١٣٨ ، ابن الوردى : تاريخه جـ٢ ص ١٤٤ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٩٧ ب ، زينى دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ص ٢٥ .

(٥) الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٩٣ ، ابن تغـرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٤ ، المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٢٩ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٧٨ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٧) ابن حاتم : المصدر والصفحة ، زينى دحلان : نفس المرجع والصفحة .

عودة المسعود إلى مصر ونيابة نور الدين عمر بن رسول على اليمن :

ولقد اكتفى الملك المسعود بزيارة صنعاء في جمادى الآخرة سنة ٦١٩هـ (١) يولية سنة ١٢٢٢ م وعاد إلى زبيد (٢)، حيث أخذ يتجهز ويستعد للمسير إلى مصر لزيارة أبيه الملك الكامل وتجديد العهد له . ولهذا استقدم نور الدين عمر بن علي بن رسول من مكة واستخلفه على اليمن (٣)، وجعل أخاه بدر الدين الحسن بن رسول على صنعاء (٤) . وترك المسعود زبيد في منتصف رمضان سنة ٦٢٠ هـ (٥) / اكتوبر ١٢٢٣ م قاصدا الديار المصرية حاملا معه هدايا جليلة (٦)، فسار إلى مكة ومنها إلى القاهرة عن طريق عيذاب (٧) .

حركة مرغم الصوفي واستغلال الزيدية لها :

لقد أقام نور الدين عمر نائبا عن الملك المسعود باليمن يدير شئونها دون أن يعترضه ما يعكر صفو أمن البلاد، إلى أن قام رجل من الصوفية - يدعى

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العسجد ص ٢١٦ .

(٢) الشرفي : اللآلي المضية جـ٢ ص ١٣٤ ب ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٢ .

(٣) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٧٥ ، الفاسي : نفس المصدر والصفحة ، الشرفي : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ ، المقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٨ ، ابن تغري بردي: المنهل الصافي نفس الجزء والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار ص ٥٠ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين جـ٣ ص٣٩٣ - ٣٩٤ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي جـ١ ص ٢٢٩ .

(٦) المقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٨ .

(٧) المقريزي : السلوك جـ١ ص ٢١٩ .

مرغم الصوفى - بنشر دعـــوته فى الناس باعتباره داع لإمام حق (١) . واستجاب لدعوته كثير من قبائل عنس وجنب (٢) وبنى سيف أهل عتمة من يريم ، وجبل بنى مسلم المسمى سحمر ، حيث كانت دعوة مرغم الصوفى. فلما انتشرت دعوته وشاع أمره ، تجهز فى كثير من أتباعه وحاصر حصن ذروان وبه نور الدين عمر بن رسول . هذا وكان رئيس قبائل سنحان قــد انضم إلى نور الدين مع جموع كثيرة من أتباعه من أجل القضاء على مرغم الصوفى ودعوته (٣) . فلما دارت الحرب بين الفريقين ، استطاع أنصار مرغم أن يتصيدوا كبير سنحان من بين الجموع وقتلوه . كما تمكنوا من إيقاع الهزيمة بجند الأيوبيين فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٢٣ هـ (٤) / يونيه ١٢٢٦ م فأسرع نور الدين وتحصن بحصن ذروان واعتصم فيه .

وكان انتصار الصوفى دافعا لتقوية معنويات أصحابه ورسوخ اعتقادهم فيه ، ودفع غيرهم على التبعية له والانضمام إليه والتقدم معه (٥) . واشتد الحصار على نور الدين وأتباعه ، وزاد الطمع فيهم . ووجد نور الدين أنه مقضى عليه، فاستنجد بأخية بدر الدين، فجاءه من صنعاء (٦) فى السادس عشر من

---

(١) الخزرجى : العقــود اللؤلؤية جـ١ ص ٣٣ - ٣٤ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٤ ب .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٩٨ أ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٩٨ أ .

(٦) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

رجب سنة ٦٢٣ هـ [1] / يوليه ١٢٢٦ م وكان قد اشتبك فى طريقه إليه بأهل سنبان لاعتراضهم طريقه ، فقتل منهم عددا كبيرا . فلما وصل إلى نورالدين فى اليوم التالى ، كانت القبائل المحاصرة لحصن ذروان قد فرت [2] عندما جاءتهم أخبار ما حدث لأهل سنبان . فكان ذلك كافيا لإشاعة الرعب فى قلوبهم ، وبذلك انفك الحصار ، ووهنت عزيمة أتباع الصوفى ، وانفضوا بعد ذلك من حوله .

وترجع أهمية حركة مرغم الصوفى فى حقيقتها ، إلى الأحداث التى ترتبت عليها ، فقد كان قيام مرغم الصوفى وهزيمته للأيوبيين فى ذروان دافعا للأشراف على العودة إلى محاربة الأيوبيين ، ومحاولة الاستيلاء منهم على البلاد وتنحيتهم عنها . ولهذا انتهز الأشراف فرصة الحرب الدائرة بين الأيوبيين ومرغم الصوفى ، وتقدم عز الدين محمد ابن الإمام فى جموع كثيرة من القبائل الموالية إلى صنعاء [3] بغية الاستيلاء عليها [4] ، مستغلا فرصة خروج بدر الدين الحسن بن رسول عنها لمساعدة أخيه ضد مرغم الصوفى . وقد حط عز الدين بجموعه التى بلغت سبعمائة من الفرسان وألفين من الرجال [5] فى جبل عصر [6] استعدادا لقتال الحامية الأيوبية فى صنعاء [7] .

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢١٦ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٠ أ .

(٣) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٩٩ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١٠٠ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٦ ، العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٣٤ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١٤٧ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٤ ، الشرفى : اللآلئ المضية جـ٢ ص ١٣٥ أ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٧) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٧ .

لقد كان بنو حاتم على علاقات طيبة مع الأيوبيين ، فلما علموا بخروج بدر الدين لنجدة أخيه ، ومسير عز الدين ابن الإمام إلى صنعاء ليخلفه عليها ، أسرعوا فى إرسال الأميرين سالم بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم إلى صنعاء فى جموع من قبائل همدان من ذى مرمر وحصن العروس لصد الهجوم المتوقع على صنعاء [١] . وخرجت الحامية الأيوبية تساندها قوات بنى حاتم ، وتصدى الجميع لقتال جموع الأشراف المندفعة تجاه المدينة .

موقعة جبل عصر وهزيمة الأشراف آل حمزة :

لم تكد الأنباء عن محاولة عز الدين ابن الإمام تصل إلى بدر الدين الحسن وأخيه نور الدين عمر - وكانا قد انتهيا من خطر الصوفى - حتى أسرعا فى العودة إلى صنعاء ووصلا إليها أثناء القتال ، ولكنهما دخلا المدينة مباشرة فى السادس والعشرين من رجب سنة ٦٢٣هـ [٢] يوليه ١٢٢٦م . فكان لمجيئهما أثره فى رفع الروح المعنوية لأهل صنعاء ، وفرحوا بمقدمهما . فلما استراح الجند خرج بدر الدين وأخوه بعد عصر ذلك اليوم للاشتراك فى القتال ضد عز الدين وأتباعه [٣] .

لقد وضعت خطة الأيوبيين على أساس أن يتقدم بدر الدين الحسن بن

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر المصدر ص ١٠٠ ب ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٣٤ ، الشرفى : نفس المصدر والجزء ص ١٣٥ ب ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

رسول فى بعض قواته للاشتراك فى المعركه . وأن يبقى نورالدين فى جزء من الفرسان على مسافة من ميدان القتال ، حتى إذا وقعت الهزيمة بالقوات الأيوبية استطاع نورالدين أن يضم المتراجعين منهم إليه (١) . وبهـــذا يسهل إعادة تنظيمهم سريعا . وعلى هذا الأساس خرجت القوات الأيوبية من صنعاء للانضمام إلى المعركة الدائرة . ورتب بدر الدين أصحابه وحضهم على الاستبسال فى القتال (٢) ، وقسمهم ميمنة وميسرة ، ووقف هو فى القلب ، وجعل أصحاب النشاب فى المقدمة كالطلائع (٣) . ودار قتـــال عظيم بين الفريقين ، وأبلى الأشراف فيه بلاء عظيما (٤) ، وحمل الجند الأيوبى حمله رجل واحـد (٥) ، وصمموا على الانتصار « فمنحهم الله النصر والظفر ، وانهزم جيش الأشراف (٦) ، ولم يقم منهم أحد . وولوا مدبرين وقتل منهم قتلا ذريعا (٧) . . . ولم يزل القتل والأسر فيهم إلى أن دخل الليل وغشيهم الظلام » (٨) . وأصيب الأمير عز الدين محمد ابن الامام بفردة نشاب فى عينه فعورت (٩) .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٤ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٥أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠١ ب ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الشرفى : نفس المصدر والصفحة .

(٥) زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١٤٧ .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ : يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٧) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ .

(٨) الخزرجى : العسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٣٥ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٩) ابن حاتم : السمط ص ١٠٢ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢١٨ .

ويذكر صاحب السمط (١) أن بعض المتعصبين للأشراف أرجعوا سبب هزيمتهم إلى الأمير عماد الدين يحيى ابن الإمام ، لأنه تسبب بــتركه ميدان المعركة لتأدية صلاة العصر ، ولحاق غلمانه وحاشيته به ، أن اعتقد جنده بأنه قد هزم ، فتقهقروا وحدثت الهزيمة (٢) .ومهما يكن من شىء ،فقد اضطروا إلى الفرار عقب الهزيمة ، وباتوا ليلتهم سائرين « ولم ينزلوا عن ظهور خيلهم حتى وصلوا إلى المدينه ثلا ، وقد تفرق جمعهم ولم يبق فيهم غير أربعين فارسا وهم الأشراف وعبيدهم » (٣) .

أما بدر الدين الحسن بن رسول فإنه كان قد عاد إلى صنعاء بعد نصــر « لم يسمع بمثله فيما مضى » (٤) ، فأقيمت الأفراح احتفالا بهذه المناسبة . ثم توجه فى اليوم التالى إلى مكان المعركة واستولى على جميع ماتركه الأشراف من أموال ودواب وخلافه وعاد إلى صنعاء (٥) . ومما يذكر أن جماعة من أهل صنعاء كانوا قد راسلوا عز الدين ابن الامام اثناء المعركة ، ووقعت كتبهم فى يد الأيوبيين ، فاستحضرهم بدر الدين وأمر بشنقهم جزاء خيانتهم له (٦).

وفاة عز الدين محمد ابن امام عبدالله بن حمزة :

لم يطل بقاء عز الدين فى ثلا إذ توجه إلى حصن ظفار فى رمضان سنة ٦٢٣هـ/

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٣ ب ــ ١٠٤ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٤ أ .

(٣) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٢ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٣ أ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٢ ب ، ١٠٣ أ .

أغسطس سنة ١٢٢٦ م وبقى هناك أياما (١) توجه بعدها إلى مدينة حوث (٢) - وقد انتابه المرض (٣) - فمات فى السابع من ذى الحجة سنة ٦٢٣ هـ (٤) / نوفمبر ١٢٢٦م متأثرا بجراحه وبصدمة الهزيمة، وقبر تحت مشهد أبيه (٥) فى حصن ظفار (٦) . وأقيم أخوه شمس الدين أحمد محتسبا من بعده (٧) .

صدى انتصار موقعة عصـــر:

لقد شاعت أخبار المعركة فى أنحاء البلاد ، وقوى بها أمر بنى رسول (٨). وبعث بدر الدين الحسن بن رسول برسالة إلى الملك المسعود بمصر ، يخبره فيها بنبأ المعركة ، وأرفق بالرسالة أبياتا من شعر مدرك بن بشر بن حاتم فى ذكر الموقعة والفخر بما أحرزوه من انتصار فيها (٩) ومن هذه الأبيات قوله :

سلا ذات سمط الدر والمارد الأقنى ... لدى عصر من أصدق الضرب والطعنا

ومن شهدت صنعـاء لولا بلاؤه ... لمـــا فارقت رعبا ولا رافقت أمنا

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٢) الصمده : مآثر الابرار ص ٩٩ ب .

(٣) زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٨ .

(٤) الصمدى : نفس المصدر والصفحة .

(٥) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٦) العرشى : بلوغ المرام ص ٤٤ .

(٧) العرشى : نفس المرجع والصفحة .

(٨) الكبسى : اللطائف السنية ص ٣٩ أ .

(٩) ابن حاتم : السمط ص ١٠٤ ب ١٠٥ أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ ، الخزرجى : المسجد ص ٢٢٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ .

ونحن متى مشينا دسرنا عـدونا   ولانحتقـد حقـدا دفينا ولاضغنـا
فـلازالت الأخبار منـكم تسرنا   كما سركم فى مصر مخـبركم عنـا

فلما وصلت الرسالة والأبيات إلى مصر واطلع عليها الملك الكامل سأل ابنه عن ذلك الذى يخاطبه بنون العظمة ، فأخبره بأنه أحد أمرائه . فقـال له : « هيهات ، والله ماهده مخاطبة أمير بل مخاطبة ضـد ، فإن لم تثب عليه وثبه عليك » (١) .

عودة المسعود إلى اليمن والقبض على بنى رسول :

لقد تواترت أخبار اليمن على الملك المسعود ، فمنها ما كان متعلقـا بحركة مرغم الصوفى ، ومنها ما كان خاصا بموقعة الأشراف بجبل عصر ، ثم جاءته الأخبار بمقتل نائبه فى حضر موت عندما كان يحارب أحد أتباعه الخارجين عليه (٢) . ولهذا خشى المسعود أن تضيع منه البلاد ، فأسرع بالعودة إلى اليمن ، وخرج من مصر بعد أن أتاه التشريف الخليفى من بغداد (٣) . فلما وصـل مكـة فى رمضان سنة ٦٢٣ هـ / سبتمبر ١٢٢٦ م ترك فيها عاملا من قبله (٤) . ومما يذكر أن مكة ظلت تابعة له حتى مات (٥) . هذا وقـد وصل المسعـود إلى تعز فى السابع من صفر سنة ٦٢٤ هـ (٦) / يناير ١٢٢٧ م .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٠٥ أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ .
(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠٥ ب ــ ١٠٧ أ .
(٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٨ .
(٤) ابن حاتم . نفس المصدر ص ١٠٧ أ ، ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة .
(٥) العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٧٩ .
(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

والحق أن هزيمة الأشراف بجبل عصر كانت هزيمة منكرة ، فقد هزتهم بعنف وأضعفتهم ، وحطمت روحهم المعنوية وأذلتهم وأسكتتهم إلى حين. وهكذا فقد أدى بنو رسول واجبهم في المعركة على خير وجه وأكمله ، فارتفع بذلك قدرهم ، وأثبتوا لليمنيين مقدرتهم على القضاء على القوى المعادية للوجود الأيوبي في اليمن ، وقمع كافة الحركات الداخلية المضادة ، فكثر حسادهم ، وعمد أعداؤهم إلى اتباع طريقة الدس والوقيعة ضدهم - وقد كان الملك المسعود مهيأ للاقتناع الكامل فيما يختص بأطماع بني رسول - ولهذا لجأ أعداء بني رسول إلى تخويف الملك المسعود منهم ، وحذروه من خطرهم. فلما جاءوا للقائه بعد عودته (١) قبض عليهم (٢) وسجنهم. ثم أفرج عن نور الدين عمر نظرا لما كان بينهما من المودة ، إذ كان يأنس به ويميل إليه دون باقي إخوته (٣) وقربه وجعله أستاذ داره (٤) وأتابك عسكره (٥). أما باقي إخوته فقد أرسلهم معتقلين إلى مصر (٦).

وفي ذي الحجة سنة ٦٢٤ هـ / نوفمبر ١٢٢٧ م توجه الملك المسعود إلى

---

(١) السكبسي : اللطائف السنية ص ٣٩ أ.

(٢) الخزرجي: المسجد ص ٢٢١ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ـ٥٢ ، الفاسي : العقد الثمين حـ ٣ ص ٣٩٤.

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ، بغية المستفيد ص ١١ أ.

(٤) ادريس عماد الدين : نفس المصدر ص ٥٢.

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٠.

(٦) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ ب ، ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : المصدر السابق نفس الصفحة ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٥.

بلاد بنى سيف وخربها (١) ، وجعلها كالأمس الذاهب، (٢) جزاء لهم على القيام مع مرغم الصوفى ، وانتقاما منهم لاشتراكهم فى الحرب ضد الأيوبيين. وأقام فى بلادهم حوالى ثلاثة أشهر (٣) حتى أخضع أهلها خضوعا تاما ، ثم عاد إلى تعز .

أسباب عودة الملك المسعود إلى مصر :

لقد قام المسعود بجولات تفقدية منظمة ومستمرة فى أنحاء اليمن حققت له استقرار حكمه ، وظل الأمر كذلك إلى أن عزم على التوجه إلى مصر مرة أخرى (٤) .

ويرجع السبب فى عودة المسعود إلى مصر، إلى أنه علم بموت عمه الملك المعظم عيسى - صاحب دمشق - وأن أباه الملك الكامل قد استولى عليها (٥) من الناصر صلاح الدين داود بن المعظم ، فطمع المسعود فى أخذ دمشق (٦) . وقيل أن أباه هو الذى أرسل يستدعيه لهذا الغرض (٧) ، فأناب المسعود أحد أمراء

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٢١ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الخزرجى : المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) الشرفى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٥ أ .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٨ .

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٨ ، الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ص ٢٤١ ، الذهبى : سير النبلاء ج ١٣ ص ٤٠٣ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٩٩ أ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٢ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ١٠٨ أ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠ .

جنده ويدعى نجم الدين أحمد بن أبى ذكرى على صنعاء(١)، كما ولى نور الدين عمر بن رسول على اليمن كله (٢) .

وذكر سبط ابن الجوزى (٣) ، أنه لما استقر رأى المسعود على السفر إلى مصر ، أعلن فى البلاد ذلك ، وأن من أراد السفر بصحبته من التجار فليستعد . فأقبل عدد كبير من كل صوب بأنواع مختلفة من البضائع . ثم جمع المسعود التجار وطلب منهم أن يبيعوه بضائعهم ليحميها من الزكاة، فباعوها له ثم كتب لكل منهم برأس ماله على ناحية من نواحى اليمن . ولم يستمع إلى توسلات التجار . وتجهز فى جهاز لم يسبقه إليه ملك ، فكان «ثقله من خمسمائة مركب، ومعه ألف خادم ومائة قنطار عنبر وعود مسك ومائة ألف ثوب ومائة صندوق أموال وجواهر » كما ذكر سبط ابن الجوزى أيضا ، أنه لما أبحرت السفن فى طريقها إلى جدة ضرب الهواء بعضها فعادت إلى زبيد حيث استولى عليها أصحابها (٤) .

ومن الواضح أن رواية سبط الجوزى ، قد نقلها عنه عدد من المؤرخين ، وهى تحتاج إلى تدعيم ، ولا يمكن الأخذ بها بهذه السهوله ، خاصة أن المصادر

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) الخزرجى : العسجد ص٢٢٢ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ، الكبسى : اللطائف ص ٣٩ ب، المقريزى : السلوك ج١ ص٢٣٧، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٤٩ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج١ ص ٢٣٠ .

(٣) مرآة الزمان ج ٨ ص٦٥٨ ، الخزرجى . العقود ج ١ ص ٤١ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٤١ ، العينى : نفس المصدر والصفحة ، الذهبى : نفس المصدر والصفحة ، ابن أيبك : نفس المصدر ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٤) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٨ .

اليمنية التي تحت أيدينا لم تشر إلى شيء من هذا ، وأنه لكثرة ماذكر سبط بن الجوزى « فإن السامع لايكاد يصدق بها » (١) .

وفاة الملـــك المسعود :

لقد تجهز المسعود وحمل معه أمواله وأثقاله قاصدا مصر ، طـامعـا في أن يتولى دمشق . فلما وصل إلى مكة كان قد اشتد به المرض ، فأقام بها أياما ثم توفى فى الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ٦٢٦ هـ (٢) / ابريل ١٢٢٩ م وقيل فى الرابع عشر من الشهر (٣) . فكان آخر ملوك بنى أيوب باليمن . (٤) وبوفاته كان آخر عهدهم فيها (٥) إذ خلفهم بنو رسول ، فى البـداية كنواب لهم ، ثم أقدموا إعلان الاستقلال بملكها ، بعد أن تمكنوا من إحكام سيطرتهم عليها .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ١ ص٤١ .

(٢) الفاسى : العقـد الثمين جـ ٤ ص ٣٥٤ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٨ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٨٥ ، النويرى : نهاية الارب جـ ٤١ ص ٤٢ .

(٣) الخزرجى : العسجد ص ٢٢١ ، العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٤٢ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٥ أ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٥) محمد يسـ[illegible] : [illegible]ب اليمن ص ٣٨ .

الفصل التاسع

سقوط دولة بنى أيوب فى اليمن
وقيام دولة بنى رسول

الحالة فى مصر والشام :

لقد تمكن الأيوبيون ـ فى عهد صلاح الدين ـ من تحقيق وحدة المنطقة العربية . واستطاعو أن يسجلوا انتصارات حاسمة على الصليبيين، واستعاد صلاح الدين منهم العديد من المدن والحصون وعلى رأسها بيت المقدس .

وكانت مصر ـ حصن العروبة وحامية الإسلام ـ تشكل خطرا دائما على الصليبيين، باعتبارها مركز المقاومة العنيدة ، والامدادات الكثيرة من الرجال والميرة والسلاح . ولهذا استقر رأى الصليبيين على التركيز على مصر وتوجيه الحرية إليها، حتى إذا ما استولوا عليها، أمكنهم إخماد روح المقاومة فى أهلها، ومن ثم تسهل مهمتهم فى الاستيلاء على بيت المقدس ، بل وامتلاك الشام كله. ولكن الأيوبيين استطاعوا ـ بفضل تكتلهم أن يقاموا الصليبيين، وينتصروا عليهم ، ويقضوا على الحملة الصليبية الخامسة التى قادها جان دى بريين . وكما انتصروا على العدو الصليبى الخارجي ، أحبطوا المؤامرات والفتن الداخلية . وإذا كانت تلك المخاطر قد وحدت كلمتهم، فإن زوالها أو قلة حدتها قد ساعد على حدوث الانقسام بين أبناء الملك العادل ـ أخى صلاح الدين ـ وأصبح الصراع بين الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر ، وبين أخويه المعظم عيسى صاحب دمشق، والأشرف موسى صاحب خلاط، أقوى من أى وقت مضى . وساءت العلاقات بين أبناء الملك العادل المسيطرين على الدولة الأيوبية

فى مصر والشام ، حتى انتهى الأمر إلى تفتيت قوتهم وتفكك دولتهم ، وسعى كل طرف منهم إلى حليف يناصره ويسانده فى صراعه المرتقب ضد الطرف الآخر .

فقد لجأ الملك المعظم عيسى إلى الاتصال بجلال الدين خوارزم شاه فى بلاد فارس ، ووثق علاقته به وتحالف معه ضد الملك الكامل محمد (١) ، كما انضم الأشرف موسى إلى أخيه المعظم فى صراعه . وبدلا من أن يسعى الملك الكامل إلى تسوية خلافاته مع أخويه ، فضل أن يعقد صلات ود وصداقة مع الامبراطور فريدريك الثانى بصقلية ، وأرسل إليه سنة ١٢٢٦ م يلتمس محالفته مقابل التنازل عن بيت المقدس (٢) ، وبهذا يضمن الاستعانة به ضد أخويه المعظم والأشرف (٣)

وهكذا احتدم الصراع واستحكم العداء بين أفراد البيت الأيوبى . حتى فقد كل منهم الثقة فى الآخر . ولم يكن تحالف كل منهم مع الأجنبى ضد أخيه إلا دليل ضعف وانقسام ، مما أدى إلى زيادة الأطماع فى الدولة الأيوبية وساعد على انهيارها . وإذا كان ذلك العداء قد تطور حتى لجأ كل منهم إلى التحالف ضد أخيه ، فإنه لمما يستلفت النظر ، ما كان من سعى الملك الكامل للتحالف مع القوى الصليبية ، وعرضه التنازل عن طيب خاطر عن بيت المقدس

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ١٣٠ .

(٢) Runciman (S.) ; History of the Crusades. vol III. pp. 184-185, Wiet (G) ; L'Egypte Arabe. (Histoire de la Nation Egyptienne, vol. IV. d 352

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ٣ ص ١٤٨ .

فريدريك، بعد أن تكبد صلاح الدين والمسلمون الكثير من أجل استعادة تلك المدينة المقدسة من الصليبيين . وليس من شك فى أنه كان من مصلحة الصليبيين أن يحدث هذا التصدع ، وتتسع هوته بين أمراء البيت الأيوبى ، وأن يجترفهم بريق السلطة والسلطان ، ويبعدهم عن مهمتهم الأساسية التى قامت دولتهم من أجل تحقيقها ، والتى كرس لها صلاح الدين حياته ، وأعنى بها تخليص الأرض العربية من الصليبيين واعتداءاتهم على المسلمين ومقدساتهم .

ومهما يكن من شىء ، فقد توفى المعظم عيسى فى ذى القعدة سنة ٦٢٤هـ/ نوفمبر سنة ١٢٢٧م وخلفه ابنه الناصر داود – ولم يكن على حظ من التجربة والخبرة – فاستطاع الملك الكامل أن يستولى على ممتلكاته ومنها بيت المقدس ونابلس ودمشق (١) . وبهذا تلاشت المخاطر التى كانت تساور الملك الكامل من ناحية أخيه المعظم ، ولم يعد في حاجة إلى أية معونة أو مساندة من فريدريك، ولكن الكامل –وقد تورط باتفاقه معه – لم يعترض على تنفيذ الاتفاق وسلم بيت المقدس له، رغم زوال الأسباب التى أدت إلى ذلك التحالف، مما أثار موجة من السخط العام ضد الملك الكامل لتفريطه فى أملاك المسلمين ، وتسليم بيت المقدس بالذات للصليبيين ، وبدون حرب (٢) .

وهكذا كان الصراع بين أمراء البيت الأيوبى ، من أجل تحقيق مطامع إقليمية ، سببا فى تفرق كلمتهم . وقد أدرك الصليبيون والخوارزمية مدى

---

(١) الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ١١٩ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ٢ ص ١١٦ .

الضعف الذى وصلت إليه القوى الأيوبية ، فازداد الطمع فى الأراضى الأيوبية وتطلعت القوتان ـ الصليبيـة والخوارزمية ـ إلى اقتطاع أجـزاء من تلك الدولة ، وقد قامتا ـ كل من جهتها ـ بأعمال التخريب فى بلاد الشام(١) .

التمهيد لاسقاط الدولة الأيوبية فى اليمن على يد ابن رسول :

لقد صادفت وفاة الملك المسعود تلك الحـالة السيئة من التفكك والانقسام فى مصر والشام . لذلك كان طبيعيا ألا يتمكن الملك الكامل من إرسال أحد من قبله لينوب عنه فى حكم اليمن ، وكان نور الدين عمر بن على بن رسول يقوم بالحكم فيها نيابة عن الملك المسعود . فلمـا علم نور الدين بوفاة الملك المسعود كتب إلى الملك الكامل مظهرا إخلاصه فى نيابته عن الأيوبيين (٢) وكدليل على تمسكه بالتبعية والطاعة له ، جهز الكثير من الأموال والتحف وأرسلها إليه فى مصر (٣) ، ولم يتسرع نور الدين فى تغيير خطبة ولا سكة (٤) لأنه كان ـ فى حقيقة الأمر ـ يطمع فى الاستقلال بملك اليمن (٥) .

لهذا بدأ نور الدين يعمل تدريجيا ويمهد لتنفيذ مطمعه فى الاستقلال بالحكم ، فقام فى بداية الأمر بعزل من يخشاه من ولاة المدن والحصون (٦) ، وأخـذ

---

(١) الباز العرينى : نفس المرجع ص ٩١٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج ١ ص ٢٣٠ ، الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ١٧٩ .

(٣) النويرى : نهاية الارب ج ٢٧ ص ٤٢ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٥

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢٠٢٦ ، الفاسى : نفس المصدر ج ٣ ص ٣٩٤ .

يولى فيها من يرتضيه ويثق فيه من خاصته([1])، فاستطاع بذلك أن يسيطر على البلاد التهامية . فلما أقر قواعد الأمور فيها ([2]) ، عزم على تأكيد سلطته في بقية البلاد ، فسار في شهر شوال سنه ٦٢٦ هـ / سبتمبر ١٢٢٩م إلى حصن تعز ([3]) وحاصره حصارا شديدا ([4]) ، وضيق على أهله حتى أجهدهم ([5]) . وكسبا للوقت عهد إلى بعض أتباعه بمواصلة الحصار وتوجه إلى عدن ، فلما تسلمها ولى فيها أحد ثقاته ([6]) . ثم عاد إلى حصن تعز ، وظل يتابع ضم المناطق الأخرى دون أن يترك حصار حصن تعز إلى أن تسلمه صلحا بعد ذلك سنة ٦٢٨ هـ ([7]) / ١٢٣١ م .

وواصل نور الدين حملاته لاستكمال سيطرته على البلاد اليمنية. فتوجه سنة ٦٢٧ هـ / سنة ١٢٣٠ م إلى منطقة الجبسال ، وتسلم حصن التعكر ، وحصن

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ١ ص ١٧٥ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : نفس المصدر ج ١ ص ١٧٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠٩ ب .

(٤) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٥) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٦ ، القاسمى : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ١٠٩ ب ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٣ .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٠ أ .

خدد [١] . وتابع سيره حتى دخل صنعاء فى ذى القعدة سنة ٦٢٧هـ [٢]/سبتمبر ١٢٣٠ م ، وقد فر منها عاملها نجم الدين أحمد بن أبى ذكرى ، وتحصن فى حصن براش خوفا من نور الدين [٣] ، الذى قام على الفور بتولية إبن أخيه أسد الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول على صنعاء [٤]، وعاد هو إلى حصن تعز فتسلمه - كما هو موضح بالفقرة السابقة - كما تسلم حصن حب [٥] و بيت عز [٦] وجعل فيها ولاة من أتباعه .

ولم يهدأ نور الدين ، فقد كان رجلا ذا دهاء لا يمل الحرب [٧]. فاستمر يعمل على توطيد مركزه ، ففى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م توجه إلى صنعاء مرة أخرى ،فلما وصلها فى شهر رمضان ، أمر بحصار حصن براش - حيث كان ابن أبى ذكرى والى صنعاء السابق متحصنا - مما اضطر ابن أبى ذكرى إلى

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٦ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٦ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٣ ، الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٩٤ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٧٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٠ أ .

(٣) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

(٤) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٧ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٧ ، زبارة : أئمة اليمن جـ١ ص ١٤٩ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٠ ب .

(٦) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٧ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٦ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة، يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة،زبارة : نفس المرجع والصفحة.

(٧) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٦ .

طلب الأمان ، فأمنـــه نور الدين وتسلم منـه الحصن صلحا ([1]) . ولم يتعرض له بسوء ، بل أكرمه وأجـله ، وولاه على مدينة المهجم ، وزوجه من ابنته ([2]) .

علاقة نور الدين ببنى حمزة :

لقد بدأ دور جديد من العلاقات المتسمة بالمنفعة المشتركة ، فني أثناء وجود نور الدين في صنعاء سعى سلاطين بنى حاتم فى الصلح بينـه وبين الأشراف بنى حمزة ([3]) ولهذا توجه نور الدين إلى حصن زمرمر ([4]) ، وجاءه الأشراف وعلى رأسهم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة والأمير شمس الدين أحمد بن عبدالله ابن حمزة ([5]) وغيرهم . وهناك تم عقد الصلح بينهم ([6]) ، وتحالفوا على المعاضدة ([7]) ، ونصح بنو حمزة نور الدين بخلع طاعة بنى أيوب ، وإعلان سلطنته على اليمن ، وبايعوه على المعاونة ضد من يأتيه من الأيوبيين ([8]) . وضمانا لاحترام الطرفين

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٢) الخزرجي : العسجد ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ .

(٣) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٣ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٤) ادريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١١٠ ب ، الخزرجي : نفس المصدر ص ٢٢٧ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٧ ، ابن الديبع : نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٦) الخزرجي : العسجد ص ٢٢٧ ، العقـود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٨ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٨) العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٧ .

لاتفاق الصلح رهن بنو حمزة الأمير صارم الدين داود بن عبد الله بن حمزة ، ورهن نور الدين ولده يوسف ، وتولى بنوحاتم مهمة الاحتفاظ بالرهينتين في حصن ذمرمر(١) . فلما تم عقد الصلح بين الطرفين خلع نور الدين على بنى حمزة الخلع العظيمة ، ووصلهم بمال كثير ، وأقطعهم ما كان تحت أيديهم من البلاد (٢) « وأعطى بنى حاتم فوق ما كان لهم » (٣) .

قيام دولة بنى رسول :

لما استولى نور الدين على معظم بلاد اليمن وحصونها ، عاد إلى تعز في أواخر سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م حيث خلع طاعة بنى أيوب وأعلن استقلاله بملك اليمن(٤) ، وتلقب بالملك المنصور (٥). وقد يتبادر إلى الأذهان أنه على الرغم من تمهل نور الدين في إعلان استقلاله، إلا أن دولته ترجع بدايتها إلى تاريخ علمه بوفاة الملك المسعود في جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ(٦)/مايو١٢٢٩م،حيث قام نور الدين بأمر اليمن قياما كليا (٧) منذ ذلك الوقت ، لعدم وصول أحد من

---

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٤ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١٠ ب ، الخزرجي : العسجد ص ٢٢٧ ، العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٤٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٧ ، يحيي بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ ، زبارة : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٩ .

(٣) إدريس عماد الدين : نفس المصدر والصفحة.

(٤) النويرى : نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٤٢ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٤١ ، السكبسى : اللطائف ص ٣٩ ب، العرشى : بلوغ المرام ص ٤٦ ، زبارة : نفس المرجع والصفحة .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٠٩ ب .

(٧) الفامى : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٩٤، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٥، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

أبناء البيت الأيوبى إلى اليمن لتولى أمر الحكم فيها . وقد كان من الممكن الأخذ بهذا الرأى ، لو تم إعلان قيام دولة بنى رسول فور وفاة المسعود ، ولكن تمهل نور الدين فى الاقدام على تنفيذ تلك الخطوة ، وإظهار ولائه للأيوبيين ، وتأكيد أن قيامه بحكم اليمن كان نيابة عن الملك الكامل محمد الأيوبى ، إلى أن يتمكن من إقرار الأمور فى البلاد أولا ، وتحقيق فرض سيطرته الكاملة عليها .

وعلى ذلك تكون الفترة التى أعقبت وفاة المسعود بن الكامل إلى وقت إعلان نور الدين استقلاله سنه ٦٢٨ﻫ ، هى فترة مكملة للحكم الأيوبى ، لتولى نور الدين حكم اليمن خلالها باعتباره نائبا عن الملك الكامل صاحب مصر .

ومهما يكن من شىء فقد عمل نور الدين تدريجيا على استكمال مظاهر استقلاله . فلما تم له ذلك بدأ سنة ٦٣٠ﻫ / ١٢٣٣ م بضرب السكة باسمه ، وقام الخطباء بالخطبة له فى مساجد اليمن (١) . ولكى يكتسب الصفة الشرعية ، بعث سنة ٦٣١ ﻫ / ١٢٣٤م إلى الخليفة العباسى المستنصر بالله بن الظاهر بهدية عظيمة ، ورسالة يبلغه فيها بقيامه بالسلطة فى اليمن ، وبسيطرته التامة على البلاد ، وأنه يدين بالطاعة له (٢)، ويقيم الخطبة لبنى العباس، ويطلب منه تقليدا بالسلطنة على اليمن (٣) ، فاستجاب الخليفة له ، وعاد رسول نور الدين وأبلغه بأن

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٩ ، العقود اللؤلؤيه ﺣ ١ ص ٥١ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ﺣ ٢ ص ١٧٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١ أ ، زبارة : أئمة اليمن ﺣ ١ ص ١٤٩ ، العقيلى : المخلاف السليمانى ﺣ ١ ص ٢١٤ .

(٢) النويرى : نهاية الارب ﺣ ٢٧ ص ٤٢ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١١٢ ب ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ﺣ ١ ص ٥٤ .

التقليد سيصل فى موسم الحج إلى مكة صحبة أمير الحجاج العراقى (١). ولهذا توجه نور الدين لأداء فريضة الحج ، إلا أن ركب الحاج العراقى لم يصل فى ذلك العام إلى مكة ، واضطروا للعودة إلى العراق من منتصف الطريق بعد أن فاتهم موعد الحج (٢) بسبب قيام الأعراب بردم الآبار التى على الطريق ، والانشغال بمحاولات إصلاحها مما أدى إلى تأخرهم ، فعادوا إلى بغداد دون أن يصل أحد منهم إلى مكة (٣) .

أما نور الدين فقد عاد إلى اليمن بعد تأدية فريضة الحج ، وقد وصلته الخلعة والتقليد إلى اليمن سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م بحرا عن طريق البصرة (٤) . فلما وصل رسول الخليفة بها إلى نور الدين فى مدينة الجند ، صعد المنبر وقال : « يا نور الدين، الديوان السعيد يقرئك السلام، ويقول قد تصدقنا عليك باليمن » ثم ألبسه الخلعة على المنبر (٥) .

وفى مجال اصباغ صفة الشرعية على استقلال نور الدين بحكم اليمن، يذكر الخزرجى أنه لما غادر الملك المسعود اليمن فى طريقه إلى مصر « طلب أتابكه نور الدين عمر بن على بن رسول وقال له: قد عزمت على السفر ، وقد جعلتك نائبى فى اليمن . فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتى لأنك خدمتنى ،

= القامى : العقد الثمين حـ ٣ ص ٣٩٤ــ ٣٩٥ ، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن حـ ٢ ص ١٧٦، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

(١) الخزرجى: العسجد ص ٢٢٩. Arnold : The Caliphate. p p. 85-86.

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية حـ ١ ص ٥٤ .

(٤) بامخرمة : ثغر عدن حـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الفاسى : العقد الثمين حـ٣ ص ٣٩٥، الخزرجى : العقود اللؤلؤية حـ١ ص ٥٥ .

وعرفت منك النصيحة والاجتهاد . وإن عشت فأنت على حالك ، وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ، ولو جاءك الملك الكامل ـ والدي ـ مطويا في كتاب . فإذا ألح عليك ، أعلمتني حتى اجتمع أنا وعمي الأشرف عليه ونحاربه ونشغله » (١) .

كما ذكر ابن تغري بردي رواية مشابهة ، فقال بأن الملك المسعود كان قد عهد إلى نور الدين « بالسلطنة بعد موته ، وأوصاه ألا يمكن من اليمن أحدا من بني أيوب » (٢) .

ومن الواضح أن هذا القول الذي نسب إلى الملك المسعود ليس له ما يدعمه ، ومن المرجح أنه وضع ـ بعد وفاة المسعود ـ ليعطي نور الدين الحق في الاستقلال بملك اليمن .

موقف بني حمزة من قيام دوله بني رسول :

لقد ساد جو من الهدوء والاستقرار في اليمن عقب المصالحة التي تمت بين نور الدين والأشراف من بني حمزة سنة ٦٢٨ / ١٢٣١م . ويمكن القول بأن نور الدين لم يواجه صعوبات تذكر حتى سنة ٦٣٢ هـ ١٢٣٥م . وقد استغل بنو حمزة فترة الصلح وأخذوا يستعدون ويدبرون للانقضاض على دولة نور الدين ولقد أصبح واضحا أن الأشراف بني حمزه قد أيدوا نور الدين وحرضوه على الاستقلال بملك اليمن حتى يضمنوا انقطاع الامدادات العسكرية الأيوبية ، وأن تسوء الأمور بين ابن رسول ـ باعتباره مغتصبا لملك اليمن ـ وبين الأيوبيين في مصر وبهذا تكون نتيجة ماقد يحدث

---

(١) الخزرجي : نفس المصدر والجزء ص ٤١ .

(٢) ابن تغري بردي : المنهل الصافي جـ ١ ص ٢٢٠ .

من حرب بينهما لصالح الأشراف الزيدية . لأن في ذلك إضعاف للقوى المتحكمة في اليمن ، ويستطيع بنو حمزة استغلال الموقف لصالحهم.

لذا فقد قوى أمل بنو حمزة فى القضاء على بنى رسول ، والسيطرة على اليمن ، ففى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥ م نقض الشريف يحيى بن حمزة - أخو الامام عبد الله بن حمزة - الصلح ، وأرسل بعض أتباعه إلى حصن كوكبان للاستيلاء عليه عنوة، ولكن حامية بنى رسول تصدت لهم، وحالت دون تحقيق هذه المحاولة وقضت عليها (١) . فلما علم نور الدين بذلك أرسل حملة تأديبية إلى منطقة البون، فانتصرت على الأشراف بنى حمزة(٢). واستطاع نور الدين أن يسترد البلاد التى كان قد أقر الأشراف عليها ، جزاء لهم على نقضهم الصلح(٣) .

لم تقف أطماع الأشراف من بنى حمزة عند محاولة الاستيلاء على حصن كوكبان ، ولكن تعدت ذلك وامتدت إلى مناطق أخرى. واستطاع الشريف يحيى بن حمزة أن يستولى على جبل منابر - المطل على مدينتى المهجم والمحالب - وأخذ فى تحصينه وإعداده ليكون منطلقا للاستيلاء على غيره من المدن والحصون ، وقد أخفقت محاولات نور الدين السلمية لتنحية يحيى بن حمزة عن ذلك المكان ، رغم أنه عرض اعطاءه حصنا آخر (٤) .

وأمام تحديات يحيى بن حمزة وإعلانه أنه قد صار - بسيطرته على جبل منابر - شريكا لنور الدين فى تهامة ، لم يجد نور الدين بدا من التصدى لمحاربته . فخرج من تعز سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م إلى زبيد ، ثم تقدم منها إلى

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١١٣ ب ، ١١٤ أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٤ أ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٦٠ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ١١٤ ب .

مدينة المهجم (١) في ستين ألف راجل (٢) . ولم يكد يواصل المسير تجاه قرية الدنايب حتى جاءته الأخبار بحدوث انقسام في صفوف الأشراف ، ولم يرض الأمير شمس الدين أحمد ابن الامام عبد الله بن حمزة عن نقض عمه يحيي بن حمزه للصلح (٣) . ومن ناحية أخرى ، فقد لجأ نور الدين إلى استخدام إغراء المال في شراء القبائل الموالية لابن حمزة ، مما أدى إلى تخليهم عنه ، وانفضاضهم من حوله . فاسترد نور الدين جبل منابر ، كما تسلم عددا آخر من البلدان والحصون ، مثل حجة والخلافة وما إليها (٤) . وعاد نور الدين بعد ذلك إلى زبيد (٥) ، حيث أتاه مندوبو الأشراف، معترفين بما اقترفوه ، ومعتذرين له عما حدث منهم (٦) . وتم الصلح ، واحتفظ نور الدين بالبلاد التى استردها منهم ، ولم يعترض بنو حمزة على ذلك (٧).

وهكذا يتضح أن مافعله الشريف يحيى بن حمزه بمحاولته الاستيلاء على حصن كوكبان ثم استيلاؤه على جبل منابر وتحصينه ، يوضح أن بنى حمزة لم يكونوا جادين فى صلحهم مع نور الدين ، لأنهم عمدوا إلى الاستيلاء على الحصون وخاصة تلك التى تتميز بمواقعها الهامة والتى يستطيعون أن يمدوا منها سيطرتهم على المناطق المجاوره لها . فحصن كوكبان يتحكم ويسيطر على

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٤ أ .

(٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية حـ١ ص ٦٠ ، ابن الديبع: قرة العيون ص١٢٤ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٤ ب .

(٤) الخزرجى : نفس المصدر والجزء ص٦١ ، ابن الديبع : نفس المصدر ص١٢٥.

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٤ أ .

(٦) الخزرجى: نفس المصدر والجزء ص٦١ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة.

(٧) الخزرجى العقود اللؤلؤية حـ ١ ص ٦٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص١٢٤ .

جزء كبير من منطقة الجبال الشمالية ، بل ويهدد صنعاء نفسها . وكذلك الحال بالنسبة لجبل منابر المطل على منطقة المهجم والمحالب والمتحكم فى جزء كبير وهام من منطقة تهامة .

لقد تمكن نور الدين من فرض سيطرته الداخلية تماما على اليمن وخاصة بعد أن استولى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٤٠م على جبل الكميم وبنى عليه حصنا[١]. واستولى سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م على حصون يمين ، وجب [٢] ، وعتمه [٣]، وأدخل بلاد سنحان وخولان فى طاعته سنة ٦٤٢ هـ[٤] / ١٢٤٥ م.

منافسة نور الدين للأيوبيين فى الحجاز:

كان نور الدين من الحكمة بحيث حقق السيطرة على البلاد فى الداخل ، وعمل حماية دولته من أى خطر قد يتهددها من الخارج . ولقد أدرك منذ البداية المخاطر التى تهددة من ناحية بلاد الحجاز باعتبارها المعبر البرى الوحيد والمعتاد لأية إمدادات أو جيوش تأتى إلى اليمن من مصر . ولهذا كان على نور الدين أن يستولى على الحجاز من نواب بنى أيوب هناك ، أو - على الأقل - الدخول فى مناوشات معهم فى مناطقهم حتى لا تكون المعركة فى أرضه مما يسبب له الكثير من المتاعب ويثير القوى الداخلية المعادية ضده . فإذا استطاع أن يفرض سيطرته على الحجاز - باعتباره خط الدفاع الأمامى الفعال - ضمن

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١١٨ ب ، الخزرجى : نفس المصدر والجزء ص ٩٤ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١٩ أ ، الخزرجى : نفس المصدر والجزء ص ٦٧ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٢٠ أ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١٢٠ ب .

سلامة ملكه . ولهذا تفرغ خلال الفترة الأولى من الاستقلال لإعداد الجيوش تمهيدا لتنفيذ تلك الخطة .

وكنتيجة لذلك دخل نور الدين في صراع ضد الدولة الأيوبية في مصر ، وبدأ دور جديد من المنافسة حول السيطرة على الحجاز . ولقد كان بديهيا أن يتأثر الملك الكامل نتيجة استقلال نور الدين باليمن ، وإذا كانت ظروف الدولة الأيوبية لم تسمح بتوجيه حملة للقضاء على حركة نور الدين ، والعمل على ضمان استمرار تبعية اليمن للدولة الأيوبية ، فإن تفكير نور الدين في السيطرة على الحجاز وضمه إليه ، وما يستتبع ذلك من تقوية مركزه باعتباره قد أصبح حامى حمى الحرمين الشريفين ، جعل الملك الكامل يتحرك بعد أن أحس بالمخاطر التى أصبحت تتهدد دولته ، ولهذا بدأ في إرسال الحملات إلى الحجاز لضمان استمرار تبعيته له ، وذلك بمجرد أن جاءته الأنباء باعتزام نور الدين على اجتياح الحجاز . وكانت أولى الحملات التى أرسلها الملك الكامل سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣٢ م بقيادة أحد أتباعه ويدعى شجاع الدين طغتكين إلى مكة لتدعيم حاميتها وتمكينها من الصمود أمام محاولة نور الدين (١) . فلما علم نور الدين بوصول الإمداد الأيوبى إلى مكة أرسل اليها جيشا بقيادة رجل يسمى ابن عبدان وبعث معه الشريف راجح بن قتادة (٢) ، وزودهما بأموال كثيرة (٣) .

---

(١) ابن حاتم : السمط ١١١ أ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ١٧٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١١١ ب ، الخزرجى : العسجد ص ٢٨٨ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

وكان هذا الجيش أول جيش أرسله نور الدين إلى الحجاز بعد أن أصبح سلطانا على اليمن (١) . فلما علم شجاع الدين طغتكين بأمر الحملة التى أرسلها نور الدين ، اجتمع بكبار رجالات مكة وأعيانها ، وأنفق فيهم الأموال ، واستحلفهم على الوقوف معه والإخلاص له ومناصرته ضد أطماع ابن رسول. ولكنه لم يلبث أن فوجىء بخذلانهم له وبميلهم إلى الشريف راجح بن قتادة بمجرد مراسلته لهم (٢)، واستطاعت قوات نور الدين أن تستولى فى ربيع الآخر سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م على مكة (٣) ، بعد أن اضطر طغتكين إلى الانسحاب منها - بمن كان معه من الفرسان الذين بلغوا المائتين (٤) - إلى بلدة نخلة ، ومنها توجه إلى مدينة ينبع (٥) حيث انضم إلى الحامية الأيوبية فيها (٦) ، وأرسل إلى الملك الكامل يخبره بتلك الأحداث .

لم تكد الأخبار تصل إلى الملك الكامل حتى سارع فى تجهيز فخر الدين ابن شيخ الشيوخ وسيره فى جيش كثيف (٧) وكتب معه إلى صاحب ينبع وإلى أمير المدينة - وكانا تابعين للملك الكامل - يأمرهما بالتعاون معه (٨) .

---

(١) ابن حاتم: نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الخزرجى : العسجد ص ٢٨٨ ، الفاسى : نفس المصدر والصفحة ، جـ٣ ص٣٩٥ .

(٣) المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٢٤٤ ، الفاسى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٧٤١ .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٩ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة.

(٥) المقريزى : نفس المصدر والصفحة ، الفاسى : نفس المصدر والجزء ص ٧٤٠ .

(٦) العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٧) الخزرجى : العسجد ص ٢٢٨ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٣١١ .

(٨) ابن حاتم : السمط ص ١١٢ أ .

وتوجه الجميع في عسكر لايقابل كثرة ، (١) إلى مكة. فأسرع ابن عبدان وخرج من مكة – خوفا من الحصار – وأراد ملاقاتهم وأخذهم بغتة، ولكن القتال انتهى بهزيمته (٢) وقتل في المعركة، وانتصر الأيوبيون واستعادوا مكة من جيش نور الدين(٣) في رمضان سنة سنة ٦٢٩ هـ (٤) / يونية ١٢٣١م .

لم يرض نور الدين بهزيمة قواته ولهذا أرسل جيشا كثيفا (٥) إلى الشريف راجح بن قتادة – الذى كان قد تمكن من جمع شتات ماتبقى من جيش بن عبدان – وزوده بخزانة مال عظيمة (٦) للصرف منها على العسكر . فتوجه ابن قتادة إلى مكة بما تجمع معه من الجند ، فتسلمها (٧) بدون قتال في صفر سنة ٦٣٠ هـ (٨) / نوفمبر ١٢٣٢ م بعد أن تركها فخر الدين بن شيخ الشيوخ بمن كان معه من الجند (٩) .

فلما جاءت الأخبار إلى الملك الكامل باستيلاء قوات نور الدين على مكة،

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الخزرجي : العسجد ص ٢٢٨ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٠ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، العقيلي : المخلاف السليماني جـ ١ ص ٢١٤ .

(٤) المقريزي : السلوك جـ ١ ص ٢٤٤ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ص ٤٨٠ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٤ ، بامخرمة : نفس المصدر والصفحة، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٩٥ ، المقريزي : نفس المصدر والجزء ص ٢٤٩ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٤٢ .

(٨) المقريزي : نفس المصدر والجزء ص ٢٤٤ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١١ .

(٩) الفاسي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٧٤١ .

أعد جيشا من سبعمائة فارس وأرسلهم فى شوال سنة ٦٣٠هـ/ يوليو ١٢٣٣ م تحت قيادة أحد أتباعه ويدعى علاء الدين آق سنقر الزاهدى [١] . فلما علم ابن قتادة بمجيئهم خرج من مكة وتركها ، فدخلها الزاهدى بغير قتال [٢] ، وحج بالناس [٣] . وترك فيها أميرا يسمى ابن مجلى فى خمسين من الفرسان وعاد إلى مصر [٤] .

وفى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م أعاد نور الدين الكرة ، فبعث بالمال والرجال إلى الشريف راجح بن قتادة ، وتمكن ابن قتادة من الاستيلاء على مكة من ابن مجلى [٥]

وهكذا عمل كل جانب من الجانبين المتصارعين على أن تبقى مكة تابعة لسيطرته ، وكلما أجبر جانب على الخروج منها ، لجأ إلى تدعيم قواته حتى تصبح قادرة على استرداد مكة من قوات الجانب الآخر . ولهذا أرسل الملك الكامل حملة أخرى سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م ، وكانت تلك الحملة تتكون من خمسمائة فارس [٦] . وقدم عليهم أحد مماليكه [٧] ويدعى أسد الدين

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٤٤ .

(٢) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٤٢ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٨٠ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ١٤١ .

(٤) المقريزى : نفس المصدر والجزء ص ٢٤٥ ، الفاسى : نفس المصدر والجزء ص ٢٤٠ ، العصامى : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١١٢ ب .

(٦) الفاسى : نفس المصدر والجزء ص ٣٦٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٤ .

(٧) المقريزى : نفس المصدر والجزء ص ٢٥٠ .

جفريل (٤) وجعل معه أربعة أمراء آخرين يقال لأحدهم وجه السبع والثانى البندقى والثالث ابن أبى زكريا والرابع ابن برطاس . وكان نور الدين قد علم بأمر تلك الحملة ، فأسرع بإمداد الشريف راجح بن قتادة بجيش تحت قيادة أحد أتباعه ويدعى ابن النصيرى . وأرسل معه إلى ابن قتادة يخبره بأمر الحملة الأيوبية (٢) ويطلب منه أن يبذل كل مايستطيع للحيلولة بين الحملة وبين الدخول إلى مكة للاستيلاء عليها . وعلى الرغم من أن ابن النصيرى قد وصل إلى مكة قبل مجىء الحملة المصرية ، إلا أنه لم يقو على مواجهتها ، لوصولها قبل أن يستكمل استعداداته لملاقاتها . فاضطر هو وابن قتادة إلى افساح المجال للقوات الأيوبية لتستولى على مكة بغير قتال (٣) فى رمضان سنة ٦٣٢ هـ (١) / مايو ١٢٣٥ م .

وفى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦م أرسل نور الدين أحد قواده وهو الشهاب ابن عبدان — وهو ابن ذلك القائد الذى سبق أن أرسله نور الدين إلى مكة وقتل سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م — وتوجه الشهاب فى جيش كبير ومعه كل مايلزمه من أموال (٥) إلى الشريف راجح بن قتادة . ولم تكد تلك القوات تقترب من مكة حتى خرجت القوات الأيوبية عليها وفاجأتها ، وتمكنت من هزيمتها وأسر قائدها الشهاب بن عبدان وأرسله جفريل إلى مصر (٦) .

---

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٣ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١٣ أ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١١ ب .

(٤) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٥٠ ، الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٥) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٤ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٧ أ ، الخزرجى : العسجد ص ٢٢٩ ، العقود =

لقد استمرت ولاية أسد الدين جغريل على مكة إلى سنة ٦٣٥ هـ (١) ١٢٣٨ م . وفى ذلك العام سار نور الدين بنفسه فى ألف فارس إلى مكة (٢) فلما أحس جغريل بذلك غادرها مسرعا ، ودخلها نور الدين معتمرا (٣) فى رجب ٦٣٥ هـ (٤) / فبراير ١٢٣٨ م . ثم رتب فيها حامية من مائة وخمسين فارسا (٥) تحت امرة اثنين من أتباعه هما ابن الوليدى وابن التعزى وعاد إلى اليمن (٦) .

أما أسد الدين جغريل فقد توجه إلى المدينة ، وهناك جاءه خبر وفاة الملك الكامل محمد - صاحب مصر - ولهذا عاد جغريل إلى مصر (٧) .

اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٥ ، الفاسى نفس المصدر جـ ١ ص ١٨٠ ، جـ ٢ ص ٧٤١ - ٧٤٢ ، جـ ٣ ص ٣٩٦ ، المقريزى : نفس المصدر والجزء ص ٢٥٣ ، ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة .

(١) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١١ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجى : المسجد ص ٢٣٢ ، الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ١٨٠ ، جـ ٣ ص ٣٩٦ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٦ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٨٠ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٦٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٦ .

(٤) الخزرجى : المسجد ص ٢٣٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١١ ، العقيلى : المخلاف السليمانى جـ ١ ص ٢١٥ .

(٥) ابن الديبع : نفس المصدر والصفحة ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٦ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٤٠ أ .

(٦) الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٩٦ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ١١٨ أ (كانت وفاة الملك الكامل فى ٢١ رجب ٦٣٥ هـ / ٩ مارس سنة ١٢٣٨ م) العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ١٢٥ .

لقد ظلت مكة فى حوزة ابن رسول ، ولم تتعرض حاميته فيها لأية مخاطر طيلة الفترة التى تولى فيها العادل الثانى بن الملك الكامل بعد أبيه (٦٣٥ - ٦٣٧ هـ / ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م) . وقد تولى العادل السلطنة وهو طفل [1] . فلما تولى الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م بعد أن أقصى أخاه العادل [2] ، أرسل الأمير شيحة - صاحب المدينة - فى ألف فارس إلى مكة فاستولى عليها من أصحاب نور الدين [3] .

لم يهدأ نور الدين إذ أسرع بتجهيز كل من ابن النصيرى والشريف راجح ابن قتادة فى عسكر جرار إلى مكة . وقد تمكنا من الاستيلاء عليها [4] ، لفرار الأمير شيحة عندما بلغه أمر هذا الجيش [5] .

لقد عاد الأمير شيحة إلى مصر مستنجدا بالملك الصالح ، فزوده بجيش توجه به ثانية إلى مكة سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م واستطاع أن يستولى عليها [6] ، ويحج بالناس ذلك العام [7] . ولكن نور الدين لم يلبث أن جهز الشريف راجح بن قتادة فى حملة مضادة سنة ٦٣٩ هـ . وفى الطريق إلى مكة ، أرسل الشريف راجح إلى نور الدين يبلغه بأنباء مؤداها أن الصالح أيوب قد أرسل

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ ٢ ص ١٢١ .

(٢) جمال الدين الشيال : نفس المرجع والصفحة .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ١١٨ ب .

(٥) الخزرجى : العسجد ص ٢٣٤ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٦) الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ٧٤٢ جـ ٣ ص ٣٩٦ .

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٩ أ ، الخزرجى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الديبع : قرة العيون ١٢٦ - ١٢٧ .

تعزيزات أخرى إلى مكة تقدر بمائة وخمسين فارسا (١) . فرأى نور الدين أن يتوجه بنفسه على رأس جيش إلى مكة (٢) ، فدخلها فى رمضـــان سنة ٦٣٩ هـ(٣) / ١٢٤٢ م بعد مغادرة عسكر صاحب مصر لها ، وأناب نور الدين فيها أحد ثقاته وعاد إلى اليمن (٤) .

وهكذا توالت الحملات المتبـادلة بين ابن رسول والأيوبيين من أجل السيطرة على مكة . ودارت المعارك بين قوات نور الدين من ناحية ، وقوات الملك الكامل ثم ابنه الصالح نجم الدين أيوب من ناحية أخرى . وقـد كانت معظم هذه المعارك ينقصها الحسم ، فالإمدادات الأيوبية كانت تصل من مصر ، مما يجعلها تستغرق وقتا طويلا ، كما أصبحت بلاد اليمن مركزا لإمدادات الجانب المنافس من أجل السيطرة على مكة . وكان إعداد الحملة المضـادة لأى من الجانبين على أساس تقدير الامكانات الموجودة بمكة للجانب الآخـر . فإذا أحس الجانب المسيطر على مكة بمجيء حملة مضادة تخلى عنها ، فيدخلها الجانب الآخر بدون حرب فى أغلب الأحيان . وقد يكون ذلك لحرمة مكة وتعظيم المتحاربين وهم - من المسلمين - لها .

ومهما يكن من شيء فقد قام نور الدين بعد ذلك بتدعيم سيطرته على الحجاز وعمل على منع وصول النجدات الأيوبية إليها ، وذلك عندما توصل إلى ضم قلعة ينبع إليه - باعتبارها معقلا هاما للأيوبيين فى الحجاز - وأصبح صاحبها

---

(١) الخزرجي : نفس المصدر ص ٢٣٥ ، العقود جـ ١ ص ٦٨ ، الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ١٦١ ، جـ ٣ ص ٣٩٧ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ١١٩ ب ، الفاسى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٧٤٢ .

(٣) الفاسى : نفس المصدر والجزء ص ١٦١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١٢ .

(٤) الفاسى : نفس المصدر والجزء ص ٧٤٢ .

تابعا له بعد أن اشترى نور الدين القلعة منه وأمر بتخريبها (١) حتى لاتحتمى القوات الأيوبية بها مستقبلا . وقد كانت أحوال الدولة الأيوبية في مصر قد ساءت ، لانشغال الصالح أيوب في الصراع مع أمراء البيت الأيوبي في الشام، بالإضافة إلى زيادة الخطر الخوارزمي والصليبي في ذلك الوقت . وقد ساعد هذا على تأكيد سيطرة وسيادة ابن رسول على الحجاز ، وظلت مكة في ولايته وبها نوابه (٢) حتى قتل في التاسع من ذى القعدة ٦٤٧ هـ (٣) / ١٣ فبراير ١٢٥٠ م . ولقد تتابع بنو رسول على حكم اليمن إلى أن سقطت دولتهم في جمادى الآخر سنة ٨٥٨ هـ (٤) / يونية ١٤٥٤ م بعد حكم طويل دام مائتين وإثنين وثلاثين عاما .

---

(١) ابن حاتم : السمط ص ١١٩ ب ، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٥.

(٢) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٢٩٧ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص١٧٨ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٢٦ ب ، الفاسي : نفس المصدر والجزء ص ٣٩٨ ، ابن تغرى بردى : نفس المصدر والصفحة ، المنهل الصافي جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٤) العرشي : بلوغ المرام ص ٤٨ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٨٩ ، شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٧٧ ، حسن ابراهيم حسن: اليمن البلاد السعيدة ص١٠٦ .

الخاتمـــــــة

نخلص من هذا البحث إلى نتائجه المستمدة من فصوله إجمالا ، فنجد أن الصراع المذهبي قد لعب دورا خطيرا في بلاد اليمن ، وقد ساهمت طبيعة البلاد الجبلية ، وضعف الخلافة العباسية وولاتها في اليمن في انتشار الحركات المعادية للعباسيين . وقد أمكن تحديد ثلاث مراحل رئيسية في الصراع المذهبي ببلاد اليمن قبل الفتح الأيوبي .

وكانت أولى تلك المراحل هي التي أعقبت انتشار المذهب الإسماعيلي وقيام الإمامة الزيدية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري . وكانت هاتان القوتان – الاسماعيلية والزيدية – تستهدفان إقامة دولة موالية لأهل البيت، وتطلعت كل منها إلى أن تكون هي مؤسسة تلك الدولة باعتبارها أحق من الأخرى ، وقد تطورت المنافسة بينهما إلى صراع من أجل الإمامة والحكم . مما أدى عجز تلك القوى الشيعية عن الصمود أمام القوى السنية المتداعية . وساعد هذا الصراع المتشابك بين تلك القوى إلى إضعافها جميعا ، فسقطت الدولة الاسماعيلية التي أسسها على بن الفضل وزميله منصور اليمن ، وفتر نشاط الزيدية ، واكتفى إمامهم بالبقاء – في هدوء – بصعدة .

أما المرحلة الثانية من مراحل الصراع المذهبي فتبدأ بسقوط دولة بني زياد وقيام دولة بني نجاح على أنقاضها . إذ استطاع الداعي الاسماعيلي على بن محمد الصليحي أن يؤسس الدولة الصليحية، ودخل في صراع ضد قوى السنة المتمثلة في بني نجاح . وكان طبيعيا أن ينتهي ذلك الصراع بضعف هاتين القوتين .

فسقطت الدولة الصليحية وقامت كل من دولة بنى زريع ودولة بنى حاتم على أنقاضها .

أما المرحلة الثالثة من مراحل الصراع المذهبي فى اليمن فتبدأ بسقوط الدولة الصليحية إذ تكاتفت القوتان الشيعيتان اللتان خلفتا الصلحيين وهما دولتى بنو زريع وبنو حاتم ، ووقفتا أمام مطامع ابن مهدى الخارجى - الذى كان قد أقام دولته على أنقاض دولة بنى نجاح - ولقد أدى ذلك الصراع المستمر إلى خلق جو من الفوضى ، وانعدام الاستقرار. فتجزأت البلاد إلى أقسام متناحرة ، وتقطعت أوصالها ، وفقدت وحداتها السياسية .

ومع الفتح الأيوبى لليمن كانت الدعوة الاسماعيلية قد ضعفت وقل نشاط القائمين عليها ، نتيجة لحروب ابن مهدى لها . فلما جاء الأيوبيين إلى اليمن وقضوا على دولتى بنى زريع وبنى حاتم الاسماعيليتين ، تحول أتباع الدعوة إلى السرية حفاظا عليها .

وعلى الرغم من القضاء على الدويلات السنية فى اليمن قبيل الفتح الأيوبى ، وما قام به المعز اسماعيل من الخروج على المذهب السنى وادعائه الخلافة ، فقد ظل السواد الأعظم من الشعب اليمنى محتفظا بالتبعية للمذهب السنى ، واستمر هذا المذهب سائدا معظم أرجاء البلاد طيلة حكم الدولة الأيوبية وما بعدها باعتباره المذهب الرسمى للدولة .

أما أتباع المذهب الزيدى فكانوا قد خلدوا إلى السكينة بعد وفاة إمامهم أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ ، واستمروا على ذلك الحال حتى قام بأمر الإمامة فيهم الامام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٤ هـ . وهكذا ظلوا بغير إمام أكثر من ربع قرن دون أن يصطدموا بالقوى الأيوبية . وعندما تسلم المعز اسماعيل مقاليد الحكم فى اليمن استعاد أتباع المذهب الزيدى نشاطهم واستغلوا خروج

المعز على المذهب السنى وانقسام القوى الأيوبية عليه ، وبايعوا عبدالله بن حمزة بالإمامة ، فبدأ بذلك دور جديد من الصراع العنيف بين الأيوبيين والزيدية ، وظل ذلك الصراع متصلا إلى ما بعد نهاية الدولة الأيوبية فى اليمن .

وفيما يتعلق بالأيوبيين ، فقد استطاع تورانشاه بن أيوب أن يفتح بلاد اليمن ، ويؤكد سيطرته عليها ، ويقضى على الدويلات المتصارعة فيها ، ويخلص اليمنيين من حكامهم الطغاة أمثال ابن مهدى ، ويوحد البلاد ، ويجمع شتاتها ، ويقضى على مظاهر الانقسام التى سادتها ، ويعيد سيادة المذهب السنى بالقضاء على دولتى الشيعة فيها ، هذا إلى جانب ما حققه ضم اليمن إلى الجبهة العربية الاسلامية من تأمين الحدود الجنوبية لدولة صلاح الدين ، وإحكام السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر فحقق تورنشاه بذلك أهداف الحملة .

ولقد استأثر نواب تورانشاه بالسلطة بعد وفاته وطمع عدد منهم فى الاستحواذ على ملك اليمن ، وكان صلاح الدين بعيد النظر عندما أرسل صارم الدين خطابا إلى اليمن للقضاء على نفوذ نواب تورانشاه والعمل على استعادة الاستقرار فيها . والحقيقة أنه على الرغم من بعد بلاد اليمن عن مسرح الصراع الأيوبى الصليبى فإن أهميتها ظهرت بجلاء عندما تعرض البحر الأحمر لحملة أرناط - تلك الحملة التى لو قدر لها النجاح لأدت إلى نتائج خطيرة - إذ كان يمكن للقوات الأيوبية فى اليمن التصدى لهذه الحملة لو وجدت قيادة رشيدة . ولكن عودة الصراع بين نواب تورانشاه عقب وفاة خطلبا حال دون قيام تلك القوات بدورها فى القضاء على تلك الحملة . ولهذا لم يجد صلاح الدين بدا من اختيار شخصية قوية تتمكن من استعادة الاستقرار فى اليمن ووقع اختياره على أخيه سيف الإسلام طغتكين .

وقد تمكن طغتكين من القضاء على النواب ونفوذهم ، ولم يقتصـــر على مجرد استعادة السيطرة على البلاد التى ظلت تابعة للأيوبيين ، بل تعـدى ذلك إلى فتح مناطق غيرها لم يكن قد فتحها تورانشاه من قبل .

ولقد كانت الاتصالات مستمرة بين سلاطـين الأيوبيين فى اليمن وبـين صلاح الدين ، وكانت الإمدادات متصلة إليهم . وبوفاة صلاح الدين انقطعت تلك الإمدادات ، وتوقفت الاتصالات ، وبذلك تحمل سلاطين الأيوبيـين فى اليمن ـ بعد وفاة صلاح الدين ـ عبء الاعتماد على أنفسهم . وقد ظهر ذلك جليا بعد وفاة طغتكين ، فعلى الرغم من انحراف المعز إسمـاعيل وإساءته إلى الخلافة العباسية بادعائه الخلافة وخروجه على المذهب السنى إلا أن عمـه الملك العادل لم يستطع إجباره على التخلى عن سياسته كما أنه لم يبعث إليه أية إمدادات عندما حدث الانقسام والشقاق فى صفوف جنده وتعرض الوجود الأيوبى فى اليمن فى عهده للخطر . وظلت الاتصالات متوقفة أيضا فى عهد الناصر أيوب وسليمان بن شاهنشاه ، ولكنها عادت من جديد عندما أحس الملـــك الكامل بخطورة الموقف فى اليمن وأرسل حملة بقيادة ابنه الملك المسعود إلى اليمن .

استمر حكم الأيوبيين لليمن نحوا من ستين عاما (من ٥٦٩ ـ ٦٢٨ هـ) وقد شغلوا طوال تلك الفترة بحروب تكاد تكون مستمرة ، فمنها ما كان من أجل الفتح أو استكماله ، أو من أجل العمل على إقرار الأمور سواء بالتخلص من نفوذ نواب الأيوبيين والقضاء على أطماعهم الاستقلالية ـ كما حدث بالنسبة لنواب تورانشاه ـ أو للقضـاء على الحركات الداخلية المعادية ـ كما حـدث بالنسبه لبعض القبائل أو مع بنى حاتم أو الامامة الزيدية وخاصة أيام الإمام عبـــدالله ابن حمزة وأولاده . ومن تلك الحروب ما كان ناتجا عن سوء سياسة بعض حكام

بنى أيوب وماتبع ذلك من انقسام فى صفوف الأيوبيين وانضمام الكثير من قادتهم وجندهم للعمل فى صفوف القوى المعادية - كما حدث فى عهد المعز إسماعيل - هذا إلى جانب تلك الحملات التفقدية والتقليدية التى كانت - فى كثير من الأحيان - تأخذ الصفة الدورية أو الدائمة .

وبوفاة الملك المسعود بن الكامل سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م استغل نور الدين عمر بن رسول الموقف وطمع فى الاستقلال بحكم اليمن ، وأخذ يمهد لتنفيذ ذلك ويمكن إجمال الأسباب التى أدت إلى سقوط الدولة الأيوبية في اليمن، وإرجاعها إلى سوء سياسة بعض الحكام الأيوبيين وخاصة المعز اسماعيل بن طغتكين ، الذى كان حكمه بداية لانهيار الدولة ، إذ أنه استهل حكمه بسفك الدماء وإساءة معاملة أجناده ، وقد ساعدت تلك الظروف التي خلقها المعز على قيام الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة بالإمامة سنة ٥٩٤ هـ ، بعد أن ظلت القوى الزيدية بغير إمام منذ وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنه ٥٦٦ هـ .

ولقد كان لقوة سلاطين الأيوبيين - قبل المعز - أثره فى خلود الزيدية إلى الهدوء طيلة تلك الفترة ، ولكن الانقسام الذى حدث فى صفوف الأيوبيين، وفرار المنشقين على المعز إلى الإمام ، أعطى قوة كبيرة للامام ، وشكل خطرا كبيرا على الوجود الأيوبي نفسه . كما كان لخروج المعز على المذهب السنى أثره فى كره وعداء أتباع هذا المذهب له .

ومهما يكن من شىء ، فقد راح المعز ضحية سياسته الفاشلة حيث تآمر عليه جنده وتخلصوا منه بقتله ، مما أدى إلى انتشار جو من الفوضى لم يكن من السهل أن يتخلص منها خلفه الناصر أيوب بن طغتكين لتوليه السلطنة صغيرا . ولولا

الجهود التى بذلها الأتابك سنقر لفقد الأيوبيين سيطرتهم على ما تحت أيديهم من البلاد .

وقد كان لاعتماد بعض السلاطين على الأتابكة أو النواب أثره فى نقل السلطة الفعلية إليهم ، فطمعوا فى الاستئثار بالسلطة ، وتنافسوا فى الاستحواذ على الحكم ، كما حدث بين نواب تورانشاه ، وفى عهد الناصر أيوب حيث كان الأتابك سنقر يتصرف كسلطان للبلاد كما أدت المنافسة على منصبه بعد وفاته إلى انتشار جو من المؤامرات راح ضحيته عدد من قادة الجند الأيوبى مثل وردسار الذى مات مسموما بإيعاز من الملك الناصر ، ثم وفاة الناصر متجرعا من نفس الكأس بتدبير أتابكه غازى بن جبريل ، وما تبع ذلك من تآمر الجند على غازى وقتله انتقاما لسمه الملك الناصر .

ولقد طمعت القوى المعادية للأيوبيين فى السيطرة على اليمن مما دفع الخاتون أم الملك الناصر إلى البحث عن أحد أفراد البيت الأيوبى لتولى السلطنة والعمل استتباب الأمور فى اليمن . وفشل سليمان بن تقى الدين فى مهمته ، ولم يتمكن من السيطرة على البلاد ، فزاد ذلك من خطورة الموقف مما جعل الكامل الأيوبى يسرع بإرسال حملة بقيادة ابنه المسعود إلى اليمن . وعلى الرغم من نجاح المسعود فى مهمته إلا أنه كان لاعتماده على أبناء رسول ثم وفاته بعد ذلك ، أن أخذ نور الدين عمر بن رسول فى التمهيد للاستقلال بالبلاد معتمدا على أسلوبه فى أنه يقوم بالحكم نيابة عن الأيوبيين . وقد كان لبعد المسافة بين مصر واليمن ، ووجود صراع عنيف بين ملوك الأيوبيين فى مصر والشام أثره فى عدم إرسال حملة إلى اليمن مما ساعد نور الدين على التمهيد لاستقلاله وتأسيس دولته فيها ، ثم منافسة الأيوبيين على الحجاز ونجاحه فى الاستيلاء عليه أيضا .

الملاحق

١ – الفتح الأيوبي لليمن ، دراسة وتحقيق لنص مخطوط من كتاب :

« السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » :

للمؤرخ اليمني بدر الدين محمد بن حاتم .

٢ – دراسة عن المراحل التنفيذية لمشروع تجميع التراث اليمني .

الفتح الأيوبي لليمن

دراسة وتحقيق لنص مخطوط من كتاب «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن» للمؤرخ اليمني بدر الدين محمد بن حاتم

مقدمة :

يحق للتراث الإسلامي أن يفخر بذلك العدد الضخم من المؤلفات التي لا يرقى إليها تراث أية حضارة أخرى خلال العصر الوسيط . فعلى الرغم من اندثار الكثير من ذلك التراث ، إلا أن الباحث في التاريخ الإسلامي يستطيع أن يحسن استخدام ما تبقى منه . على أنه يستثنى من ذلك بعض المناطق التي خضعت لمؤثرات خاصة أثرت في مصادرها ، مما أدى إلى صعوبة البحث في تاريخها ، والانصراف بالتالي لدراسة الموضوعات المتوفرة مصادرها .

والبحث في تاريخ المناطق التي لم تنل حظا من الدراسة ، يمثل اتجاها صحيحا في الدراسات التاريخية ، كوسيلة علمية طبيعية للتعرف على ماضي تلك المناطق ، وهو في نفس الوقت ضرورة أملتها الحاجة الملحة لإعادة كتابة تاريخها القومي على أسس علمية سليمة ، وتخليصه مما علق به من شوائب . ولن يتيسر التعرف على حقيقة ما نحن عليه اليوم ، إلا بمعرفة حوادث الأمس لنتخذ منها عظة وعبرة وخبرة لحاضرنا ، ذلك أن حوادث الحاضر وثيقة الصلة بجذورها في الماضي . فالتاريخ هو سجل الماضي بمحاسنه ومساوئه ، ومصادره هي المرآة التي تعكس صورة ذلك الماضي . وهكذا يتبين أن فقدان تلك المصادر أو عدم توفرها ، من شأنه أن يفقد الشعوب صلتها بماضيها ،

مما يستوجب البحث عن تلك المصادر ، والاهتمام بالعمل على تحقيق ونشر هذا التراث المخطوط وفقا للأصول والقواعد العلمية المعتمدة ، حتى يتيسر التوفر على دراسته والاستفادة مما يحتويه من مادة علمية. فأهمية أى بحث ترتبط بمدى أصالة تلك المصادر ، وإمكانية استخدام مادتها واستخلاص الحقائق المجردة منها .

وموضوع هذا البحث يتعلق ببلاد اليمن ، ولما كان تاريخ تلك البلاد يكتنفه الغموض بصفة عامة ، لهذا فإن البحث فيه يحتاج إلى جهد جهيد لإبراز معالمه ، وخاصة أن الاعتماد فى ذلك يرتكز أساساً على الأدب التاريخى بما تضمنه من وقائع تتطلب من الباحث جهداً فى اعتصار النصوص ، وإعمال الفكر فيها ونقدها وتحليلها ومقابلتها بالروايات المختلفة ، وردها إلى أصولها الأصيلة كلما أمكن ذلك ، بهدف تنقيتها واستخلاص الحقائق التاريخية المجردة منها أو الاقتراب قدر الاستطاعة من تلك الحقائق .

فلقد تأثر المؤرخون اليمنيون بعدة عوامل منها ، أن طبيعة بلاد اليمن الجبلية أدت إلى صعوبة الانتقال بين مناطقها المختلفة ، وقد ساعد ذلك على اكتفاء كثير من المؤرخين بذكر الحوادث المتعلقة بالمناطق التى يقيمون فيها ، لعدم تمكنهم من معرفة أخبار المناطق المجاورة الأخرى . كما كان لانتشار التشيع فى تلك البلاد أثره فى تمزيق وحدتها السياسية خلال كثير من العصور ، نتيجة للصراع المذهبي بين الشيعة (اسماعيلية أو زيدية) وبين القوى السنية الحاكمة ، فانعكس ذلك الصراع على كتابات مؤرخى اليمن خلال العصر الوسيط بصفة عامة ، نتيجة للميول الشخصية للمؤرخين ، أو لتبعيتهم لدولة أو طائفة من الطوائف ، ولهذا برز التحيز فى كثير من كتاباتهم ، وأهملوا ذكر الدويلات المعادية ، أو لجأوا إلى تصويرها بما يخالف الواقع . وفى

ناحية أخرى ، فقد عمد غيرهم إلى إخفاء مالديهم من مقتنيات تاريخية ، وتستروا عليها خشية أن تتعرض للضياع . فكان ذلك سببا فى عدم انتشار تلك المؤلفات ، كما كان سببا كذلك فى تعرض تلك المصنفات للضياع أو التلف بفعل عامل الزمن ، أو انتقال ملكيتها بالوراثة إلى من لا يعرف قيمتها، وهكذا فإن تلك الأسباب وغيرها لمما يجعل البحث فى تاريخ اليمن أمراً صعبا أو غير ميسور .

وفى محاولة للتعريف بالمصادر اليمنية التى تعرضت ـ بطريقة أو بأخرى ـ التاريخ للأيوبيين فى اليمن ، ومع أهمية كتاب « السمط » لابن حاتم ـ الذى تجتزىء منه الصفحات المتعلقة بالفتح الأيوبى لتلك البلاد ـ إلا أنه قد يكون من المناسب إرجاء التعريف به وبمؤلفه إلى ما بعد الاشارة إلى بعض المصادر الأخرى .

ففيما يتعلق بالفترة السابقة على الفتح الأيوبى لليمن يعتبر كتاب « تاريخ اليمن » لنجم الدين عمارة بن أبى الحسن على الحكمى (ت٥٦٩ هـ/١١٧٤م)(١) من أهم المصادر وأكثرها فائدة ، ذلك أنه يلقى الضوء على أحوال تلك البلاد قبيل وصول الأيوبيين إليها . وقد ألف عمارة كتابه هذا سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م استجابة لطلب القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى (٢) ، وضمنه

---

(١) Brockelmann (C.) : Geschichte der Arabischen Litteratur, T. I, p. 406, Suppl. I. p. 570.

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ، تحقيق هنرى كاى ، لندن ١٨٩٢ ص ١ ،
Kay (H.C.) : Yaman, its Early Mediaeval History, London, 1892, p. 1.

تاريخ اليمن من سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م ، أي منذ عهد الخليفة المأمون العباسي ، وختمه بذكر الدعوة الفاطمية باليمن ابتداء من الداعي على بن محمد الصليحي ، وانتهاء بمحمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي ، الذي جمع بين الدعوة والملك [١]. كما تضمن الكتاب أخباراً عن اليمن إلى سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٩م [٢].

ويعتبر عمارة من رواد مؤرخي اليمن ، فقد كتب عن مشاهدة ، ونقل أخبار الفترة السابقة عليه عمن سبقه من المؤرخين المعاصرين لها . ومن أهم تلك المصادر كتاب « المفيد في أخبار زبيد » لأبي الطامي جياش بن نجاح ، من ملوك دولة بني نجاح في تهامة (ت ٤٩٨ هـ[٣] / ١١٠٤ م) وهو من الكتب المفقودة . كما استقى عمارة كثيراً من الأخبار عن الثقات ممن عاصروا تلك الحوادث ، بحيث أصبح كتابه أساسا لمعظم المعلومات التاريخية التي أوردها غيره من المتأخرين عنه ، مثل الجندي [٤] والخزرجي [٥] وابن الديبع [٦] وبأمخرمة [٧] وغيرهم . وقد قام المستشرق الانجليزي هنري كاي (H. C. Kay) بنشر كتاب عمارة في لندن سنة ١٨٩٢ ، وألحق به فصلين ، أحدهما عبارة عن مختصر في تاريخ اليمن نقله كاي Kay عن كتاب « العبر »

---

(١) عمارة نفس المصدر ص ١٠٠ ــ ١٠٢ .

(٢) انظر ، عمارة : نفس المصدر ص ٥٨ (وهذا يعني أن عمارة أتم تأليف كتابه بعد سنة ٥٦٤ هـ ، أو في نهايتها) .

(٣) عمارة : نفس المصدر ص ١ ، ٦٨ Kay : op. cit, pp. 2,93

(٤) انظر فيما يلي ص ٣١٢ ــ ٣١٣ .

(٥) انظر فيما يلي ص ٣١٦ ــ ٣١٨ .

(٦) انظر فيما يلي ص ٣١٨ ــ ٣٢٠ .

(٧) انظر فيما يلي ص ٣٢٠ ــ ٣٢١ .

لابن خلدون ، والثانى عن أخبار القرامطة باليمن ، نقله من كتاب «السلوك» للجندى . مع ترجمة النص العربى لكتـاب عمارة والملحقين إلى الانجليزية ، بالاضافه إلى دراسات مفيدة على النصوص ، وجعل الترجمة بعنوان:

« Yaman, Its Early Mediaeval History. Landon, 1892. »

وقام الدكتور حسن سليمان محمود باعادة طبع الكتـاب سنة ١٩٥٧ مع ترجمة مقدمة كاى Kay وتعليقاته إلى العربية ، ثم قام القاضى محمد بن على الأكوع بنشر كتاب عمارة ، اعتمادا على مخطوطة أخرى بهـا بعض الزيادات تتعلق بأخبار شعراء اليمن .

ولعمارة كتـاب « النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية » ، وهو كتاب مفيد فى بابه ، ضم كثيراً من الأخبـار المتعلقة بتاريخ اليمن ومصر الفاطمية فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، وصدره بالترجمة الذاتية لنفسه . وقد قام المستشرق الفرنسى ديرنبورج « H.Derenbourg » بنشره مع مختارات من ديوان عمـارة ، وطبعه فى مدينة شالون بفرنسـا سنة ١٨٩٧ [1] .

أما عمر بن على بن سمرة الجعدى [2] ، فكان من المعـاصرين للأيوبيين فى

---

(١) يقوم المستشرق الأمريكي (Michael L. Bates) عضو الجمعية الامريكية للمسكوكات بنيويورك بترجمة الكتاب إلى الانجليزية (انظر ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١١٠) .

(٢) انظر ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحى ، ١٩٦٤ – ١٩٧١ ، جـ ١ ص ١٣٠ ، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٧ – ١٩٦١ جـ ٧ ص ٢٩٩ وما بعدها ،

Brockelmann: op. cit, T. I, p. 491 Suppl. I, pp. 590, 676.

اليمن ، وقد أتم تصنيف كتابه « طبقات فقهاء اليمن » سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م.
ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الهامة ، فقد ركز المؤلف فيه على الترجمة
لفقهاء الشافعية فى اليمن ،ومن تولى الأحكام والفقه منذ إسلام أهل اليمن
إلى عصره، وأورد فيه ما أمكنه الحصول عليه من أخبارهم، وأهم الحوادث
التاريخية إلى زمنه ، واستعان من أجل استكمال ذلك بما استخرجه من بطون
كتب التاريخ والفقه والحديث ، وما نقله عن شيوخه ومروياتهم ، حتى إذا
ما وصل إلي ذكر معاصريه ، تضمنت ترجماته لهم معلومات جديدة وهامة ،
كانت أساسا لكل من قام بالترجمة لهم من بعده . وقد قام المرحوم الأستاذ فؤاد
سيد بتحقيق الكتاب ونشره سنة ١٩٥٧ .

وقد ذيل أبو محمد الحسن بن على بن عمر الحميرى (ت ٦٦٧ هـ/١٢٦٨م)
على طبقات ابن سمرة إلى وقته . قال الخزرجي . قال الجندى: « ومن تعليقه
أخذت تاريخ جماعة من الفقهاء»[1].

ويعتبر كتاب « السلوك فى طبقات العلماء والملوك » [2] لأبى عبد الله
بهاء الدين يوسف بن يعقوب المعروف بالجندى (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م) من
أهم كتب التراجم اليمنية ، ضمنه ذكر علماء اليمن وملوكها ووزرائها ، ومن
دخلها من فقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم إلى نهاية عام

---

(١) العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة ١٩١١ ، جـ ١ ص ١٧٣ .

(٢) توجد منه نسخة بمكتبة كوبريلى برقم ١١٠٧ مصورة بدار الكتب برقم ٩٩٦ تاريخ ، هذا بالاضافة إلى عدة نسخ أخرى (انظر ، Brockelmann : T. II, 234, suppl. II ,236 ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ص ١٣٩ وما بعدها .

٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ، وصدره بنبذة من الأخبار وفضل العلماء والملوك والسيرة النبوية ، ثم اتبع ذلك بذكر العلماء والقضاة والأدباء ثم الملوك والوزراء ورتبه على الطبقات .

واستقى الجندى معلوماته عمن سبقه من الكتاب ، مثل اسحاق بن جرير الصنعانى (من مؤرخى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) فى كتابه « تاريخ صنعاء اليمن »[1] . كما نقل عن أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازى[2] (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) فى كتابه « تاريخ صنعاء اليمن » . أما الاعتماد الأكبر ، فقد كان على كتاب « طبقات فقهاء اليمن » لابن سمرة ، إذ نقل الجندى معظمه ، واتخذه نموذجا نسج على منواله ، ولم يغفل الرجوع إلى ذيل طبقات ابن سمرة لأبى محمد الحسن بن على الحميرى (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) بالاضافه إلى ما تأكد له صحته ، مما سمعه أو شاهده من الحوادث .

وعلى نهج الجندى ، سار أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل[3] (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) إذ قام بتلخيص كتاب « السلوك » وأضاف إليه من تاريخ اليافعى[4] المأخوذ عن تاريخ الذهبى[5] ، وزاد الأهدل على ذلك

---

(١) Brockelmann: op. cit., T. II, p. 234, Suppl. III, p. 1268

روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلى ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ٦٣٤ .

(٢) Brockelmann : op. cit. T. II, 406, Supool. II, p. 570

وهو كتاب فى تاريخ مدينة صنعاء وما جاورها من البلدان ، مع ذكر حوادثها ووقائعها وملوكها وولاتها ابتداء من عصر الرسول الى القرن الخامس الهجرى .

(٣) Brockelmann : op. cit., T. II p. 235, Suppl. II, p. 238.

(٤) Brockelmann: op. cit., T. II, p. 226, Suppl. II, p. 227.

(٥) انظر ، فهرس المخطوطات التاريخية بمعهد المخطوطات العربية ج٢ قسم٣ ص٢٢٣ ،

إلى عصره ، وجعل مصنفه هذا بعنوان « تحفه الزمن فى تاريخ اليمن » (١) .

وقام أبو زكريا يحيي بن أبى بكر العامرى (٢)- (ت ٨٩٣ هـ/١٤٨٨م)- بدوره باختصار كتاب الأهدل ، وأضاف إليه إلى عصره ، مع الاعتناء بتاريخ اليمن والترجمة لمشاهير أهلها ، ورتبه على السنين إبتداء من السنة الأولي للهجرة ، وجعل هذا الكتاب بعنوان « غربال الزمان فى وفيات الأعيان » . ويقول العامرى : « بعثنى على اختصاره ، حسن عبارته وزياداته على تواريخ الشاميين والحجازيين ، بادخال أهل اليمن وتأخره فى الزمن » (٣) .

أما عبدالباقى بن عبدالمجيد(٤)(ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) ، فهو من معاصرى الجندى ، وعاصر بدوره الصراع على عرش اليمن فى عهد المجاهد على بن المؤيد الرسولى(٧٢١ - ٧٦٤ هـ /١٣٢١ - ١٣٦٣ م)،وكان ابن عبد المجيد مقربا من الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب ابن عم المجاهد ومنافسه على العرش (٥) ، وأقام ابن عبد المجيد فى ضيافة الظاهر فى حصن.

---

(١) توجد منه نسخة برقم ٧٧٥ تاريخ تيمور بدارالكتب ، وأخرى برقم ٢٤٨٥ بمكتبة خدابخش بتنة بالهند ، مصورة بالميكروفيلم برقم ٣٠٨٨ بمعهد المخطوطات العربية .

(٢) Brockelmann : op. cit. Suppl. III, 225.

(٣) انظر ، فهرس المخطوطات التاريخية بمعهد المخطوطات ، ج ٢ قسم ٣ ص ٢٢٣ ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ص ١٨٥ .

(٤) Brockelmann: op. cit.; T. II p. 220, Suppl. II, p. 220.

(٥) عن الصراع بين المجاهد والظاهر ، انظر كتابنا ، بنو رسول وبنو طاهر ، وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ - ١٩٩ ، ٤٠٦ وما بعدها .

الدملوة ، وصنف له كتاب « بهجة الزمن في تاريخ اليمن » : وضمنه أخبار اليمن إبتداء من عصر الرسول ﷺ وما بعد ذلك إلى عصره ، واعتمد فيما يتعلق بالفترة السابقة عليه على « مصنفات مختصرة وفوائده فى أمهات الكتب معتبرة » وقال : « وليس معى كتاب فى هذا الفن براجع ، ولا مطول فى التاريخ يطالع ، فاستعنت بالله وجعلت سعادته وسلطانه دليلا على التذكار ، وسعد بخته قائدا يقود إلى طاعة قلمي عساكر الأخبار ، ومن هاهنا أبدأ بما من الله من الآثار » (١) .

وقد قام النويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) باختصار كتاب « بهجة الزمن » وأورد له فصلا فى الجزء الحادى والثلاثين من كتابه « نهاية الأرب فى فنون الأدب » (٢) ، ويوضح النويرى السبب فى ذلك ، بأنه كان مشغولا بالحصول على مصنفات فى تاريخ اليمن ليستعين بها فى ذكر حوادث اليمن ضمن كتابه ، فكان يسأل كل قادم من اليمن « فلا يجد من يرد ضالة هذه الشوارد » حتى جاء ابن عبد المجيد من اليمن إلى مصر ، قال النويرى : « فأوقفنى على كتاب ألفه لما عاد إلى البلاد اليمنية ، سماه بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ... فاجتمعت أخبار اليمن فى هذا المكان بحسب الإمكان ، وهي نبذة يستدل بها على أخباره ، ولمعة تهدى المتأمل إلى آثاره » (٣). وذكر النويرى

---

(١) توجد نسخة من كتاب « بهجة الزمن » بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٥٩٧٧ عربى ، انظر ، ورقه ٣ أ من تلك النسخة .

(٢) انظر مختصر بهجة الزمن فى النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط رقم ٥٤٩ معارف عامة ، مصور عن نسخة كوبريلى بالآستانة ، جـ ٣١ ص ٢١ – ٦١ .

(٣) النويرى : نفس المصدر والجزء ص ٢١ .

أنه قام باختصار كتاب ابن عبد المجيد مع الإبقاء على بعض ألفاظه الأصلية، وقد قام الأستاذ مصطفى حجازى بتحقيق مختصر النويرى ونشره سنة ١٩٦٥ بعنوان « تاريخ اليمن ، المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » .

أما أبى الحسن على بن الحسن الخزرجى [١]، (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) ، فيعتبر بحق عمدة مؤرخى اليمن ، ذلك أنه برع فى تصنيف التاريخ والتراجم، ومن مؤلفاته :

كتاب « طراز الزمن فى طبقات أعيان اليمن » [٢] ، وتعرض فى الجزء الأول منه لتاريخ الإسلام إبتداء من الرسول ﷺ إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، أما الجزء الثانى ، فهو عبارة عن تراجم للعلماء والملوك وغيرهم من رجالات اليمن ، ورتبه على حروف المعجم ، ويعترف الخزرجى بفضل الجندى ، ويذكر أنه ترسم منهجه ونسج على منواله واستفاد من علمه.

ومن كتب الخزرجى الهامة كتاب « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك [٣] » وهو عبارة عن البابين الرابع والخامس من القسم الثانى من كتابه « الكفاية والاعلام فيمن ولى اليمن وسكنها فى الاسلام » ، ويتضمن الباب الرابع ـ الذى يبدأ كتاب « العسجد » به ـ ذكر ملوك صنعاء وعدن ، وفيه عشرة فصول . أما الباب الخامس ، فهو فى أخبار زبيد وأمرائها

---

(١) Brockelmann: op. cit., T. II, p. 235, Suppl II, p. 238.

(٢) توجد منه نسخه بدار الكتب المصرية برقم ١٢٦٥٧ تاريخ ، وأخرى بنفس الدار برقم ٧٨٣ تاريخ تيمور .

(٣) توجد منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية برقم ١٢٦٥ ب .

وملوكها ووزرائها ، وفيه اثنى عشر فصلا ، وبه ينتهى الكتاب. وقد خصص الفصل الخامس من الباب الخامس لذكر أخبار الدولة الأيوبية فى اليمن .

أما كتاب « الكفاية والاعلام » (١) السابق الاشارة إليه، فهو عبارة عن قسمين تناول الخزرجى فى القسم الأول منه السيرة النبوية والخلفاء الراشدين والصحابة وخلفاء بنى أميه وبنى العباس وسائر أهل البيت . أما القسم الثانى، فهو عبارة عن خمسة أبواب ، تشتمل الثلاثة الأولى (٢) منه على ذكر ملوك مصر والشام ، وملوك افريقية والقيروان، وملوك الأندلس والمغرب الأقصى. أما البابين الرابع والخامس من هذا القسم ، فهما – كما سبق أن ذكرنا – عن تاريخ اليمن ، وقد تضمنها كتاب «العسجد» .

وللخزرجى أيضا ، كتاب « العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية» . ويتضمن أخبار ملوك اليمن من بنى رسول إلى وفاة الملك الأشرف اسماعيل ابن الأفضل الرسولى سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م . والكتاب مرتب على السنين والشهور ، ذكر فيه الحوادث العامة فى اليمن ، وختم كل سنة بذكر تراجم من توفى خلالها من الأعيان .

وقد قام السير جيمس رد هاوس (Sir James Redhouse) بنسخ الكتاب فى مجلد عن نسخة خطية قديمة مودعة فى دار كتب ديوان الهند بلندن ، ثم ترجمه إلى الانجليزية فى مجلدين ، وعلق عليه وقدم له فى مجلد آخر ، وخصص مجلدا للفهارس . وأودع كل ذلك مكتبة جامعة كمبردج ، ثم عنيت « لجنة جب

(١) توجد منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، وأخرى بمكتبة خدابخش بتنة برقم برقم ٢٨٨٣ ، وثالثة بمكتبة بانكيبور برقم ١٠٩٧ .

(٢) قارن : أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ص ١٦٣ .

التذكاريه ، بنشر الكتاب اعتمادا على هاتين النسختين ، وصدر النص العربى فى جزئين سنه ١٩١١ - ١٩١٤ بتحقيق الشيخ محمد بسيونى عسل مدرس اللغة العربيه وقتذاك بجامعة كمبردج ، كما قام المستشرق الانجليزى ادوارد براون (Edward G. Browne) وزميله باعداد الأجزاء المترجمة والتقديم لها ونشرها فى ثلاثة أجزاء سنة ١٩٠٦ بعنوان : The Pearl - Strings.
A History of the Resuliyy Dynasty of Yemen.

وقد نقل الخزرجى فيما يتعلق بالفترة السابقة عليه، عن ابن جرير الصنعانى والرازى وعمارة وابن سمرة وابن حاتم والجندى وابن عبد المجيد وغيرهم.

ومن مؤرخى اليمن ، أبى عبد الله عبد الرحمن بن الديبع[١] (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧ م) فقد عكف على دراسة عدد من العلوم ومنها التاريخ ، بل يمكن القول بأنه أوقف جزءا كبيرا من حياته للتأليف فى تاريخ اليمن ، وبفضل تلك المؤلفات نال حظوة لدى السلطان الطاهرى الظافر عامر الثانى بن عبدالوهاب(٨٩٤ - ٩٢٣هـ / ٤٨٩ ١ - ١٥١٧ م) آخر سلاطين بنى طاهر الذين ملكوا اليمن بعد بنى رسول .

ومن مصنفاته التاريخية كتاب « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد »[٢] تناول فيه ذكر أخبار مدينة زبيد منذ إنشائها سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م فى عهد

---

(١) Breckelmann: op. cit , T. II. p. 527, Suppl. II, p. 548
انظر ترجمة ابن الديبع ومؤلفاته فى كتابنا « البحر الأحمر ، والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمنى « بامخرمة » كما سجلها فى مخطوط « قلادة النحر » الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٣ - ٤٤ .
(٢) انظر ، البحر الأحمر ، ص ٣٠ - ٣٤ .

محمد بن زياد إلى نهاية القرن التاسع الهجرى ، ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب، ضمنها الاشارة إلى فضل بلاد اليمن ، وتاريخ مدينة زبيد ومن وليها من الملوك منذ بداية عهدها أيام بنى زياد وبنى نجاح من بعدهم ثم بنى مهدى والأيوبيين وبنى رسول وبنى طاهر إلى أثناء عهد السلطان الظافر عامر الثانى ابن عبد الوهاب الطاهرى ، أى إلى نهاية القرن التاسع الهجرى .

ثم قام بالتذييل عليه ابتداء من بداية القرن العاشر الهجرى إلى نهاية عهد السلطان الظافر عامر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م، وجعل هذا الذيل بعنوان « الفضل المزيد على بغية المستفيد » (١) .

كما نظم أرجوزة فى أخبار مدينة زبيد جعلها بعنوان « أحسن السلوك فى نظم من ولى زبيد من الملوك » (٢) .

ولم يقتصر ابن الديبع على التصنيف فى تاريخ مدينة زبيد فحسب ، بل صنف أيضا فى تاريخ اليمن ككل ، مثل كتاب « قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون (٣) » الذى تناول فيه تاريخ بلاد اليمن منذ بداية الإسلام إلى سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، ورتبه على ثلاثة أبواب ، وخصص الباب الأول لأخبار اليمن ومن ملك صنعاء وعدن ، وهو فى عشرة فصول . وجعل الباب الثانى فى أخبار مدينة زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها ، وهو فى ثمانية عشر فصلا ، اما الباب الثالث ، فقد اقتصر فيه على ذكر الدولة الظاهرية إلى نهاية عهد السلطان الظافر عامر الثانى .

---

(١) انظر ، البحر الأحمر ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) انظر ، البحر الأحمر ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) انظر ، البحر الأحمر ، ص ٤٠ ـ ٤٤ .

وقد أخذ ابن الديبع عمن سبقه من مؤرخي اليمن مثل عمارة وابن سمرة والجندي وابن عبد المجيد والخزرجي والأهدل وغيرهم ، ورأى أن كتاب « العسجد » للخزرجي ، هو أحسن تلك المؤلفات ، لذلك جعله قدوته وسلك منهجه ولخصه ونقل فصوله بترتيبها وأضاف إليه من مؤلفات غيره ، وزاد عليه باقي تاريخ بني رسول منذ بداية دولة الناصر بن الأشرف الرسولي سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م ، وذلك ابتداء من الفصل الثالث عشر من الباب الثاني ، وختمه بتاريخ دولة بني طاهر إلى سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م .

أما المؤرخ اليمني أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة (١) ، فهو من معاصري ابن الديبع ، وقد شارك بامخرمة في كثير من العلوم ، ومن مؤلفاته التاريخية كتاب « تاريخ ثغر عدن » (٢) وهو مصنف هام اختص به مدينة عدن ، وقسمه إلى قسمين ، جعل القسم الأول منه لما ورد في مدينة عدن من الآيات والأحاديث والآثار والأشعار وما إلى ذلك مما يتعلق بسورها ومشهور دورها ، واعتمد في معظم ما أورده في هذا القسم على كتاب « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » المعروف بكتاب « المستبصر » لابن المجاور (٣) (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) .

أما القسم الثاني ، فقد أفرده لتراجم من نشأ في عدن أو جاءها من العلماء

---

(١) انظر ترجمة بامخرمة ومؤلفاته في كتابنا « البحر الأحمر » ص ١٥ ـ ٢٢ ، ٤٥ ـ ٥٦ .

(٢) انظر « البحر الأحمر ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) Brockelmann, op. cit., T. I, p 634, Suppl. I, p. 883.

وقد قام أوسكار لوفجرين (Oscar Lofgren) بتحقيق ونشر كتاب ابن المجاور في ليدن في جزئين سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .

والصالحين والملوك والأمراء والتجار والوزراء ، ونقل التراجم السابقة على عصره عن الجندى والخزرجى والأهدل والفاسى ، وأضاف إليها إلى عصره ورتبها على حروف المعجم . وقد قام أوسكار لوفجرين (Oscar Lofgren) بتحقيق الكتاب وألحق به منتخبات من غيره ، ونشره فى ليدن سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٠ ، بعنوان « تاريخ ثغر عدن ، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندى والأهدل » وصدره بمقدمة بالألمانية فى الجزء الأول مع خاتمة ودراسة للنصوص وكشاف بالأعلام والأماكن وغيرها بالألمانية فى الجزء الثانى تحت عنوان:

(Aden Im Mittelalter, Abu Mahrama's Adengeschichte Nebst Einschlagigen Abschnitten Aus Den Werken Von Ibn Al - Mugawir, Al - Ganadi und Al - Ahdal .

ولبامخرمة أيضا كتاب « قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر » [1] وهو مصنف ضخم في التاريخ والتراجم ، ويقع فى ثلاثة أجزاء ، ترجم فيه لمن توفى من المشاهير والأعيان ابتداء من الهجرة النبوية ، مع ذكر الحوادث الشهيرة إلى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ، ورتب ذلك على طريقة الحوليات ، بحيث قسم كل قرن إلى خمس طبقات ، أى جعل كل طبقة عشرين عاما : يبدأ فى كل طبقة بذكر تراجم وفياتها من المشاهير ممن تحقق تاريخ وفياتهم وفقا للترتيب الزمنى ، ثم يعقبهم بمن يرجح وفياتهم فى تلك الطبقة دون التحقق من تاريخ وفاتهم الفعلى ، ولم يقتصر على اليمنيين بل ترجم لغيرهم من أعيان المسلمين ، وإن جاءت تراجمهم أكثر اختصارا فى كثير من الأحيان . ثم يلحق ذلك

---

(١) انظر ، البحر الأحمر ص ٢٢ ، ٤٥ ـ ٥٦ .

بذكر الحوادث على السنين إلى نهاية الطبقة مع الاشارة إلى حوادث البلدان الاسلامية الأخرى بالإضافة إلى أخبار اليمن والتزم بهذا المنهج إلى نهاية الكتاب.

وقد اعتمد بامخرمة فيما يتعلق بالتاريخ والتراجم السابقة على عصره ، بالنقل عن عمارة واليافعى (١) والجندى والخزرجى وأبى الحسن الحضرمى وغيرهم . أما بالنسبة لحوادث عصره ، فرغم أنه دوّن عن مشاهدة ، إلا أنه استعان بمؤلفات معاصر معاصره ابن الديبع .

وقبل الانتقال إلى الحديث عن ابن حاتم وكتابه ، فقد يكون من المناسب الإشارة إلى مجموعة أخرى من المصادر اليمنية ، وأعنى بذلك المصادر الزيدية، وهذه وإن ركزت أساسا على تاريخ وتراجم أئمة الزيدية وأعيان رجالات المذهب ، إلا أنها توضح وجهة نظر تلك الفئة حيال حوادث اليمن وخاصة تلك المتعلقة بموقف الزيدية وصراعاتهم ضد القوى السنية فى اليمن . ويذكر المستشرق الانجليزى هنرى كاى (Henry C. Kay) أن مؤلفات الزيدية يعترى مادتها التاريخية قصور كبير (٢) ، بالإضافة إلى ماقد يكون فيها من تحيز نجده صريحا فى كتاباتهم ، يستدل على ذلك مما ذكره المؤرخ الزيدى بدر الدين محمد بن على الصعيدى ، حيث قال فى مقدمة كتابه « والتزمت أيضا أن لا أذكر شيئا من النقائص التى تصدر فى بعض الأحيان من بعض العترة إلى بعض ، لأنى ان فعلت ذلك ، عاد على نشرى لمحاسنهم بالنقص» (٣).

---

(١) Brockelmann : op. cit,, T. II, p. 226, Suppl. II p 227

(٢) Yaman, Introduction, p. XXIII.

(٣) مآثر الأبرار فى شرح تفصيلات مجملات الأخبار ، مخطوط ملك الباحث ، ورقة ٣ ب .

ومن المصادر الزيدية المعاصرة للأيوبيين ، كتاب « الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية » لحميد بن أحمد المحلى (١) ، المعروف بحميد الشهيد (ت ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م) ، وقد ضمن كتابه هذا ذكر الامام على بن أبى طالب وذريته ، مع بيان مناقبهم وأخبارهم ، وشيء من منظومهم ومنثورهم ، وقـــدم له بفصل يتضمن طرفاً من الأحاديث فى فضل العترة النبوية ، وذكر تراجم أئمة الزيدية ، ابتداء من الإمام على ثم الحسن فالحسين ومن بعدهم إلى الثلاثين من أئمتهم ، وهو الإمام عبد الله بن حمزة الذى قام بدور كبير فى الصراع ضد الأيوبيين ، منـذ قيامه بالإمامة سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م إلى وفاته سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧م ، ولهذا الكتاب ذيل قام محمد بن على الصعدى بتصنيفه بعنوان « اللواحق الندية للحدائق الوردية » .

كما يعتبر كتاب « مآثر الأبرار فى شرح تفصيلات مجمـــلات الأخبار » لبدر الدين محمد بن على الزحيف الصعدى (٢) (من مؤرخى الزيـديه فى القرن العاشر الهجرى) من الكتب الهامة فى تاريخ الزيدية . وهو عبارة عن شرح القصيدة للبسامة لصارم الدين ابراهيم بن محمد الوزير (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) وكان قد نظمها للامام المؤيد محمد بن الناصر) ٨٦٦ - ٩٠٨ هـ / ١٤٦٢ - ١٥٠٣ م) . وتقع هذه القصيدة فى ستة وثلاثين بيتا ، فرغ من نظمها سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، فطلب الإمام من بدر الدين الصعـــدى شرحها فاستجاب له وصنف كتابه « مآثر الأبرار » وضمن شرحهـا تاريخ أئمة اليمن إلى بداية القرن العـاشر الهجرى .

---

(١) Brockelmann. op. cit., T. I, p. 397, Suppl. I, p. 560.
ويوجد من هذا المخطوط عدة نسخ (انظر ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ص ١٢٣ وما بعدها) .

(٢) Brockelmann : op. cit., Suppl. I, p. 560.

ولقصيدة صارم الدين شرح آخر حافل، قام به أحمد بن محمد بن صلاح الشرقي (١) (ت ١٠٥٥ هـ/ ١٦٤٥ م) جعله بعنوان «اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية» ضمنها أخبار آل البيت وتاريخ اليمن من خلال أخبار أئمة الزيدية إلى عصره، وجعله في ثلاثة أجزاء (٢).

ومن الكتب المفيدة في تاريخ الزيدية في اليمن، كتاب «طبقات علماء الزيدية» للسيد ابراهيم بن القاسم بن المؤيد (من علماء الزيدية في النصف الاول من القرن الثاني عشر الهجري)، وفرغ من تأليفه سنة ١١٢٤ هـ، ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أقسام، الأول في ذكر من روى عن أئمة آل البيت، والثاني فيمن بعدهم إلى رأس الخمسمائة، والثالث في أهل الخمسمائة ومن بعدهم إلى أيامه، مع ذكر جماعة من أعيان القرن الثاني عشر الهجري (٣).

وليحيى بن الحسين (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣م) عدة مصنفات في تاريخ اليمن (٤) منها كتاب «أنباء الزمن في تاريخ اليمن»، رتبه على السنين، وبدأه بذكر السيرة النبوية والخلفاء ومن جاء بعدهم من الملوك والسلاطين، وذكر

---

(١) Brockelmann: op. cit., T. II, p. 549, Suppl. II, pp. 248, 550.

(٢) توجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، يقع الجزء الأول منها في ٥٠٠ صفحة وهو برقم ١٠٧، والثاني في ٦٢٠ صفحة وهو برقم ١٠٨، والثالث في ٨٠٠ صفحة وهو برقم ١٠٩.

(٣) يوجد عدد من النسخ من هذا المخطوط، منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم ١٧٨٤٨ م مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (انظر: أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن ص ٢٦٨).

(٤) Brockelmann, op. cit., T. II, 5 0, Suppl II p. 551.

الوقائع والحوادث فى بلاد اليمن الى سنة ١٠٤٦ هـ/ ١٦٠٧ م ، وذكر أنه جمع مادته من نحو سبعة وخمسين مؤلفا، بدأ فى تأليفه سنة١٠٦٥هـ/١٦٥٥م(١).
وقد قام الدكتور محمد عبد الله ماضى بتحقيق قسم من الكتاب ، يقع ما بين سنوات ٢٨٠ - ٣٢٢ هـ ونشره فى برلين سنة ١٩٣٦ .

أما الكتاب الثانى ليحيي بن الحسين ، فهو كتاب «غايه الأمانى فى أخبار القطر اليمانى » ويعرف أيضا باسم « عقيلة الدمن والمختصر من أبناء الزمن ».
وهو كتاب عام فى تاريخ اليمن من أول الاسلام ، ينتهى بحوادث ووفيات سنة ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٦ م . وقد قام الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بتحقيقه تحت العنوان الأول ونشره فى قسمين سنة ١٩٦٨ فى القاهره .

أما كتاب « السمط (٢) الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن »، وهو الكتاب الذى نعنى بتحقيق الجزء الخاص بالفتح الأيوبى لليمن منه ، فمؤلفه هو المؤرخ اليمنى الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامى الهمدانى (٣) .

---

(١) يوجد من هذا المخطوط عدد من النسخ ، منها واحدة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٧ تاريخ ، واخرى بالجامع الكبير بصنعاء برقم ١٣٧ تاريخ (وللتعرف على مزيد من النسخ ، انظر ، أيمن فؤاد سيد : نفس المرجع ، ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٢) السمط ، هو خيط النظم مادام فيه الخرز واللؤلؤ ، فاذا لم يكن فيه أحدهما ، سمى سلكا (انظر ، القاموس المحيط ، ومحيط المحيط) .

(٣) أورد الأشرف عمر بن يوسف بن رسول سلسلة نسب مؤرخنا ، فقال : « هو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمرو بن على بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل بن على بن أبى زيد بن الغمر بن الصعب بن النضل بن عبد الله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام بن أصبا بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن خيران بن نوف بن همدان بن زيد بن مالك بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن=

ومعلوماتنا عن ابن حاتم قليلة ، فرغم أن مؤرخى اليمن المتأخرين قاموا بالنقل عنه، إلا أن مؤلفاتهم خلت من إفراد ترجمـــة خاصة به ، إذا ما استثنينا تلك الإشارات التى وردت عرضا فى تلك المؤلفات . وأيا ما كان الأمر ، فهـو من أعيان مؤرخى اليمن في النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (الثـالث عشر الميلادى) ، ولعدم معرفة تاريخ وفاته ، فقـــد اكتفت كتب الفهارس بالإشارة إلى أنه كان موجودا سنة ٦٩٤ هـ/١٢٩٤م ، إلا أنه بالبحث أمكن التوصل إلى أنه كان لايزال حياً سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م يستدل على ذلك ممـا ذكره الخزرجى من أن السلطان المؤيد داود (١) كان قد أرسله سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠١ م إلى حصن ظفار للاتفاق ـ نيابة عنه ـ مع الأشراف الزيدية(٢)، وأنه أقام على حصار هذا الحصن مع الشريف عماد الدين ادريس (٣) ، واتهـــمه

= كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام (طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب تحقيق ك . و . سترستين ، من مطبوعات المجمع العلمى العــربى بدمشق سنة ١٩٤٩ ، ص ١١٧ ـ ١١٨ وقارن اسم المؤلف على مخطـوط السمط ـ نسخـة المتحف البريطانى رقم ٢٧٥٤١ إضافات ، حيث حذف اسم أبيه وجده وجد أبيه ، وألحـق اسمه مباشرة بجد جده) .

(١) هو السلطان المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، رابع سلاطين بنى رسول فى اليمن ، تولى السلطنة بعـد أخيه الأشرف سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧م ، واستمر حكمه قرابة ربع قرن إلى سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م .

(٢) العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣٨ .

(٣) هو الشريف عماد الدين ادريس بن على بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان ابن حمزة بن على بن حمزة ، (ت سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ، وكان فارسا شجاعا مقداما وعالما أديبا شاعرا ، له عدة تصانيف فى فنون كثيرة ، ومن كتبه « كنز الأخبار فى معرفة

ابن عبد المجيد بالعمل فى الخفاء ضد السلطان الملك المؤيد داود (١) . كما أورد الخزرجى بعض المعلومات المتفرقة التى تشير إلى مكانة ابن حاتم ، وما كان يتمتع به من حظوة لدى سلاطين بنى رسول ، فقد أنابه السلطان المظفر الرسولى (٢) - ثانى سلاطين بنى رسول - سنة ٦٧٣ هـ ١٢٧٣ م للاتفاق نيابة عنه ، مع الأشراف الزيدية وعقد الصلح معهم (٣) كما كان ابن حاتم مقربا كذلك من الأمير علم الدين سنجر الشعبي - والى المظفر على صنعاء - فقد كان سنجر يدعوه لحضور مجالسه ، وقد ذكر ابن حاتم أنه كان قد حضر سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م أحد تلك المجالس فى قصر الإمارة بصنعاء ، فانهار القصر على من كان موجودا به ، ومات الجميع تحت الأنقاض فيما عدا بدر الدين محمد ابن حاتم وقاضى صنعاء عمر بن سعيد . وكان على بن حاتم - أخو مؤرخنا وسنجر الشعبي والى صنعاء من بين القتلى (٤) .

= السير والأخبار » ، وكان السلطان المؤيد الرسولي تد ولاه سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م على لحج (انظر ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٢٤ ، ٤١٠ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٣١ ص ٤٨ ، ٥٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٩١) .

(١) بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٥٩٧٧ عربى ، ٨٣ ب .

(٢) انظر فيما يلى ص ٣٤٢ و هـ ١ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٤٥٨ .

(٤) السمط ص ١٠٦ ب - ١٠٧ أ ، الجندى : السلوك ص ٢٠٦ ، ٤٦٢ ، [الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ٢٤٢ ، العسجد ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٩ ب ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٣١ ص ٤٥ ، يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ص ٤٥٨ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٨١ .

وظل بدر الدين محمد بن حاتم محتفظا بمكانته لدى سلاطين بنى رسول حتى عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف ، فقد أنابه المؤيد فى محاربة الخارجين عليه ، كما تولى ابن حاتم مع الأمير عماد الدين ادريس مهمة حصار بعض الحصون نيابة عن ذلك السلطان (١) .

وليس ذلك بغريب على بدر الدين محمد بن حاتم ، فهو من سلالة بنى حاتم الهمدانيين ملوك صنعاء ، ويلتقى الهمدانيون والصليحيون من حيث سلسلة النسب ابتداء من جشم الأوسط (٢) . وكانت بداية دوله بنى حاتم فى صنعاء سنة ٥٢٣ هـ / ١٠٣٨م ، ويعتبر حاتم بن أحمد (٣) المؤسس الحقيقى لدولتهم ، وكان عمران بن الفضل - جد حاتم هذا - حاكما على صنعاء نيابة عن الملك المكرم ابن على الصليحى ، ولاه عليها عندما نقل عاصمة الدولة الصليحية (٤) من صنعاء إلى ذى جبلة - من مخلاف جعفر - فلما توفى عمران بن الفضل سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م خلفه سبأ بن أحمد المظفر الصليحى ، فلما مات سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م استطاع حاتم بن الغشم المغلسى الهمدانى الاستيلاء على صنعاء بمعاونة قبائل همدان (٥) . والى حاتم هذا ينسب المؤرخون دولة بنى حاتم خطأ .

---

(١) انظر ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٢٨ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٣١ ص ٥٠ .

(٢) الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ص ١١٨ .

(٣) هو حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى .

(٤) عن الدولة الصليحية ، انظر ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ، حسن سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن وعلاقاتهم بمصر ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة .

(٥) الجراى : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٧١ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ١٦١ ، ٢٣٩ .

وأيا ما كان الأمر فإنه باستيلاء حاتم بن الغشم على صنعاء ، خرجت تلك المدينة عن دولة الصليحيين . ومع ذلك لم تتحرك الملكة الصليحية السيدة الحرة أروى بنت أحمد لاستردادها ، وقبلت بالأمر الواقع ، وأصبحت صنعاء ولاية مستقلة تحت حكم حاتم بن الغشم (١) فلما توفي سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م خلفه ولداه عبد الله ثم معن ، والأخير هو الذى خلعته قبائل همدان سنه ٥١٠ هـ / ١١١٦ م (٢) ، وجاءوا برجل من بنى القبيب الهمدانيين من بعده .

فلما كانت سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م أجمعت قبائل همدان على اختيار حاتم ابن احمد بن عمران بن الفضل اليامى ، و حملته على القيام بالأمر ، ونصبته سلطانا على صنعاء وأعمالها ، فدخلا فى سبعمائة فارس وملكها (٣) وأسس فيها دولته التى نسبت إليه . فلما توفى حاتم بن أحمد سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م خلفه ابنه على بن حاتم (٤) ـ جد والد مؤرخنا بدر الدين محمد بن حاتم ـ فبذل هذا السلطان جهودا ضخمة فى سبيل المحافظة على دولته ، ولذلك دخل فى صراع ضد القوى الزيدية بزعامة الإمام أحمد بن سليمان (٥) . كما تزعم السلطان على ابن حاتم حركة المقاومة ضد أطماع بنى مهدى (٦) فى زبيد . وقد ظل هذا

---

(١) الخزرجى : العسجد ص ٩١ ، Kay : op. cit, p. 230

(٢) الخزرجى : نفس المصدر والصفحة .

(٣) العرشى : بلوغ المرام ص ٢٩ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٦٦ .

(٤) الكبسى : اللطائف السنية ـ مخطوط ـ ص ٢٦ أ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ٢٣٩ .

(٥) عن الصراع بين على بن حاتم والامام احمد بن سليمان ، انظر ، الأيوبيون فى اليمن ص ٥٧ - ٥٩) .

(٦) عن دولة بنى مهدى ، انظر ، الأيوبيون فى اليمن ص ٤٩ ـ ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ - ٦٦ .

الصراع حتى كان الفتح الأيوبي لليمن ، والقضاء على القوى المتصارعة فيها واستيلاء تورانشاه بن أيوب على بلاد بنى حاتم [1] سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م ، ولكن بنى حاتم استطاعوا أن يستردوا سيطرتهم على صنعاء بعد عودة تورانشاه من اليمن سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٦م ، وقد ظل بنو حاتم إلى أن استولى طغتكين ابن أيوب على بلادهم سنة ٥٨٥هـ/١١٩٠م واتفق معهم على عدم الاحتفاظ بأية بلاد أو حصون مقابل جامكية شهرية لهم .

هذا فيما يتعلق بما لدينا من معلومات عن مؤرخنا بدر الدين محمد بن حاتم وأسلافه من بنى حاتم ملوك صنعاء ، أما عن كتابه « السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن » فيعتبر من أهم مصادر تاريخ اليمن ، وهو من أقدم المؤلفات التاريخية التى تناولت تاريخ الأيوبيين وبنى رسول فى تلك البلاد ، فقد تناول المؤلف فيه تاريخ هاتين الدولتين ابتداء من فتح تورانشاه ابن أيوب لليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤ م ، واستطرد فى ذكر حوادث اليمن فى عهد سلاطين الدولة الأيوبية فيها إلى سقوط دولتهم ، ثم انتقل إلى أخبار بنى رسول منذ بداية دولتهم إلى أيام السلطان المنصور عمر بن على بن رسول وذكر سلطنة ولده المظفر يوسف حتى عهد الأشرف عمر بن يوسف بن عمر سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م . وذكر ابن حاتم مع كل واحد من سلاطين الأيوبيين أو بنى رسول سيرته وأعماله والحوادث التى وقعت فى عصره، فيما عدا السلطان الأشرف،حيث اكتفى بذكر تقليده السلطنة فى عهد أبيه ولم يستكمل الترجمة له أو ذكر حوادث اليمن التى وقعت فى عصره .

---

(١) عن سقوط دولة بنى حاتم على يد تورانشاه ، انظر : الأيوبيون فى اليمن ص ٨٩ وما بعدها .

واستقى ابن حاتم معلوماته عن الثقات ، وأورد فى كتابه ما أمكنه الحصول عليه من أخبار « الغز » في اليمن معتمدا على ما أمده به الرواه « باختلاف واتفاق واجتماع فى طرق الأخبار وافتراق » . وكثيرا ما كان يناقش الروايات المتعارضة ، ويرجح إحداها على الأخرى أو يوفق بينهما ، وكان فى بعض الأحيان يمسك عن الترجيح أو التوفيق بين الروايات تاركا الأمر للقارىء . أما الروايات التى يثق فى صحتها ، فكان يأتى بها بعد أن يسبقها بقوله « أخبرنى من أثق به » أو « حدثنى من أثق به » أو « كنت ممن حضر يومئذ » ، وهذه الأخيرة إشارة إلى أنه كان شاهد عيان لتلك الوقائع .

وعن ابن حاتم نقل كثير من المؤرخين كالجندى وابن عبد المجيد والخزرجى وابن الديبع وبامخرمة وغيرهم . ويذكر الخزرجى وغيره تفصيلات نقلا عن ابن حاتم تتعلق بالفترة السابقة على الفتح الأيوبى لليمن ، كما ينقل فقرات أخرى تتعلق بالفترة الأيوبية وما بعدها ولكنه ينسبها إلى كتاب « العقد الثمين » لابن حاتم . ويذهب المستشرق الانجليزى هنرى كاى (H C. Kay) إلى القول بأن كتاب « السمط هو نفسه كتاب « العقد » وإن اختلفت عناوين النسخ . ورغم اطلاع كاى (Kay) على نسخة المتحف البريطانى من كتاب « السمط » ، وبالرغم من أن تلك النسخة تبدأ بالفتح الأيوبى لليمن ، شأنها فى ذلك شأن نسخة دار الكتب المصرية ، ولا يوجد بها تفصيلات تتعلق بفترة ما قبل الفتح الأيوبى [1] ، إلا أن كاى (Kay) اعتمد فى إصدار حكمه على ما أسفرت عنه المقارنة باتفاق الفقرات المتعلقة بأحداث الفتح الأيوبى وما بعده ، التى نقلها الخزرجى عن كتاب « العقد » مع ما ورد فى كتاب « السمط » . وعلل كاى (Kay) عدم وجود الأحداث

الخاصة بفترة ما قبل الفتح في نسخة المتحف البريطاني من كتاب « السمط » إلى أن تلك النسخة نقلت عن أصل مختلف[٢] أي عن نسخة ناقصة في بدايتها.

وقد غاب عن كاى (Kay) أن خطة كتاب «السمط» واضحة وتؤكد ـ حسب مقدمتها ـ أن ابن حاتم قد بدأ هذا الكتاب بالفتح الأيوبي لليمن دون التعرض للفترة السابقة عليه ، وأنه قد خص به ـ طبقا لعنوانه ـ تاريخ « الغز » أي الأيوبيين ومن بعدهم من بني رسول . كما ذكر في مقدمة الكتاب سبب تأليفه له ، وقال : « ولم يكن أحد قد صرف همته إلى أخبار الغز باليمن وتخليدها في كتاب يتداول إلى آخر الزمن ، أحببت أن أكون السابق إلى ذلك .

وهكذا يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن كتاب « السمط » لم يتضمن تفصيلات عن الفترة السابقة على الفتح الأيوبي لليمن ، وأن اتفاق الفقرات التي قارنها كاى (Kay) ليست دليلا كافيا على أن المسميين لكتاب واحد ، ولهذا فإننا نرجح أن يكون لابن حاتم مؤلفان ، أحدهما كتاب « السمط » وقد بدأه بالفتح الأيوبي ، وقصره على أخبار « الغز » باليمن ، والثاني كتاب « العقد الثمين » وقد ضمنه أحداث اليمن قبل الفتح الأيوبي وبعده ، وربما قصد به ذكر أخبار ملوك صنعاء من بني حاتم ـ وهم أجداده ـ وما كان من صراعهم مع بني مهدي أصحاب زبيد . وإذا كان كثير من مؤرخي العصر الوسيط ينقلون بالنص عن غيرهم ، فلا غبار على ابن حاتم إذا ما كرر ذكر أحداث في كتاب ، سبق أن ذكرها في كتاب له آخر .

أما عن النسخ المخطوطة والمعروفة من كتاب السمط فهي كالآتي :ـ

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤١١ تاريخ ، وعنوانها « السمط

الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن » ، وتتألف من ١٥٤ ورقة ، وقد أتم الناسخ كتابتها يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٠٧٥ هـ ، وحروفها غير منقوطة فى معظمها ، وتوجد منها نسخة مصورة عنها بدار الكتب برقم ٩٠٨١ ح ، وأخرى بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦١٣٣ وثالثة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٧٢٦ ، تاريخ ، وهذه جميعا بمثابة نسخة واحدة لأنها مصورة عن أصل واحد .

٢ — نسخة المتحف البريطانى رقم ٢٧٥٤١ إضافات ، وعنوانها « كتاب السمط الغالى الثمن فى أخبار ملوك اليمن والعنوان مختصر فى آخره ، فى حين أنه ورد كاملا فى مقدمة المؤلف بمتن النسخة ، عند ذكره لأسباب التأليف ، بما يتفق مع عنوان نسخة دار الكتب المصرية ، كما يلاحظ أيضا اختصار اسم المؤلف فى نسخة المتحف البريطانى ، حيث ورد بصفحة العنوان أن اسمه « الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى » فى حين أن اسمه الكامل هو « الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمرو بن على بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل ... الخ »[١] .

وهذه النسخة تقع فى ١١٤ ورقة ، قام بنسخها الهادى بن أحمد بن على ابن محمد الجندى ، الذى ذكر أنه انتهى من نسخها « عشية الأحد سادع عشر يوما خلت من شهر القعدة سنة اثنين وستين وألف سنة ، وجعلها برسم القاضى شرف الدين الحسن بن أحمد الحيمى (٢) ، والحيمى هذا هو صاحب الرحلة

---

(١) انظر ، ما سبق ص ٣٢٥ هـ ٣ .

(٢) كان الحيمى حاكما ببلاد كوكبان ، وقام برحلته الى الحبشة نحو عام ١٠٥٧ ، وكانت وفاته سنة ١٠٧٠ وقيل ١٠٧١ (انظر : الشوكانى : البدر الطالع ص ١٨٩ - ١٩١ ج ١).

المعروفة باسمه والتي قام بها إلى الحبشه حول عام ١٠٥٧ هـ ، وقد قام الحيمى بمقابلة هذه النسخة على الأصل المنقولة عنه ،وانتهى من ذلك ـ كما هو ثابت بخطه فى نهاية تلك النسخة « ليلة السبت المبارك خامس وعشرين شهر العقدة الحرام عام ثلاث وستين وألف سنة ، على يدى مالكه الفقير إلى عفوالله ومغفرته حسن بن أحمد بن صالح الحيمى » (١). ومما يذكر أن هذه النسخة مكتوبة بخط واضح منقوط ، وهي مشكلة فى معظمها .

أما عن النص موضوع هذا التحقيق فهو عبارة عن الصفحات الأولى من كتاب السمط ، ويشغل ـ فى نسخة دار الكتب ـ الصفحات من ١ ب إلى ٦ ب ، وفى نسخة المتحف البريطانى من ص ١ ب إلى ٣ أ . ويتضمن هـذا النص مقدمة المؤلف ، وأسباب تأليف الكتاب ، وتسميته وبيان تقسيماته ، ثم أحداث الفتح الأيوبى لليمن على يد تورانشاه بن أيوب . ووجه الاهتمام بهذا النص،إنما يرجع إلى أنه من أقدم النصوص اليمنية المتكاملة عن الوجود الأيوبى فى بلاد اليمن ، وإذا كان قد تم إنجاز دراسة موضوع الأيوبيين فى اليمن ، باعتباره دراسة جديدة وهامة فى تاريخ اليمن من ناحية ، وفى الدراسات الأيوبية من ناحية أخرى ، فإنه فى نفس الوقت يعبر عن فترة من فترات الكفاح من أجل توحيـد الجبهة العربية الإسلامية ، لمواجهة الخطر الصليبي وتخليص المنطقة العربية من براثنه .

= وانظر ترجمته فى ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ـ مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٤٧ ـ ص ١٧٣ ، المحبى: خلاصة الأثر جـ ٢ ص ١٦ ـ ١٧ ، مقدمة الدكتور مراد كامل لكتاب « سيرة الحبشة » والتي أصدر منها طبعتين) .

(١) انظر خاتمة نسخة « السمط » بالمتحف البريطانى رقم ٢٧٥٤١ إضافات .

فقد ركزت المصادر المعاصرة للأيوبيين على ذكر الأحـــداث المتعلقة بالصراع الاسلامى الصليبي ، واكتفت فيما يتعلق بأمر اليمن بذكر الحملات دون الاشارة إلى أخبارها بعد مغادرة قواعدها في مصر . وهكذا لم تحظ أخبار اليمن - فى العصر الأيوبى - من كتابات هؤلاء المؤرخين إلا بالنزر اليســير ، وذلك لبعد تلك البلاد عن مسرح الأحداث فى مصــر والشام وتكفى الاشارة إلى أن مؤرخا معاصراً كابن شداد لم يذكر فى كتابه عن سيرة صلاح الدين سوى إشارة سريعة وغير دقيقة عن أسباب حملة تورانشاه لليمن ، لا تتعدى أسطرها عدد أصابع اليد الواحدة (١) . أما المصادر اليمنيـة فقــد استكملت الوقائع المتعلقة بالوجود الأيوبى فى بلاد اليمن . والنص الذى نقدمه ، وإن كان قد تم الاستفادة مما ورد فيه ، إلا أنه من المفيد تقديم هذا النص محققا باعتباره أصلا ونموذجا من كتابات مؤرخى اليمن . وسيتم اعتماد نسخة دار الكتب كأصل للتحقيق مـــع الاشارة إليها برمز (أ) أما نسخة المتحف البريطانى فسيكون رمزها (ب).

وهكذا ، وبعد هــذه المقــدمة عن تاريخ اليمن ومصادره ، ومخطوطة « السمط » ومؤلفها ، نبدأ فيما يلى بتقديم النص المتعلق بالفتح الأيوبى لليمن من كتاب « السمط » لابن حاتم.

---

(١) انظر ، ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : تحقيق الشيال سنة ١٩٦٤ ، ص ٤٦ .

[النص]

[ورقة ١ ، ب ، من نسختى أ ، ب]

بسم الله الرحمن الرحيم -[١] وبه نستعين [١]- .

الحمد لله الذى بصر الآخرين بهداية الأولين، وصير سيرهم لهم إرشاداً إلى صلاح أمر الدنيا والدين ، فمن استرشد بهم لم يعده الرشد ، ومن عدل عن سبيلهم عمى[٢] عليه القصد (٣) ، وصلواته على سيدنا محمد آخر الرسل بعثا (٤)، وأولهم فضلا وفخرا، وأعلاهم عنده منزلة وقدراً، الذى أنزل عليه «كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق ، وقد آتيناك من لدنا ذكراً » (٥) ، وعلى آله وأصحابه ما راقب عاشق هجراً . وعاقب ليل فجراً .

وبعد، فلما كانت الأخبار والسير مما تتطلع النفوس النفيسة إليها، وتشتاق أن تقف عليها ، لا (٦)سيما أخبار الملوك ، فإنهـا أشرف الأخبار ، وعليها يقع اختيار الأخيار ، ولم يكن أحد صرف همتـــه إلى أخبار الغز (٧) باليمن ،

---

(١) غير واردة فى نسخة أ ، والاضافة من نسخة ب .

(٢) فى أ « عمى » .

(٣ فى أ « الفضل » .

(٤) فى ب « مبعثا » .

(٥) سورة طه ، آية ٩٩ .

(٦) غير واردة فى أ ، ولاضافة من ب .

(٧) الغز او الأغز ، جنس من الترك ، كان منهم ملوك السلاجقة (القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص ٢٨ ، سعد زغلول عبد الحميد: الترك والجماعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، المجلد العاشر ،

وتخليدها في كتاب يتداول إلى آخر الزمن ، أحببت أن أكون السابق إلى ذلك ، وأسلك في سياقة أخبارهم أحسن المسالك ، على ما وقع لي من أخبار الرواة باختلاف واتفاق ، واجتماع في طرق الأخبار [ورقة ٢ أ ، نسخة أ] وافتراق . فاتفق لي هذا (١) الكتاب بعد بذل الطاقة والجهد [معا] (٢) . والاستعانة بالله على بلوغ القصد . وسميته :

« السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » .

وهذا ابتداء (٣) القول في ذلك والشروع . ونعوذ بالله من السقوط فيما نورده (٤) . بالتورط في الغلط والوقوع ، وأول ما نبدأ بذكر عددهم (٥) تقريبا لمن طلب معرفة ذلك .

أعلم أن جملة من ملك اليمن من الغز إلى وقتنا هذا عشرة :

الملك المعظم توران بن أيوب (٦) ،

= ديسمبر ١٩٥٦ ، ص ١٦) ، ويذكر دوزى أن كلمة الغز أطلقت أيضا على الأكراد (Dozy ; Supp. aux Dict. Arabes) وقد أطلق المؤرخون اليمنيون كلمة الغز على الأيوبيين وبني رسول في اليمن .

(١) في أ « هذى » .

(٢) زادها الناسخ وحشرها بين الأسطر في نسخة ب .

(٣) في أ « ابتدا » ، وفي ب « ابتدأ » .

(٤) في ب « يورده » .

(٥) يقصد عدد من ملك من الأيوبيين وبني رسول الى عصره .

(٦) هو السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، الملقب فخر الدين . فتح بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، وقضى على الدولات المتصارعة فيها . فلما استتبت له الامور في بلاد اليمن ، وأصبحت تلك البلاد جزءا من الدولة الايوبية ، شعر بالملل وعاد =

والملك العزيز — أخوه — سيف الاسلام طغتكين بن أيوب (١)،

والملك المعز — ولده — اسماعيل (٢)،

= الى صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م للوقوف الى جانبه ، والمساهمة معه فى الجهاد ضد الصليبيين ، وقد ظل نوابه فى اليمن محافظين على ولائهم له. فلما توفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، ولم يأتهم أحد من قبل صلاح الدين، أظهر كل منهم الخروج عن الطاعة، واختلفوا ونشب الصراع بينهم ، واستقلوا بمواضعهم وتغلب كل منهم على ماتحت يده ، وادعى الملك لنفسه ، فلما استفحل امرهم أرسل صلاح الدين حملة للقضاء على الفتنة التي نشبت بين النواب، واقرار الأوضاع فى تلك البلاد ، وجعل على رأسها والى القاهرة صارم الدين خطلبا . (انظر الفصلين الثانى والثالث من كتابنا « الايوبيون فى اليمن » ص ٦٩ـ ١١٥)

(١) هو السلطان الملك العزيز سيف الاسلام ظهير الدين أبو الفوارس طغتكين بن أيوب. كان قد جهزه أخوه صلاح الدين على رأس حملة الى بلاد اليمن لاقرار الأوضاع فيها (انظر الهامش السابق) وعلى الرغم من بعد تلك البلاد عن مسرح الاحداث في مصر والشام، الا أن أهميتها ظهرت بجلاء عندما تعرض البحر الأحمر لحملة أرناط سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م ، تلك الحملة التي استهدفت انتهاك حرمة المقدسات الاسلامية فى الحجاز، ولولا أن صلاح الدين قد وفق فى إحباطها لأدت الى نتائج خطيرة . فقد كان من المفروض أن تتصدى القوات الأيوبية فى اليمن لذلك الاعتداء ، لو وجدت قيادة رشيدة ، ولكن عودة الصراع بين نواب توران شاة بعد وفاة خطلبا ، حال دون قيام تلك القوات بدورها فى القضاء على تلك الحملة ، مما دفع صلاح الدين الى ارسال أخيه طغتكين الى اليمن ليتولى أمر السلطنة فيها ، ويعمل على اقرار الأوضاع والقضاء على الفتنة القائمة هناك ، وهو ماتمكن من القيام به ، بحيث كان حكمه الذى استمر من سنة ٥٧٩ـ٥٩٣هـ/ ١١٨٣ـ١١٩٧م ، من اكثر فترات الحكم الأيوبى استتبابا للأمن، واستقرارا للأوضاع فى تلك البلاد (انظر ، الفصل الرابع من كتابنا « الأيوبيون فى اليمن » ص ١١٧ ـ ١٤٧)

(٢) هو السلطان الملك المعز اسماعيل بن طغتكين ، تولى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه طغتكين ، وتعتبر فترة حكمه (٥٩٣ ـ٥٩٨هـ/١١٩٧ـ١٢٠٢م) من أسوأ فترات الحكم =

وسيف الدين الأتابك سنقر (١) ، بحكم الأتابكية لولد سيده الملك الناصر أيوب بن طغتكين ،

ثم للملك الناصر أيوب (٢) ، بعده ،

= الأيوبيين في اليمن . فقد كان فاسد العقيدة ، ترك مذهب أهل السنة وتحول الى المذهب الاسماعيلي ثم ادعى النبوة ، ومنها تحول الى ادعاء الخلافة وانتسب الى بني أمية . وكان سيء السيرة مع أجناده وأمرائه ، شحيحا عليهم جوادا على غيرهم من أهل اللهو . كما كان سفاكا للدماء ، فخاف عسكره وكبار قادة جيشه ، فخرج معظمهم عن طاعته بمن كان تحت امرتهم من الجند ، وشكلوا جبهة معادية له ، زاد من خطرها استغلال الامام الزيدي عبد الله بن حمزة لها ، اذ استطاع الامام استمالة هؤلاء المنشقين ، وأحرز بواسطتهم انتصارات متكررة على المعز ، وانتهى الأمر بقتله على يد جنده سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م . (انظر نفس المرجع السابق ، الفصل الخامس ص ١٤٩ ـ ١٨٢) .

(١) هو الامير الكبير سنقر بن عبدالله الأتابك ، الملقب سيف الدين ـ أحد مماليك السلطان طغتكين ـ وقيل له الأتابك ، لأنه هو الذي ربي الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، وهذه الكلمة إنما تطلق على من يربي أولاد الملوك خاصة . وكان سنقر رجلا شهما شجاعا مقداما ، حسن السياسة كامل الرئاسة . اراد المعز اسمعيل قتله ، فهرب منه ، ودارت بينهما حروب كثيرة فلما قتل المعز ، وتولى أمر السلطنة بعده أخوه الناصر وكان في مرحلة الطفولة ، عاد سنقر الى خدمته لمنزلته عنده ، وتولى القيام بأمر دولته ، وقام سنقر بدور كبير لاقرار الأوضاع في اليمن الى ان توفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م . (انظر ، نفس المرجع السابق ص ١٨٦ ـ ٢٢١) .

(٢) هو السلطان الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، تولى عرش السلطنة في اليمن سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م بعد مقتل أخيه المعز اسماعيل ، وكما سبق أن ذكرنا ـ الهامش السابق ـ فان سيف الدين سنقر الأتابك بأمر السلطنة نيابة عنه . فلما توفى سنقر ، تأزمت الأمور في بلاد اليمن نتيجة الخلاف بين قادة الناصر وانتهى الأمر بوفاة الناصر سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ، وقيل انه مات مسموما بتدبير وزيره غازي بن جبريل . (انظر ، نفس المرجع السابق ، الفصل السادس ص ١٨٣ ـ ٢٢٧) .

ثم الملك المعظم سليمان بن تقى الدين (١) ،

ثم الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل (٢) ..

---

(١) هو السلطان الملك المعظم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب . أقيم سلطانا على اليمن سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م . وترجع ظروف توليته الى ماكان من سوء أحوال الأيوبيين بعد وفاة الناصر أيوب ، ولما كانت الأحوال في مصر لاتسمح بإرسال احد أفراد البيت الأيوبي الى اليمن ، بسبب الانشغال في الاستعداد لصد عدوان صليبي مرتقب ، لذلك سعت أم الملك الناصر من أجل الحفاظ على الوجود الأيوبي فى اليمن ، لاستحضار أحد ابناء الأسرة الأيوبية ، وأرسلت بعض غلمانها الى مكة فى موسم الحج ، لاستطلاع أخبار مصر . فلما صادفوا سليمان وتحققوا نسبه الى بيت أيوب استصحبوه معهم الي اليمن ، فخلعت أم الملك الناصر عليه وملكته البلاد . ولكن قام بأمر الملك قياما ضعيفا ؛ وانتهج سياسة سيئة ، وملأ البلاد ظلما وجورا ، وغفل عن امور دولته ، وانغمس فى ملذاته وشهواته ، واشتغل باللهو واللعب حتى تصدع الوجود الأيوبي فى اليمن وضربت الفوضى أطنابها ، وفقد سليمان سيطرته تماما على البلاد ، ولم يعد قادرا على شيء . وقد استغل الامام الزيدى عبد الله بن حمزة ذلك الانهيار وقوى امره ، واستولى على كثير من البلاد والحصون من بينها صنعاء وذمار وغيرها . (انظر ، نفس المرجع السابق ، الفصل السابع ، ص ٢٢٩ ـ ٢٤١) .

(٢) هو الملك المسعود صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن الملك الكامل بن الملك العادل ابو بكر بن أيوب ، الملقب باتسيس (عن هذا اللقب ، انظر ، العينى : عقد الجمان ـ مخطوط ـ ج٢٥ ص ٣٤٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢١١ و هـ ٣) جهزه أبوه على رأس حملة الى اليمن لاقرار الأمور والقضاء على القوى المعادية للأيوبيين فيها ، والعمل على ضمان استمرار الوجود الأيوبى فى تلك البلاد . فغادر الديار المصرية فى رمضان من سنة ٦١٢ هـ / يناير ١٢١٥ م ، وكان وصوله الى زبيد فى شهر المحرم سنة ٦١٢ هـ / مايو ١٢١٥ م ، واستولى على البلاد وقبض على سليمان وارسله معتقلا الى مصر ، فظل بالقاهرة الى أن سقط شهيدا فى موقعة المنصورة سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م . أما المسعود : فقد احتفظ بأمر السلطنة ببلاد اليمن الى أن توفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م : فكان آخر سلاطين بنى أيوب ببلاد اليمن . (انظر ، نفس المرجع السابق ، الفصل الثامن ، ص ٢٤٣ ـ ٢٧٣) .

هؤلاء سبعة ، ستة منهم من بنى أيوب ، والسابع مملوكهم (١) .

ثم جاءت الدولة السعيدة الرسولية (٢)، خلد الله ملكها (٣) [و] (٤) أيامها مخلود النيرات [ورقة ٢ ب ، نسخة أ].

فالك بعد الملك المسعود مولانا الملك المنصور نور الدين أبو الفتح عمر ابن على بن رسول (٥) قدس الله روحه ،

ثم وليه (٦) ولده مولانا المقام الأعظم السلطان الملك المظفر شمس الدنيا

---

(١) المقصود ، سيف سنقر الاتابك .

(٢) المقصود الاشارة الى دولة بنى رسول ، التى خلفت الأيوبيين في حكم اليمن فقد تمكن مؤسس تلك الدولة من اعلان استقلاله ببلاد اليمن سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م ، أى بعد ستين نضاها نائبا عن الأيوبيين فيها .

(٣) غير واردة فى نسخة ب .

(٤) أضيفت لاستقامة النص .

(٥) هو السلطان الملك المنصور نور الدين أبو الفتح عمر بن على من رسول ، ورسول كنية جدة محمد بن هارون بن أبى الفتح بن يوحى بن رستم الغسانى الجفنى المنجكى التركمانى . وكان نور الدين عمر ، هو مؤسس دولة بنى رسول فى اليمن ، كان فى بداية أمره نائبا عن الملك المسعود على اليمن ، فلما توفى المسعود تظاهر نور الدين بالاخلاص للملك الكامل محمد صاحب مصر ، وبين أنه يقوم بحكم اليمن نيابة عنه ، وأخذ فى نفس الوقت يعمل تدريجيا ويمهد للاستقلال بملك اليمن ، مستغلا الانقسام بين ملوك الأيوبيين فى مصر والشام ، حتى اذا ما وطد الأمور لنفسه خلع طاعة بنى أيوب ، وأعلن استقلاله سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١ بملك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور (انظر ، نفس المرجع السابق ، الفصل التاسع ص ٢٧٥-٢٩٧ ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ، ص ٣٩ وما بعدها).

(٦) غير واردة فى نسخة أ ، والاضافة من ب .

والدين أبو المنصور يوسف [١]،

ثم ولي الأمر ولده مولانا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف[٢] أبا الفتح عمر ممهد الدنيا والدين، إيثارا له بذلك، إذ رآه له أهلا، ولم يضن به عليه أصلا. فهما ملكا هذا الاوان [٣]، وبهما استقامة الزمان. شعر [٤]:

---

(١) هو السلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين أبو المنصور يوسف بن عمر بن علي ابن رسول، ثاني سلاطين بني رسول، تولى ملك اليمن بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م. واستمر حكمه الى سنة ٦٩٤ هـ/١٢٩٥ م (انظر، ابن حاتم: السمط، ورقة ١٣٧ وما بعدها، الخزرجي: العقود جـ١ ص ٨٨ وما بعدها، يحيى بن الحسين: غاية الأماني ـ تحقيق الدكتور سعيد عاشور، قسم ١ ص ٤٣٤ وما بعدها، محمد عبد العال احمد: بنو رسول وبنو طاهر ص ١١٧ وما بعدها).

(٢) هو السلطان الملك الأشرف أبو الفتح ممهد الدنيا والدين عمر بن يوسف بن عمر ابن علي بن رسول، ثالث سلاطين بني أيوب في اليمن، كان أبوه ينيبه عنه في تقلد الحملات، فأثبت كفاءة نادرة وقدرة فاقت أخويه الواثق ابراهيم والمؤيد داود، فلما طعن الملك المظفر في الخامسة والسبعين من عمره، خشي الخلاف بين أبنائه من بعده، واختار الأشرف وعهد بالسلطنة له من بعده، بل وتقلد أمورها قبيل وفاته بعدة أشهر، وجمع اسمه معه في الخطبة والسكة وذلك في أول جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ/ ٢٩ مارس ١٢٩٥ م، فلما توفي أبوه في رمضان من نفس السنة دب النزاع بين الاخوة، ولكن الأشرف استطاع السيطرة على الموقف، إلا أن فترة حكمه لم تمتد طويلا اذ توفي في المحرم ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م. (انظر، ابن حاتم: السمط ورقة ١٥٤ الجندي: السلوك ص ٤٥٥، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٦٤ ب ـ ٦٦ أ، الخزرجي: العقود جـ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٩٧، العسجد ص ٢٩٢ ـ ٣٢٠، ابن الديبع: قرة العيون ص ٨١ ب ـ ٨٣ أ، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٣، محمد عبد العال احمد: بنو رسول وبنو طاهر ص ١٦٢ ـ ١٦٦).

(٣) المقصود بهذا، الوقت الذي تلقد فيه المظفر الملك لولده الأشرف، مما يدل على أن ابن حاتم قد أكمل تأليف كتابه سنة ٦٩٤ هـ/١٢٩٥ م.

(٤) غير واردة بنسخة أ.

فلا برحا فى نعمـــة وسعادة .·. تبيد العدى طرا ، وتقهر من عدا

والآن حين نبتدىء فى شرح السير لهؤلاء الملوك جميعا ، أعلم أن أول من ملك اليمن من الغز بنو أيوب ، ملوك الديار المصرية ¹- فكانوا لما ملكهم الله ومكنهم ، قد احتاطوا على الديار [ورقة ٢أ ، نسخة ب] المصرية -¹ بالشام كلها ، بديار بكر (٢) كافة ، والعواصم والسواحل ، وكان الجميع تحت حكمه غير منازع فيها ولا مدافع عليها، وكانوا جماعه، وملكهم يومئذ (٣) القائم (٤) فيهم أولا ، الملك النـــاصر صلاح الدين [ورقة ٣ أ ، نسخة أ] يوسف ابن أيوب بن شاذى ، أصغر أولاد أيوب سناً وأكبرهم معنى .

وكان له من الإخوة جماعة ، منهم : الملك العادل سيف الدين أبو بكر ، وهو الكبير فيهم جميعا ، والملك المعظم شمس الدولة توران ، والملك العزيز سيف الإسلام، وتقى الدين(٥) وغيرهم ممن لم يشهر (٦) شهرة هؤلاء . ففرق لكل منهم بلداً، خلا توران، فإنه ندبه لليمن وجهزه بالعسكر الجم والمال الكثير(٧) وذلك على حين فترة فى اليمن من ملك مستقل فيها ، وعرها وسهلها ، وعلوها

(١ غير واردة بنسخة أ .

(٢) فى أ « البكرى » والمقصود المناطق التابعة لمصر فى بلاد الشام وديار بكر وغيرها.

(٣) فى ب « يوميذ » .

(٤) فى ب « القايم » .

(٥) هو الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وهو ابن أخى صلاح الدين وليس أخاه . وهو جد سليمان بن سعد الدين شاهنشاه الذى تولى الملك فى اليمن سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤ م .

(٦) فى أ « يشتهر » ، وما اثبتناه من نسخة ب .

(٧) كان تورانشاه واليا لصلاح الدين على قوص بصعيد مصر قبل اسناد حملة اليمن =

وسفلها ، ومالك لدانيها وقاصيها ، وقائد لطائعها (١) وعاصيها ، بل كانت مقسومة بين العرب ، فكل موضع فيه (٢) ملك مستقيم بذاته (٣) ، والأمر فيها كما قال الشاعر :

وتفرقوا فرقاً ، فكل قبيـــلة فيها أمـــير المؤمنين ومنبـــر

= اليه . ويعتبر والى قوص من أعظم ولاة مصر وأجلهم (ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٧٤) فلما استقر رأى صلاح الدين على ارسال حملة اليمن ، استأذن نور الدين محمود ، وجهز أخاه تورانشاه فى ألف فارس — عدا من صحبه من حاشيته — وقد بلغ عدد جيشه ثلاثة آلاف من الجند ، وقد زوده صلاح الدين بالمال الكثير وأطلق له خراج قوص لمدة سنة ، وكانت عبرتها مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ، وأمده بالأزواد والسلاح وغير ذلك من آلات الحرب . (انظر ، أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٢١٧ ، العينى : عقد الجمان جـ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشــق : الدر الثمين فى سيرة نــور الدين — مخطوط — حــوادث ٥٦٩ ، . الخزرجى : العسجد ص ١٧٧ ، المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٥٩ ، الذهب المسبوك ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ١ ص ٢٣٨ ، الكبسى : اللطــائف ص ٢٧ أ) .

(١) فى ب «لطايعها» .

(٢) فى أ « فيها » ، وما أثبتناه من نسخه ب .

(٣) انقسمت بلاد اليمن الى دويلات متناحرة وفقدت وحدتها السياسية خلال تلك المرحلة ، نتيجة للفتن الداخلية والصراعات المذهبية ، فكانت منطقة تهامة المطلة على البحر الأحمر تشغلها دولتان : الأشراف بنو سليمان ، وقد استقلوا بحكم المخلاف السليمانى . وبنو مهدى ، فى بلاد زبيد الى حدود حرض . أما منطقة تهامة المطلة على المحيط الهندى ، فكانت تحت حكم بنى زريع ، وكانت منطقة الجبال ، وبها عدد من الدويلات ، يسيطر أولاد عمر بن شرحبيل على بلاد الجـريب وما اليها من بلاد الشرف المطلة على تهامة ، وقبائل جنب مستقلون بحكم بلاد ذمار وما اليها . أما بنو حاتم ، فقد كانوا يحكمون صنعاء ، وأعمالها الى بلاد الظاهر وحدود بلاد الأهنوم . وكانت شهارة وما اليها لأولاد القاسم بن على العيانى . أما صعدة وأعمالها ، فللأشراف أولاد الامـام احمد بن سليمان . أما بلاد الجوف بالهضبة الشرقية ، فكانت لسلاطين آل الدعام . =

فلما بلغه ذلك بادر بتجهيز أخيه الملك المعظم ـ على ماذكرنا ـ فوصل اليمن فى سنة تسع وستين وخمسمائة (١) ، فأول من لقيه من أهل اليمن الأمير قاسم بن غانم بن يحيى السليمانى من المخلاف [ورقة ٣ ب ، نسخة أ] السليمانى (٢)،

=وتعتبر دولة بنى حاتم ودولة بنى زريع ودولة بنى مهدى من أبرز القوى فى اليمن آنذاك . فلما كان الفتح الأيوبى لتلك البلاد ، قضى على تلك الدويلات ، وتوحدت البلاد فى ظل الحكم الأيوبى بعد طول انقسام وشقاق ، وأصبحت الخطبة للخليفة العباسى . (انظر، يحيى بن الحسين: نباء الزمن ص ٥٣ ، الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٠٨ ، محمد أحمد عبد العال احمد : الأيوبيون ص ٦٦ ــ ٦٧ .

Scott (Hagh) ; In the High Yemen; p. 226.

(١) غادر تورانشاه الديار المصرية فى مستهل رجب ٥٦٩ هـ/ فبراير ١١٧٤ م ، فتوجه الى مكة ودخلها معتمرا . ولم يبق فيها طويلا ، اذ تركها وتوجه برا الى اليمن . وان مجىء تورانشاه الى المخلاف السليمانى دون التوجه رأسا بطريق البحر الى زبيد ، لم يأت عفوا ، وانما يؤكد أن الحملة قامت بعد دراسة لظروف وأحوال اليمن ، مهد لها عمارة اليمنى بكتابه « المفيد فى أخبار زبيد » الذى ألفه للقاضى الفاضل ، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة بالنسبة لتلك الحملة ، اذ يعتبر تقريرا مفصلا لحالة اليمن خلال تلك الفترة . وقد أحسن تورانشاه استغلاله، وجعل أول دخوله اليمن من ناحية المخلاف السليمانى شمال تهامة اليمن ، مستغلا بذلك سوء العلاقات بين اشرف المخلاف وابن مهدى صاحب زبيد ، وكانت الأمور كما توقع اذ رحب به بنو سليمان ، وشكوا اليه من ابن مهدى ، واشتركوا فى قتاله .

(١) ينسب الجندى المخلاف السليمانى الي الأشرف بنى سليمان (السلوك لوحة ١٥٠) فى حين ينسبه الواسعى الى سليمان بن طرف ، عامل بنى زياد على عثر (تاريخ اليمن ص ١٥١) وينتسب بنو سليمان الى موسى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن ابى طالب ، وكانوا قد تغلبوا على مكة واسسوا فيها دولة السليمانيين سنة ٣٠١ هـ ثم هاجمهم الهواشم سنة ٤٥٤ هـ وطردوهم منها، فنزحوا الى اليمن ونزلوا المخلاف السليمانى (عمارة : تاريخ اليمن ص ٥ ـ ٦ ، ١٢ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠ ــ ١١) ولاتزال ذريتهم معروفة فى تهامة وعسير ، (حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٥٢) .

جاهه (١) إلى حرض(٢) من موضعه ، وكان يسمى محل أبي تراب ، وشكا عليه من عبد النبي بن مهدى (٣) ، وهو يومئذ صاحب التهايم والجبال (٤) ، من تعز إلى ذخر (٥) إلى سوى ذلك، ماخلا عدن والدملوة (٦) وصنعاء (٧)، فإنها كانت بأيدى أهلها الذين نورد ذكرهم إن شاء الله تعالى .

---

(١) في ب « جاه ».

(٢) حرض، مدينة مشهورة في المخلاف السليماني ، تقع في شمال تهامة الى الشرق من ميدى ، وهى على مسيرة ساعات من ساحل البحر الأحمر .

(٣) هو عبدالنبي بن علي بن مهدى بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله بن عبدالجاهر ابن عبد الله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميرى الرعيني (العرشي: بلوغ المرام ص ١٧) . كان ابوه قد تمكن من القضاء على دولة بنى نجاح في زبيد سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م واقام دولة بني مهدى على انقاضها (انظر ، الخزرجي : العسجد ص١٦٣ ، ادريس عماد الدين: نزهة الأفكار ص ٦ ، ابن الوردى : تاريخه جـ٢ ص٦١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص٢٩ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ أ ، قرة العيون ص ٩٢) . وقد تابع ابن مهدى سياسة التدمير الذى سار عليها أبوه ، فحرق المدن واستباح قتل اتباع المذهب السنى والأشراف على حد سواء ، مما دعا اشراف المخلاف السليماني الى الاستنجاد بصلاح الدين فأنجدهم (انظر ، الخزرجي : العسجد ص ١٦٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٤ ، بغية المستفيد ص ٩ أ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص١٢٧) .

(٤) في ب « الجبال » .

(٥) في أ « ذخر » ، وما أثبتناه من نسخة ب .

(٦) الدملوة ، حصن عظيم على جبل الصلو من بلاد الحجرية الى الجنوب من تعز ، ويضرب بحصانته ومناعته المثل (القلقشندى : صبح الأعشى جـ٥ ص ١٢) وكان جوهر المعظمى مولى بنى زريع واليا عليه، وكان معه أولاد سيده عمران بن محمد بن سبأ الزريعي متمنعين في الحصن، ولم يستطع توران شاه الاستيلاء على الحصن لمناعته وحصانته (انظر ، الأيوبيون في اليمن ص ٥٥-٥٦ ، ٩٤ ، ١٣١ - ١٣٢) .

(٧) كانت صنعاء وقتذاك تحت حكم السلطان على بن حاتم ، جد والد المؤرخ بدر الدين محمد حاتم صاحب النص الذى نقوم بتحقيقه .

وكان عبد النبي قد أغار إلى حرض ونهبها ، ونهب قراها و (١) بلادها ، ونهب هذا المحل الذي للشريف وقتل أخاه – وكان يقال له وهاس بن غانم – فسأل الأمير قاسم من الملك المعظم (٢) أن يكون أول دخوله اليمن انجادا له على بني مهدي ، فأجابه إلى ذلك. ونهضا بالعساكر من حرض في سلخ رمضان من هذه السنة المذكورة ، فوصلا زبيد يوم السبت السابع من شوال -٣ فقاتلوهم يوم ، ودخلوا عليهم المدينة يوم الاثنين التاسع من شوال ٣- عند طلوع الشمس ، فنهبوا جميع ما فيها من الأموال والخيل وسبوا الحريم ، وقبضوا على عبد النبي وإخوته ، وعاد الأمير قاسم بن غانم إلى بلاده يوم الجمعة الثالث عشر (٤) من الشهر .

---

(١) في أ « ونهب بلادها » ، واضافة « قراها و » من نسخة ب .

(٢) المقصود الملك تورانشاه بن أيوب .

(٣) الاضافة من هامش نسخة ب ، ويبدو انها سقطت من الناسخ فأضافها في الهامش ، أو انه تم استدراكها –على الأرجح – عند مقابلة النسخة على الأصل ، لأنها بخط مخالف لخط المتن ، ومما يذكر انه لما علم عبد النبي بن مهدي بأمر الحملة الأيوبية وتعاون أشراف المخلاف السليماني معها انتقاما منه ، سارع بالخروج من زبيد لمباغتة الحملة ، وقامت معركة حامية الوطيس بين الفريقين ، واخذ ابن مهدي يحمس جنده ويحثهم على صدق القتال ، وقال لهم : « كأنكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا ، وما لهم الا اكلة رأس » (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤١) . ولكن ابن مهدي لم يستطع الصمود بقواته وانهزم ، وأراد الانسحاب الى المدينة للاحتماء بها ، ولكن الجند الأيوبي تعقبوا فلوله ، وتمكنوا من تسلق سور المدينة – لعدم وجود حراسة عليه – ونزلوا الى المدينة واستولوا عليها عنوة في التاسع من شوال سنة ٥٦٩هـ/ مايو ١١٧٤ م . اى فى اليوم الثالث من وصول الحملة (انظر ، الخزرجي : العسجد ص ١٦٩ ، ١٧٢ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٧ ، بامخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ٧٤٨ ، ٧٥٨ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩ ب) .

(٤) في نسخة أ « الثالث من الشهر » ، اما نسخة ب فقد اضاف الناسخ ، او من

وأقام الملك المعظم بزبيد إلى أن دخل شهر ذى القعدة ، ونهض لتعز (١) فأخذه ولم ينازعه أحد دونه (٢)، وقاتل أهل[ورقة ٤ أ من نسخة أ] صبر(٣) وذخر(٤)، فلم ينل منهم. ثم نهض للجند (٥) فدخلها وملكها ، وكل هذه كانت من (٦) ممالك عبد النبى .

وسار إلى عدن فأخذها (٧) يوم الجمعة العشرين من ذى القعدة ، ونهب من

قابل النسخة ، كلمة « عشر » بين السطرين . وهو ما يتفــق مع السياق ، ومع ماأورده الخزرجي : العسجد ص ١٦٩ ، الشرفى : اللآلى المضية جـ٢ ص ١٣٢ أ . (ومما يــذكر أنه بعد أن أتم تورا شاه فتح زبيد وقبض على بنى مهدى وقضى على دولتهم ، عاد الشريف قاسم بن غانم الى المخلاف السليمانى بعد أن أقره تورانشاه على حكم المخلاف وأشرك معه ابن أخيه منصور ، مكافأة لهما على تعاونهما معه وإخلاصهما له ، فكان بيد منصور ما بين وادى عــين الى الساعد ، وكان لعمه قاسم الجزء الشمالى من المخلاف (انظر ، العامرى : غربال الزمان ، ورقة ١٦٧ ب)

(١) فى ب « لعز » .

(٢) غير وارد فى أ ، والاضافة من ب .

(٣) صبر ، جبل شامخ مطل على مدينة تعز ، بأعلاه قلعة معروفة باسمه . وهو يقع إلى الشرق من جبل ذخر (انظر ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٣٦ ، الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٨) .

(٤) فى أ « ذخر » ، وما أثبتناه من نسخة ب ، وهو جبل يقع إلى الغرب من جبل صبر ، فى أعلاه قلعة تعرف باسمه (ياقوت : نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٥) الجند ، مخلاف باليمن ، يقع إلى الشمال الشرقى من تعــز على بعد ٢٠ كيلو متر منها (الويسى : اليمن الكبرى ص ٣٩) .

(٦) غير واردة فى ب .

(٧) قال ابن الأثير : إن عدن « من جهة البحر من أمنع البلاد وأحصنها ... فلو أقام [ياسر بن بلال]بها ، ولم يخرج عنها لعادوا خائبين . وإنما حمله جهله وانقضاء مدته على

بها[١]وفيها يومئذ [٢] من الأمراء أولاد الداعى المكرم عمران بن محمد بن سبأ [٣] ، والشيخ ياسر بن بلال [٤] - مولاهم - فقبض عليهم جميعا وعاد

الخروج اليهم ، ومباشرة قتالهم . فسار اليهم وقاتلهم ، فانهزم ياسر ومن معه ، وسبقهم بعض عساكر شمس الدولة ، فدخلوا البلد قبل أهله فملكوه ، وأخذوا صاحبها ياسراً أسيرا » (الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١٧٨) .

(١) نقل المؤرخون اليمنيون عن ابن حاتم ماذهب اليه من استباحة عدن ونهبها (انظر ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ، لوحة ٧ ، الخزرجى : العسجد ص ١٧٧) ، ولكن ابن الأثير يذكر أن جند توران شاه أرادوا نهب المدينة وأنه منعهم ، وقال لهم : « ماجئنا لنخرب البلاد ، وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها ، فلم ينهب أحد منها شيئا » الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٢ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٦ ص ١١٣) . ورغم ماذكرته المصادر اليمنية ، الا أنه يمكن الأخذ برواية ابن الأثير ، ذلك أنه اذا كان الأيوبيون قد استباحوا زبيد من قبل ، فان ذلك يرجع الى كثرة ماكان قد استولى عليه بنو مهدى من أموال أودعوها خزائنهم فى زبيد ، ولهذا فان استيلاء الأيوبيين على مثل تلك الأموال فى بداية وصولهم الى اليمن ، لما يساعدهم على استمرار الفتح دون التطلع لامدادات أو معونات مادية من مصر . ويختلف الموقف فى زبيد عنه فى عدن وغيرها ، ذلك ان السماح بنهب البلاد التى يتم فتحها ، لما يسىء الى سمعة الأيوبيين ، بالاضافة الى ان تمسك الجند الأيوبى ، اذا ماتسابقوا على السلب والنهب ، وتنازعهم على الغنائم ، سوف يعطى الفرصة للقوى المعادية ، وييسر لها مهمة الاجهاز على الحملة . لذلك كان توران شاه حكيما عندما منع جنده من نهب عدن .

(٢) فى ب « يوميذ » .

(٣) هو ، أبو محمد عمران بن محمد بن سبأ ابى السعود بن زريع بن العباس بن المكرم الهمدانى صاحب عدن ، توفى سنة ٥٦٠ هـ .

(٤) هو ، ياسر بن بلال جرير المحمدى ، كان وزيراً لعمران بن محمد بن سبأ ومدبراً لدولته . (عمارة : تاريخ اليمن ص ٥٩ ، ١١٧).

حنها إلى مخلاف جعفر (١) ، فبايع فى التعكر (٢) وأخذه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى الحجة آخر سنة تسع وستين وخمسمائة .

ثم نهض من (٣) ذى (٤) جبلة ، وقد صارت البلاد جميعا له ماخلا الدملوة والبلاد العليا، فطلع نقيل صيد (٥) يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذى الحجة ، وحط على ذروان (٦) يوم الثلاثاء، وفيه يومئذ [ورقة ٢ ب ،نسخه ب] السلطان

---

(١) مخلاف جعفر ، مخلاف باليمن ينسب إلى جعفر - مولى بنى زياد - ومن مدنه وحصونه ذى جبلة والتعكر وغيرها .

٢) التعكر ، قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر ، مطلة على ذى جبلة (ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ج ٢ ص ١٦٦) ليس فى اليمن قلعة احصن منها (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩٤) ويحكم حصن التعكر على كل من الجند ومخلاف عنه ومخلاف المعافر (الخزرجى : العسجد ص ١٢٩) .

(٣) فى أ « الى » ، وما اثبتناه من نسخة ب .

(٤) غير واردة فى نسخة أ . وذى جبلة ، مدينة بمخلاف جعفر ما بين اليمن الأسفل ومنطقة الجبال،وتقع الي الجنوب الغربى من مدينة اب . وقد اختطها السلطان عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٧ هـ فى سفح جبل التعكر ، وتسمى بمدينة النهرين (انظر ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٢٤ ، الواسعى : البدر المزيل للحزن ص ٢٢) .

(٥) النقيل ، هو الممر الجبلى ، ويقصد به بلغة أهل اليمن ، العقبة . (مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٨٨) ويقع نقيل صيد بين حقل يريم والمخادر (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٧٩) ويعرف حاليا باسم نقيل سمارة .

(٦) ذروان ، من حصون الحقل ، وهو من بلاد قبائل جنب بالقرب من صنعاء .

عبد الله بن يحيى الجنبى(١) ، فصالحهم وبذل لهم(٢) الطاعة ، ونهض الى (٣) المصنعة (٤) وفيها يومئذ (٥) الشيخ محمد بن زيد اليعبرى الجنبى ، فأخذها منه. ثم نهض إلى ذمار (٦) فاعترضه جنب (٧) فى (٨) موضع يسمى رخمة – فى شرقى ذمار – يوم الخميس [ورقة ٤ ب ، نسخة أ]التاسع من المحرم أول سنة سبعين وخمسمائة ، وقتل (٩) من الغز (١٠) خمسة وستون رجلا ، فأخذت (١١) خيلهم وسلاحهم ، ثم أقام فى ذمار ، ونهض منها فاعترضه جنب وغيرهم ، وجرى بينه(١٢) وبينهم قتال كانت الدائرة (١٣) [فيه] (١٤) على العرب ،

(١) الجنبى ، نسبة الى قبيلة جنب ، وهى من مذحج من القحطانية (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٦ ، (Kay : op. cit. pp. 215 - 218 .

(٢) غير واردة فى نسخة ب .

(٣) غير واردة فى نسخة ب .

(٤) المصنعة ، هى البناء الحصين ، وهى من حصون مشارف ذمار (ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٩) .

(٥) فى ب « يوميذ » .

(٦) ذمار ، مدينة مشهورة على مسيرة مرحلتين الى الجنوب من صنعاء (الواسعى : البدر المزيل للحزن ص ٢٢) .

(٧) جنب ، بطن من مذحج من القحطانية (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٦) ، وتقع بلادهم الى الجنوب من صنعاء .

(٨) فى ب « من » .

(٩) فى ب « فقتل » .

(١٠) فى ب « العز » .

(١١) فى أ « فأخذ » .

(١٢) فى أ « بينهم » .

(١٣) فى ب « الدايرة » .

(١٤) اضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة المعنى .

فقتل منهم سبعمائة رجل، ولحقتهم (١) الغز (٢) حتى أولجوهم حصن هران (٣)، وأخذوا منهم قلائع كثيرة من الخيل . ويقال أن الملك المعظم ذمر الغز (٤) في ذلك اليوم وبكتهم وحملهم على التورط (٥) في الهلاك، وقال لهم: «أين منكم ديار مصر ؟» .

وفي ذلك يقول الشوكي شاعر ذمار :

وقال لقومه : موتوا كراما ∴ فأين وأين (٦) مصر من ذمار ؟

ثم سار من ذمار بعد استيلائه (٧) عليها طالبا صنعاء ، وسلطانها يومئذ السلطان علي بن حاتم جد (٨) الأمير بدر الدين محمد بن حاتم ، فوصل إليها يوم الجمعة منتصف النهار ، وهو اليوم السابع من المحرم سنة سبعين وخمسمائة، وضرب محطته (٩) [ورقة ٥ أ ، نسخة أ] بالجبوب (١٠) شرقي (١١) صنعاء .

---

(١) في أ « ولحقهم » .

(٢) في ب « العز » .

(٣) هران ، حصن من حصون ذمار ، إلى الجنوب من صنعاء .

(٤) في ب « العز » .

(٥) في ب « المتورط » .

(٦) في ب « واين » .

(٧) في ب « استيلا‌يه » .

(٨) هو جد والد الأمير بدر الدين محمد بن حاتم (انظر ما سبق ص٣٢٥ ﻫ ٣)، ويقال جده جوازا .

(٩) المحطة هي المكان الذي حط فيه الجند ، وضربوا خيامهم وعسكروا .

(١٠) في أ ، بغير إعجام ، وفي ب « بالحبوب » ، وما أثبتناه من الخزرجي: العسجد ص ١٨٠ ، الشرفي : اللآلي المضية ج ٢ ص ١٣٢ أ (والجبوب ، موضع إلى الشرق من صنعاء) .

(١١) في أ « في » .

وقد تحيز السلطان على بن حاتم وأخوه بشر بمن معهما إلى حصن براش [١] . وقد كان [٢] حين جاءت [٣] المحطة صادفوا ثمانية فرسان من همدان، فشدوا عليهم فقتلوا منهم ثلاثة ونجـــا خمسة ، فطلعوا الحصن ، ثم أن المحطة أقامت بالجبوب [٤] إلى يوم الاثنين ولم يصلهم أحد [٥] .

واختلفت الرواية [٦] من هنـا ، فقيل : دخلوا صنعاء ولم يلبثوا بهـا ثم ساروا . وقيل : بل ساروا من المحطة ولم يدخلوا[٧] صنعاء ، والله أعلم أى ذلك

---

(١) براش ، حصن على جبل تقع إلى الشرق من صنعاء ويطل عليها (نشوان بن سعيد الحميرى : منتخبات من أخبار اليمن ص ١٠) .

(٢) فى أ « كانوا » .

(٣) فى أ ، ب « جات » .

(٤) فى أ « فى الجبوب » وفى ب « الجوب » (راجع ماسبق هامش ١٠ ص ٢٥٢) .

(٥) ذكر الخزرجي ، أنه أثناء وجود تورانشاه بالجبوب ، رفد شيعه وفود مشايخ صنعاء ووجوه أهلها « فى زى حسن ، فأعجبه زيهم فاستحضر جماعة من رؤسائهم وحاورهم وحدثهم ، ثم دخـــل صنعاء وملكها » (العسجد ص ١٨٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٩) .

(٦) يشكك المؤرخ بدر الدين محمـد بن حاتم فى أمر استيلاء الأيوبيين على صنعاء ، ويؤكد الخزرجي وبامخرمة والشرفى وغيرهم استيلاء تورانشاه عليهـا (العسجد ص ١٨٠ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٢٩ ، اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٢ أ) وقد ذكر أبو شامة نقلا عن ابن أبى طى ، بأن تورانشاه أقام لمدة ثمانية أيام فى صنعاء ، وبرر ابن أبى طى عـــدم بقائه فيها أكثر من ذلك ، بعدم كفـاية ما كان معه من المؤن (انظر ، الروضتـين جـ ١ ص ٢١٧ ، العينى : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢) وإن إجماع المصادر على قيام على بن حاتم بتخريب سور صنعاء يعتبر دليلا على استيلاء تورانشاه عليها ، بعد أن أصبحت غير محمية بسور.

(٧) فى ب « يدخلوا » :

كان . إلا أن الاجماع على أن الملك المعظم لم يكن له إقامة في الجهات الصنعانية، ولم يصله أحد من أهلها ، فنزل طريق تهامة ، وأخذ على نقيل السود (١) - وهو بين بلاد بني شهاب (٢) وبلاد سنحان (٣) ، مطل على حقل سنحان وسهام - فلحقهم قوم من بني شهاب، وقوم من سنحان ، رموهم وأخذوا من آخر (٤) عسكرهم .

ولما علم السلطان علي بن حاتم بارتحال الغز (٥) نزل من براش وعاد (٦) إلى صنعاء ، فأول مابدأ به حين عاد أنه [ورقة ٥ ب من نسخة أ] خرب الدرب الذي المدينة ، وقد كان بدأ فيه قبل وصول الغز ، ثم حال بينه وبين تمامه وصولهم ، فلما ساروا حاذر عودتهم فتمم الخراب .

أما ما كان من (٧) الملك المعظم بعد ارتحاله عن صنعاء ، فإنه اعترض العسكره في النزول أهل برع (٨) ، فأخذوا من آخرهم جمالا كثيرة محملة

---

(١) في ب « السوده » ، ونقيل السود ، جبيل صغير في بلاد همدان (الواسعي : البدر المزيل للحزن ص ١٨) .

(٢) بنو شهاب ، بطن من همدان (Kay : op. cit., p 216) وتقع بلادهم في جنوب صنعاء .

(٣) سنحان ، بطن من مذحج من القحطانية (Kay : op . cit., p. 262) ويقيمون في المخلاف المسمى باسمهم جنوبي صنعاء .

(٤) في أ « اخذ » ، وما اثبتناه من ب .

(٥) في ب « العز » .

(٦) في أ « غادر » .

(٧) غير واردة في نسخة أ ، والاضافة من ب .

(٨) برع ، جبل باليمن قرب وادي سهام من نواحي زبيد (ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ١٢٨) .

أموالا جمة من الذهب والفضة والسلاح والآلة ، وكثيرا مما استصحبوه من البلاد المصرية وعدن وزبيد يوم الاستيلاء عليهما (١) .

ثم جاء (٢) زبيد ، فأقام بها إلى شهر جمادى الأولى من (٣) هذه السنة ، ثم نهض منها طالبا للجند ووصل إليه والى حصن صبر الذى كان دانيا (٤) لعبد النبي واستذم وسلم الحصن .

ثم أخذ (٥) حصن بادية (٦) وشرياق (٧) ، وحط على عزان ذخر وفيه يومئذ على بن حجاج من أهـل تهامة متوليه ، وكان صهرا لعبـد النبي [ورقة ٣ أ من نسخة ب] فخاطب الغز (٨) وطلب الصلح ، فوعدوه أنهم يأخذون منه ما كان فى الحصن من المال لعبد النبي ويتركون سبيله ، فاستحلفوه على ما [كان] (٩) عنده من المال لعبد النبي ، فأقر بعشرة [ورقة ٦ أ من نسخة أ] آلاف دينار ذهب ، فقبضوها منه وسلم لهم الحصن وسلموه .

---

(١) فى أ « عليها » وما اثبتناه من ب .

(٢) فى ب « جأ » .

(٣) فى أ « فى » ، وما اثبتناه من ب .

(٤) فى ب « نايا » .

(٥) فى ب « احد » .

(٦) فى أ « مادية » ، وفى ب « مادبه » . وما أثبتناه من Kay : op. cit , p.297

(٧) بادية وشرياق من حصون مخلاف المعافر الى الشمال من عدن .

(٨) فى ب « العز » .

(٩) اضافة لاستقامة النص .

ثم تقدموا إلى المعافر [١] ، فحاربوا حصن يمين [٢]، وفيه الأمير منصور ابن محمد بن سبأ ، فأخذ الحصن قهرا ، وذلك بتخاذل الديوان [٣] والرتبة [الذين] [٤] هربوا من الحصن . ثم تسلموا حصن [٥] منيف، [٦] وكان لأبي الغيث بن سامر [٧] . ثم تسلموا حصن السمدان [٨] من النائب [٩] الذى كان به ، ولم يعترضوا [١٠] لحصن السواء وصاحبه يومئذ ابن السبائى ، بل أبقوه على حاله . ثم حطوا على الدملوة ، وفيها ولد الداعي المكرم عمران بن محمد ابن سبأ ، وواليهما بها جوهر العمرانى [١١]، ورموا بالمنجنيقات فلم تبلغ إلا الحو...

---

(١) المعافر ، مخلاف من أشهر مخاليف منطقة الجبال باليمن ، ويقع الى الشمال من عدن ، واليه تنسب الثياب المعافرية (ياقوت . معجم البلدان جـ٨ ص ٧٩) وهو بلد واسع ذو مزارع وقرى (المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٧) ويعرف اليوم ببلاد الحجرية).

(٢) يمين ، حصن من مخلاف المعافر .

(٣) فى أ « الدالون » .

(٤) الاضافة لاستقامة النص .

(٥) غير واردة فى أ ، والاثبات من ب .

(٦) منيف من حصون مخلاف المعافر .

(٧) كان أبو الغيث بن سامر من فرسان اليمن المعدودين ، وقال عنه عمارة : بأنه يقوم بمقام مائة فارس (عمارة : تاريخ اليمن ص ٤٥ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ١٧١) .

(٨) السمدان ، حصن عظيم من مخلاف المعافر ، ليس بعد التعكر وحب سواه ، وهو أحصن من الدملوة (عمارة : تاريخ اليمن ص ١٢٦) « وبه يضرب المثل ، وهو الحصن الذى ليس لمخلوق عليه اقتدار ، ولم تعنه ماضيات الأقدار » . (الخزرجى : العسجد ص ١٧٤) .

(٩) فى ب « الذاهب » ، وفى أ « النائب » .

(١٠) فى ب « يعترضوا » .

(١١) هو أبو الدر جوهر بن عبد الله المعظمى ، كان استاذا حبشيا من موالى بنى زريع ونسبته المعظمى الى الداعى محمد بن سبأ الزريعى الملقب بالمعظم ، فلما توفى محمد بن سبأ استعـ...

لم يكن لهم بها طمع ، فصالحوا جوهراً على قطعة هينة (١٠) من المعشار الذى تحت (١١) الدملوة ، وعادوا وتقدموا (١٢) إلى ذى جبلة ، فأقاموا بها إلى رابع شعبان من هذه السنة .

وبلغ الملك المعظم فى خلال هذه الأمور وقوع خلاف فى تهامة ، فأمر بقتل عبد النبى (١٣) وأخويه أحمد ويحيى (١٤) ، فقتلوا فى زبيد يوم الثلاثاء السابع من رجب من هذه السنة .

ثم أن الملك المعظم أقام فى البلاد حتى دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وطلب العودة إلى الديار المصرية (١٥) ، فنهض من اليمن فى شهر رجب من

= جوهر فى خدمة ابنه عمران الملقب بالعمرانى ، فلما توفى عمران كفل جوهر أبناءه ، وظل على وفائه وولائه لهم محافظا على حصن الدملوة ، ولم يستطع تورانشاه الاستيلاء عليه لحصانته ومناعته (انظر ، الأهدل : تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن ص ٣٠٠ – ٣٠١) .

(١٠) فى ب « هنة » .

(١١) فى ب « تحت » .

(١٢) فى ب « فتقدموا » .

(١٣) اختلفت المصادر حول مصير عبدالنبى ، فقيل قتل يوم الاستيلاء على زبيد ، وقيل فى اليوم الثانى ، وقيل بل بعد ذلك سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥ م . ومن المرجح بأنه لم يتم القضاء عليه فى حينه ، اذ يذكر ابن المجاور بأنه جىء بعبد النبى أسيرا الى عدن عند فتح تورانشاه لها ، وقد جمع الأمر بينه وبين ياسر بن بلال – القائم بأمر بنى زريع فى عدن – (صفة بلاد اليمن جـ١ ص ١٢٦ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ١ ص ٤٦) .

(١٤) فى أ ، ب « ويحيى » .

(١٥) فى أ « حنا » .

هذه (٤) السنة ، بعد أن قتل (٣) ياسر بن بلال ـ مولى الدعاة بنى زريع ـ كما قدمنا ذكره ، وقبضه فى عدن مع مواليه . واستناب فى البلاد نوابا ، فجعل فى عدن وأعمالها ، عثمان السنجارى أو الزنجبـــارى (٧) ، وفى تعز والجند وأعمـالها ياقوت التعزى ، وفى حصن التعكر وذى جبـلة ومخلاف جعفر مظفر الدين قايماز (٥) ، وفى مدينة زبيد وأعمـالها وجميع تهامة سيف الدولة المبارك بن منقذ (٦) .

---

(٢) غادر تورانشاه اليمن فى سنة رجب ٥٧١ هـ / يناير ١١٧٦ م (ابن حاتم : السمط ٦ ص ، الخزرجى : العسجد ص ١٨٥) متوجها الى صلاح الدين بدمشق (عن أسباب عودته وتنقله من اليمن ، انظر ، الأيوبيون فى اليمن ص ٩٧ – ١٠٣) .

(٣) غير واردة فى أ ، وما اثبتناه من نسخة ب .

(٤) فى ب «تمل» .

(٥) فى أ «قاعار» ، وفى ب « قانار » .

(٥) هو عز الدين عمرو عثمان بن أبو على الزنجيلى ، نسبة الى قرية زنجيلة من قرى دمشق . (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٣١ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٦٥) .

(٦) فى أ « قاعار» وفى ب « تانمار» . وما اثبتناه من ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٢٣٨ ، قلادة النحر جـ ٢ ص ٧٤٨ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٥٤ .

(٧) هو ابو الميمون مبارك بن كامل بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ٣٨) وهو من بنى منقذ أصحاب شزر . وكان شاعرا ، وهو الذى ارتجل شعرا لسيده تورانشاه ، عندما كره تورانشاه المقام باليمن وبعث برسالة الى صلاح الدين ارفق بها تلك الأبيات التى نظمها ابن منقذ وجاء فيها :

واذا أراد الله شرا بامرىء ∴ واراد ان يجيبه غير معيبه
أغراه بالترحال عن مصر بلا سبب ∴ واسكنه بأرض زبيده

(ابن حاتم : السمط ص ٦ ب ، وقارن ، المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٦٠ ، محمد عبد العال أحمد : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ص ٣٨) .

دراسة عن

(المراحـــل التنفيذية لمشروع تجميع التراث اليمنى)[1]

ولقد كان لى شرف المشاركة فى عضوية بعثة الجامعـــات المصرية التى حضرت إلى عدن بناء على طلب حكومة جمهورية اليمن الديمقراطيـة الشعبية خلال شهرى أبريل ومايو ١٩٧٠ ، لوضع أسس تجميع التراث الوطنى اليمنى ، وإنشاء مكتبة قومية فى عدن . وقد أنهت هذه البعثة مهمتها بتقرير مفصـل عن زيارتها ومقترحاتها بشأن إنجاز المهمة التى جاءت من أجلها .

وقد كانت التوصيات الآتية من أهم ما توصلت إليه البعثة :

١ ـ اختيار مدرسة السيلة لتكون مقرا للمكتبة القومية .

٢ ـ إعداد حصر للمخطوطات طبقا للنموذج الذى ورد فى تقرير البعثة ، والعمل على تسجيل هذه المخطوطات .

٣ ـ ترغيب أصحاب المخطوطات من الأهالى فى إهداء هذه المخطوطات للدولة أو بيعها لها أو السماح بتصويرها لتكون نـــواة لمخطوطات المكتبة القومية ، مع تخليد ذكرى أصحابها بتخصيص أماكن منفصلة لكل مجموعة

---

(١) كان هذا التقرير أساسا فى المحادثات الثقافية بين حكومة اليمن الجنوبية وبين الدول والهيئات العلمية المهتمة بالتراث . مما ساعد على البدء فى مرحلة التنفيذ بإنشاء مركز الدراسات اليمنية فى عدن .

وبيان اسم صاحبها وما إذا كانت مهداة أو مشتراة أو مصورة عن مكتبته الخاصة. وهو تقليد معمول به فى كثير من الحالات المماثلة.

٤ - ضم المكتبات الموقوفة فى كل محافظة إلى مكتبة تلك المحافظة إذا كانت شروط الواقف تسمح بذلك، تدعيما لمجموعات مكتبات المحافظات ورعاية وصيانة للكتب الموقوفة من التلف والضياع. وأن يتم هذا الإجراء بصفة مبدئية إلى أن يتم إنشاء المكتبة القومية حيث يتم نقل هذا التراث إليها.

٥ - الاهتمام بالآثار اليمنية، والعمل تجميع القطع الأثرية وخاصة الفريدة منها أو النادرة فى متحف مركزى، مع اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحفظها وصيانتها.. والاهتمام بقصور السلاطين وتحويلها إلى متاحف إقليمية، مع رسم سياسة ترمى إلى المحافظة على المواقع الأثرية، والتوسع فى أعمال التنقيب والكشف عن الآثار.

٦ - رسم سياسة لتجميع التراث اليمنى المخطوط والموجود فى المتاحف والمكتبات العالمية وذلك عن طريق تصويره بالميكروفيلم.

٧ - العمل على تجميع المطبوعات العربية والأجنبية المتصلة باليمن وتراثه.

٨ - توفير المصنفات البيليوجرافية وفهارس دور الكتب والمتاحف العالمية لأهميتها الكبيرة فى التعرف على المخطوطات المتصلة بالتراث اليمنى وأماكن وجودها.

٩ - توفير كتب الفهرسة والتصنيف اللازمة للعمل الفنى بالمكتبة القومية.

١٠ - تدريب الفنيين الذين سيسند لهم الأعمال المختلفة فى المكتبة القومية والمتاحف.

ولما كانت تلك المقترحات قد اعترضتها بعض الصعوبات ، فقـــد اغتنم المسئولون فـــرصة إعارتى فى العام الجامعى ٧٢ / ١٩٧٣ كمحاضر للتاريخ الاسلامى بكلية التربية فى عـــدن ، وأعربوا عن رغبتهم فى أن أتولى إعادة دراسة المشروع ، واقتراح ما من شأنه تذليل تلك الصعاب ، حتى يمكن نقل المشروع إلى مرحلة التنفيذ . فلما تعرفت على ما تم من خطوات فى هذا الشأن ، وما يعترض التنفيذ من صعوبات مالية وفنية وغيرها . كان لا بد لى فى هـذا التقرير أن أعمل على تخطى تلك العقبات ، وأن أسهم قدر جهدى فى إيجـاد الوسائل والحلول الكفيلة بتخفيف الأعباء المالية وغيرها حتى يمكن تنفيذ المشروع على وجه السرعة وبطريقة متكاملة وسليمة .

وباستعراض ما تم في هذا المشروع وجد الآتى : —

أولا : مقر المكتبة القومية :

لقد تحولت مدرسة السيلة التي سبق أن اختارتها البعثة لتكون مقـــراً للمكتبة القومية إلى متحف حربى (متحف الثورة) .

وكان هذا المتحف من بين المقترحات التي تضمنها التقرير المشار إليه ، وكان مقترحا أن يشغل إحدى قاعات المكتبة القومية ، الى أن يتكامل ، فيتم نقـله لمكان خاص به . وإن إنجاز ذلك المتحف بهذا الشكل المتكامل يوضح بجلاء أن مرحلة التنفيذ لهذا الجزء من مقترحات البعثة تسير بخطوات أسرع مما كنا نتصور .

وفى الوقت الذى تم تحويل مدرسة السيلة فيه إلى متحف ، جرت اتصالات بحكومة الكويت وتم الاتفاق معها على إقامة مبنى للمكتبة القومية ، وهـــو عمل كبير نرجو أن يتم الانتهاء منه فى القريب العاجل .

وإذا كانت حكومة الكويت قد أسهمت في هذا المشروع ببناء المكتبة، فان هيئات عربية ودولية أخرى يمكن الاتصال بها للاسهام في انجاز باقي النواحي الأخرى على النحو الذى سنتعرض له فى حينه فى بعض فقرات هذا التقرير. وأن مساهمة جامعة الدول العربية ومنظمة اليونسكو فى هـذا المشروع من شأنه أن يخفف كثيراً من الأعباء المالية ويـؤدى فى نفس الوقت إلى استكمال تنفيذ المشروع فى أسرع وقت ممكن .

ثانيا : المخطوطات والوثائق :

أما عن الإجراءات التى تمت بخصوص تنفيذ مقترحات البعثة فيما يختص بالمخطوطات والملاحظات والمقترحات المتعلقة بها ، فهى كالآتى :

١ - تم توزيع نماذج الحصر الخاصة بالمخطوطات ، ولكن يبدو أن هذا العمل لم يكن مصحوبا بالدعاية الكافية لتشجيع أصحاب المخطوطات والمهتمين بها على الاشتراك فى هذا العمل الهام، ويستدل على ذلك من مكاتباتهم التى ردوا بها على وزارة الثقافة والسياحة والتى تؤكد بطريقة غير مباشرة عـدم رغبتهم فى المشاركة فى حصر المخطوطات وتسجيلها .

٢ - إن أهم ما تم عمله فعلا فى هذا الشأن تلك القائمة التى أنجزها أحـد أبناء المحافظة الخامسة (حضرموت) فقد استطاع بمجهوده الشخصي ، وبما له من صلة بأصحاب المخطوطات أن يقوم بحصر عـــدد من المخطوطات فى المـكتبات العامة والموقوفة والخاصة الآتية :

في المكلا :

المكتبة الشعبية

في سيئون :

فرع مكتبة الكاف بسيئون .

في تريم :

ـ مكتبة الكاف بجامع تريم .

ـ مكتبة وقف آل يحيي ،بجوار مدرسة البنات بتريم.

ـ مكتبة الحسيني (الخيرية) وهي التي كانت ملكا لصالح على الحامد ثم

باعها ورثته

ـ مكتبة الرباط .

ـ مكتبة ابن سهل .

ـ مكتبة عمر بن أحمد بن سميط

ـ مكتبة فضل بن محمد بن عوض بافضل .

ـ مكتبة صادق بن محمد العيدروس .

ـ مكتبة زين بن عبد الله الراقي بافضل .

في شبام :

ـ مكتبه محمد بن أبي بكر التوى .

مكتبة عبد الله بن مصطفى بن سميط

في الغرفة :

ـ مكتبة عيدروس بن عمر الحبشي .

مكتبة عبد اللاه محمد الحبشي ، وقد علمت أنها ضمت الى مكتبة عيدروس

الحبشي في بلدة الغرفة .

— مكتبة عبد الله بن محمد باعباد .

في الحريضة :

— مكتبة العطاس .

في دوعن :

— مكتبة مسجد البار بقرية القرين .

— مكتبة عبد الله بن حامد البار بقرية القرين .

وهذه القائمة ، على الرغم من أنها نتيجة لجهود فردى . إلا انها بحق تعتبر من أهم ماتم إنجازه فيما يختص بالمخطوطات . وهو مجهود يشكر عليه صاحبه ويعبر عن اهتمام كبير وتفهم للمشروع وأهميته ، ولكنها في الواقع تحتاج إلى استكمال النواحى الآتية :

١ ـ اقتصرت القائمة على بيان بعض المخطوطات الموجودة في بعض مدن وقرى المحافظة الخامسة (حضرموت)، ولم يشمل الحصر باقى مدن وقرى هذه المحافظة ، وعلى سبيل المثال ما يوجد منها في الشحر وغيرها.

٢ ـ لم تتضمن القائمة بيان المخطوطات الموجودة في باقي محافظات الجمهورية .

٣ ـ لم تشمل بيان المخطوطات المصادرة من قصور السلاطين والأفراد .

٤ ـ اكتفى صاحب هذه القائمة ببيان بعض الكتب في المكتبات التي أورد بيانها ، أو التي وجدها من وجهة نظره متصلة بالموضوع ، ولم يقم بحصر باقى ما وجـــده من المخطوطات فيها .

٥ - إن ماورد فى هذه القائمة لا يقوم دليلا على وجودها إلا إذا اعترف أصحابها بذلك ، لأن محتويات هذه القائمة لم يتم اتخاذ اجراءات تسجيلها طبقا للأسس والقواعد السابق اقتراحهـــا فى تقدير البعثة . وتوقيع أصحاب المخطوطات على النماذج بما يفيد صحتها .

ومع كل هذا فإن القائمة تعتبر أساســـا يمكن الانطلاق منه على النحو التـالى :

(ا) تفريغ هذه القائمة على النماذج المعدة لذلك من أصل وعدة صور .

(ب) تشكيل لجان من المهتمين بالتراث بالمحافظات .

— تتولى لجان المحافظة الخامسة مراجعة هذه النماذج على المخطوطات فى أماكن حفظها ، واستكمال النماذج الخاصة بالمخطوطات التى لم يتضمنها الحصر فى هذه الأماكن . هذا بالإضافة إلى البحث عن المخطوطات الموجـــودة فى المكتبات العامة والموقوفة والخاصة والمصادرة فى باقى مدن وقرى المحـافظة وعمل النماذج الخاصة بكل مخطوط فيها .

— تقوم لجان المحافظات الأخرى بالتحرى بمساعدة الجهات المختصة فيهـا للتعرف على مايوجد من مخطوطات فى مكتبات مدن وقرى تلك المحافظات ، واتخاذ اجراءات حصرها وعمل النماذج الخاصة بهـا .

(ج) وضع نظام لتسجيل ماتسفر عنه أعمال هذه اللجـان ، على أن يتم توقيع أصحاب المخطوطات أو المسئولين عنها على هذه النماذج بما يفيد وجودها وصحة البيانات الواردة بها . والتعهد بعدم التصرف فيهـــا بأى شكل من الأشكال إلا بعد الحصـول على موافقة مكتوبة من الجهات المختصة ، وأن

تكون هذه المخطوطات معدة لتصويرها فى أى وقت من الأوقات .

(د) ان استكمال النماذج بهذا الشكل بحيث تشمل جميع المخطوطات واعتراف أصحابها بوجودها وتسجيلها . كل ذلك من شأنه أن يؤدى إلى عمل فهرس متكامل للمخطوطات الموجودة فى أنحاء الجمهورية يبين أماكنهـــا وبياناتها بطريقة مستوفاة .

(هـ) تعتبر مرحلة إنجاز الفهرس مرحلة مستقلة حيث تبدأ بعدها مرحلة جديدة تتمثل في :

ـ تجميع المخطوطات التى تضمنها الفهرس عن طريق الإهـداء أو البيع أو عن طريق تصويرها على الميكروفيلم حسب رغبة أصحابها .

ـ تصوير التراث اليمنى الموجود في دور الكتب أو المتاحف العالمية وضمه إلى المجموعة السابقة ليستعيد مكانه علي أرض بلاده من جديد .

ونظرا لأن الامكانيات المالية المتاحة لاتساعد فى الوقت الحـاضر على انجاز مرحلة التجميع فإن اشراك الهيئات والمنظمات العالمية فى هذه المرحـلة سيكون له أعظم الأثر فى انجازهذه المرحلة الهامةوالأساسية ، وهذه الهيئات والمنظمات هي :

ـ جامعة الدول العربية .

ـ منظمة اليونسكـــو .

ويمكن الإشارة إلى بعض مايمكن أن تقوم به كل من هـاتين المنظمتين وغيرهما فى الآتى :

١ - جامعة الدول العربية :

إن اهتمام جامعة الدول العربية بالتراث العربى أمر معروف ، ولقد بذلت الجامعة جهوداً جبارة فى هذا المجال بحيث اصبح معهد المخطوطات التابع للجامعة يضم عددا كبيرا من الميكروفيلم لنوادر المخطوطات، تم تصويرها من أنحاء العالم .

وإن انجاز الفهرس الخاص بالمخطوطات الموجودة فى جمهوريه اليمن الديمقراطية الشعبية سوف يسهل الأمر على بعثة الجامعة العربية إذ يمكن تخطيط برنامج ينظم أعمال البعثة لتتولى تصوير هذه المخطوطات على الميكروفيلم فى أقل وقت ممكن . ويمكن التوصل إلى اتفاق مع الجامعة العربية لتصوير هذه المخطوطات على أن تقدم لجمهورية اليمن الديمقراطية الآتى :

(ا) نسخة بالميكروفيلم (سالب) من كل مخطوطة من هذه المخطوطات التى ستقوم الجامعة بتصويرها .

(ب) نسخة بالميكروفيلم (سالب) من كل ماله علاقة باليمن وتراثه من مقتنيات الجامعة العربية .

٢ - منظمة اليونسكو :

إن التوصل إلى اتفاق مع منظمة اليونسكو من شأنه أن يسهم فى إنجاز وتوفير الآتى :

(ا) تجهيز المكتبة القومية بالأجهزة والأدوات الحديثة اللازمة لكافة مجالات العمل بالمكتبة .

(ب) مد المكتبة بالخبراء والفنيين اللازمين لوضع أسس العمـــل وادارة المشروع في الفترة المحددة للاتفاق .

(جـ) الحصول على القوائم البيبليوجرافية وفهارس المكتبات العالمية والمؤلفات والأبحاث التي تتناول التراث العربي بالدراسة ، وهذه جميعا تساعد خبراء التراث اليمني على حصر الموجود من هـذا التراث في دور الكتب والمتاحف العالميـة .

(د) تتولى منظمة اليونسكو مهمة الحصول على ميكروفيلم للمخطوطات والوثائق التي يتم اختيارها طبقا لمـا سبق الاشارة إليه في البند السابق .

(هـ) الحصول على نسخ من المطبوعات العربية والأجنبية القديمة والحديثة والتي لها علاقة باليمن .

(و) الحصول على كتب وأبحاث المستكشفين والرحالة الأوربيين وغيرهم ممن كان لهم دور في الكشف عن تاريخ وحضارة اليمن القديم من أمثال نيبور وهاليفى وجلازر وغيرهم .

(ز) تحمل النفقات الخاصة بتدريب الفنيين وإرسال البعثات واشـــتراك الخبراء في زيارات دور الكتب والمتاحف العالمية للتعرف على النظم الحديثة المعمول بها فيها . وانتقـاء المخطوطات والوثائق المطلوب تصويرها للمكتبة القوميـة .

٣ – دور الكتب والمتاحف العالمية :

لكل مكتبة أو متحف فهارس تبين محتوياته من مخطوطات ووثائق وغيرها

وتعطى وصفا دقيقا لكل منها ، وتحدده برقم يستدل به عليه . وأن انجاز فهرس المخطوطات بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبيه على النحو المتكامل السابق الاشارة إليه ، من شأنه أن يتيح فرصة تبادل هذا الفهرس بالفهارس الخاصة بتلك المكتبات أو المتاحف . وهذا مما يتيح فرصة للتعامل بين المكتبة القومية وبين هذه المكتبات والمتاحف ويمكن الاتفاق معها على أساس يتم بموجبه تصوير المخطوطات وتبادل المصورات لها سواء كان ذلك عن طريق الشراء أو عن طريق تبادل ميكروفيلم بآخر .

٤ ـ الاتفاقيات الثقافية :

يمكن أن تتضمن الاتفاقيات الثقافية مع الدول العربية الشقيقة والدول الأجنبية الصديقة بندا يتعلق بالتراث اليمنى ، تتعهد فيه تلك الحكومات بتصويره وإهداء هذه المصورات لحكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لإيداعها المكتبة القومية .

وبهذه المناسبة فإن عبئا كبيراً يقع على عاتق الملحقين الثقافيين اليمنيين فى الخارج ، إذ يجب أن يقوموا بحصر المكتبات والمتاحف الموجودة فى البلدان التى يعملون فيها والحصول على الفهارس الخاصة بها وتزويد المكتبة القومية بها ومتابعة تصوير مايستقر عليه الرأى من مخطوطاتها أو وثائقها . كما أن عليهم الحصول على كل ماصدر ويصدر عن اليمن فى هذه الدول وكذا التعرف على الرسائل الجامعية التى تتناول اليمن وتراثه والاتفاق على نشرها .

ثالثا ـ الآثار :

لقد كان للجهود الفردية أثرها فى الكشف عن بعض معالم الحضارة اليمنية القديمة . ويرجع الفضل فى ذلك إلى هؤلاء المستشرقين الأوائل ومن جاء

بعدهم فقد عرضوا أنفسهم لكثير من المتاعب التى وصلت فى بعض الأحيان إلى الموت .

وليس من شك فى أن لليمن حضارة عريقــة تمتد فى أعمــاق التاريخ مع غيرها من حضارات المنطقة ، حضارة مصر القديمة وبلاد الرافدين . ولكنه للأسف لم يتم الكشف عن أقــدم تلك الحضارات بالنسبة لليمن ، وأن أقدم ما تم الكشف عنه هو ما يتعلق بدولة معين، وهــذه من غير شك لا تمثل أقدم حضارة بالنسبة لبلاد اليمن،ذلك أنها ترجع إلىعصر أحدث من عصرحضارة مصر القديمة وبلاد الرافدين . وفى بعض الأبحاث نجد أنها نزحت منالعراق. وقد اختلف العلماء فى تاريخ بدايتها ، فهىترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد على حدقول ادوارد جلازر، أو أنها حكمت فى أواخرالألفالثانى قبل الميلاد كما يقول جوزيف هاليفى ، أو أنها تبدأ بعام ١٥٠٠ق م علىحد قول هومل. والخلاصة أن هناك تضاربا كبيراً فى الآراء حول هذا الموضوع .

والحقيقة أنتاريخ اليمن القديم لم يتم الكشف عنه بصورةواضحة للآن، وأن ما بذل ـ فى معظمه ـ لا يعدو أن يكون جهوداً فردية.وليس من شك فى أنهذا العمل يحتاج لإمكانيات ضخمة .

وأرى أن يتم التخطيط لذلك على النحو التالى .

١ ـ تجميع ما كتب من أبحــاث ودراسات عن حضارة وتاريخ اليمن القديم ، وخاصة ماكتبه المستكشفون. والعمل على ترجمتــه ليكون أساسا لمنطلق جديد .

٢ ـ الاتصال بالحكومات والمنظمات والهيئات المهتمــة بالآثار والاتفاق معها على إرسال بعثات متخصصة للتنقيب عن الآثار والنقوش اليمنية القديمة والكشف عنها .

٣ ـ الاستعانه بمنظمة اليونسكو ـ فى إطار مشروع المكتبة القوميـة ، أو كمشروع مستقل بذاته ـ للمساهمة بالخبراء والمعدات والتمويل اللازم .

٤ ـ كنتيجة لما يتم التوصل إليه من اتفاقيات ، يبدأ العمل بعدد من البعثات الأثرية بحيث تعمل جميعها فى وقت واحد وفى مناطق متعددة من البلاد . ذلك أن عمل بعثة واحـدة من شأنه ألا يعطى نتائج سريعة ، ويطيل فترات التنقيب نتيجة لتعدد المناطق الأثرية . وإن قيام عدد من البعثات بالعمل فى وقت واحد والربط بين علمائها ، وإيجاد عنصر المنافسة بينهما ، كل ذلك سوف يؤدى فى النهاية إلى سرعة الكشف ، وبالتالى حصيلة كبيرة من الآثار والنقوش ، يكون من نتيجتها التوصل إلى وضع اليمن تاريخيـا فى المكان الصحيح ، وإعطاء صورة متــكاملة عن حضارة ذلك البلد العريق ، بالاضافة إلى إثراء المتاحف اليمنية بالآثار التى تجذب دائما جمهور السائحين ، وتدر دخلا يمكن تنميته واستغلاله .

رابعـــا ـ التدريب :

إن إعداد الخبراء والفنيين المحليين أمر ضرورى للغاية . ولما كان هذا العمل يجب أن يعهد به لعناصر مؤمنة به راغبة فيه ـ وهو أمر معمول به فى كافة الأوساط العلمية ـ ضمانا لحسن سير العمل وانتظامه .

لذلك فان الأمر يستلزم ضرورة اختيار هذه النوعيات واتخاذ إجراءات تدريبها وإعدادها إبتداء من الآن وعلى النحو التالى : ـ

١ ـ التدريب العام على أعمال المكتبات : ـ

ويمكن أن يتم الاتفاق مع إحدى الدول العربية الشقيقة أو الأجنبية الصديقة

على تدريب العدد اللازم من الفنيين فى إحدى المعاهد أو الهيئات المتخصصة بها . أو أن يتم الاتفاق على حضور بعض الخبراء لعقد دورات تدريبية لتدريب الفنيين في اليمن . وفى هذه الحالة يمكن الاستفادة من هذه الدورات بتدريب العاملين فى مجال المكتبات بوزارة التربية والتعليم وغيرها من الوزارات الأخرى علاوة على العدد المخصص للمكتبة القومية .

٢ ـ التدريب التخصصى :

(ا) فى مجال المخطوطات والوثائق :

تعتبر الجامعة العربية من أكثر المنظمات الدولية اهتماما بالتراث، وفى إطار معهد المخطوطات التابع لها تقوم باعداد دورات تدريبية متخصصة على أعمال المخطوطات والوثائق للعاملين فى هذا المجال بالدول العربية. وتعهد بمهمة تدريبهم ـ بمقر معهد الدراسات العربية التابع للجامعة ـ إلى نخبة من أساتذة الجامعات ومشاهير المتخصصين فى الوطن العربى .

ويمكن ترشيح من يقع عليهم الاختيار ممن سيعملون فى مجال المخطوطات والوثائق للتدريب على كافة النواحى المتعلقة بهذا الشأن من فهرسة المخطوطات والوثائق وتصنيفها وحفظها وصيانتها وترميمها وغير ذلك من النواحى الفنية الأخرى.

كما يمكن الاستفادة من ناحية أخرى، بنظم وطرق العمل الحديثة المعمول بها فى بعض المكتبات العالمية الشهيرة . وذلك بترشيح عدد آخر بعد الاتفاق مع هذه المكتبات ـ للتدريب العملى فيها واكتساب خبرات تساعد على القيام بالعمل على أحسن وجه .

ب) في مجال الآثار :

وبنفس طريقة الاختيار السابقة فإنه يمكن ترشيح عـدد من الراغبين فى العمـل بمجال الآثار للتدريب فى بعض المتاحف العربية أو الأجنبيـة على أعمال وصيانه وترميم الآثار وطرق حفظها وعرضها وإعداد الدليل العلمى الخاص بها .

كما يجب إعداد العدد الكافى من الخبراء اليمنيين فى علم الآثار ليأخذوا دورهم فى التنقيب والكشف عن الآثار اليمنية .

وبعد ، فأرجو أن يكون هذا التقرير ـ بما تضمنه من مقترحات ـ قد وضع الحلول العملية والعملية للصعاب التى كانت تعترض المرحلة التنفيذية .

المصادر والمراجع

أولا : مصادر مخطوطة

إدريس عماد الدين بن الحسن القرشى (ت ٨٧٢ ﻫ / ١٤٦٧ م) .

— نزهة الأفكار وروضة الأخبار فى ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار (جزءان) مخطوط ملك أحد علماء حراز باليمن .

الأهدل ، أبو عبد الدحمن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٨٥ ﻫ / ١٤٨٠ م) .

— تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ٧٧٥ تاريخ تيمور .

ابن أبيك الدوادارى ، أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٢ ﻫ / ١٣٣١ م).

— درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان . مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية رقم ٣٨٢٨ ج .

— كنز الدرر وجامع الغرر (٩ أجزاء) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٧٨ تاريخ .

ابن بهادر المؤمنى ، محمد بن محمد (القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى)

— فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر (جزءان) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٩٩ تاريخ .

الجنداري ، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨) .

— الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م)

— السلوك في طبقات العلماء والملوك (٣ أجزاء) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٩٦ تاريخ .

ابن حاتم ، بدر الدين محمد (كان موجودا سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢) .

— السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤١١ تاريخ . وبالمتحف البريطاني برقم ٢٧٥٤١ إضافات .

الحنبلي ، أحمد بن ابراهيم بن نصر الله (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) .

— شفاء القلوب في مناقب بني أيوب . ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٣ مصور عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٧٣١١ إضافات .

الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) .

— طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن (جزءان في مجلد) ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٦٥٧ تاريخ .

— العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك . مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية رقم ١٢٦٥ ب .

ابن أبى الدم ، شهاب الدين (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤) .

— التاريخ المظفرى . مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية رقم ١٢٩٢ب .

الدمشقى ، بدر الدين محمد بن أبى بكر بن قاضى شهبة (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

— الدر الثمين فى سيرة نور الدين . مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية رقم ١٣٣٦ ب .

ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن على (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) .

— بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد . مخطوط بدار الكتب رقم ١١م تاريخ .

— قرة العيون فى أخبـار اليمن الميمون . مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية رقم ١٨١٩ ب .

الذهبى ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) .

— تاريخ الإسـلام وطبقات المشاهير والأعلام (٣٢ مجلد) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ .

— سير أعلام النبلاء (١٣ جزءا) مخطوط بدار الكتب رقم ١٢١٩٥ تاريخ.

ابن رسول ، الملك الأشرف أبو العباس اسماعيل (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م) .

— فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفتن فى أخبـار من ملك اليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٠٩ تاريخ تيمور .

ابن رسول ، الملك الأفضل عباس بن على بن داود (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م).

— العطايا السنية والمواهب الهنية فى المنـاقب اليمنية . مخطوط بدار الكتب ٣٥١ تاريخ.

ـــ نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون . مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥١ تاريخ .

الشرفى أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥ هـ/ ١٦٤٥ م) .

ـــ اللآلى المضية فى أخبار أئمة الزيدية ومقتصدى العترة الزكية ومن عارضهم من سائر البرية (٣ أجزاء) . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

الصعدى ، بدر الدين محمد بن يوسف (من علماء الزيدية فى القرن العاشر باليمن) .

ـــ مآثر الأبرار فى تفصيل مجملات جواهر الأخبار . نسخة بمكتبتى الخاصة .

العامرى ، أبو زكريا يحيى بن أبى بكر الحرضى (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) .

ـــ غربال الزمان فى وفيات الأعيان . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

العصامى ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعى (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) .

ـــ سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى . مخطوط بدار الكتب رقم ٥٣ م تاريخ .

العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م)

ـــ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور بدار الكتب (٢٣ جزءا فى ٦٩ مجلدا) رقم ١٥٨٤ تاريخ عن نسخة الاستانة .

العمرى ، شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) .

ـــ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (جـ ٢) . مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥٩ معارف عامة

الفاسى ، تقى الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م) .
— العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (٤ أجزاء) . مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤٩ تاريخ تيمور .

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤ م) .
— تاريخ الدول والملوك (جـ ٨) . مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ . مصور عن نسخة فينا .

ابن القاسم ، السيد ابراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله محمد (القرن الثانى عشر الهجرى) .
ـ طبقات العلماء الزيدية . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

الكبسى ، محمد بن اسماعيل (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م) .
ـ اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية . مخطوط بدار الكتب رقم ٤١٦٣ تاريخ .

المحلى الشهيد ، حسام الدين أبى عبد الله حميد بن أحمد (ت ٦٥٢ هـ/١٢٥٤م) .
ـ الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية . مخطوط بدار الكتب رقم ٤٨٧٥ تاريخ.

بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٠٤٠م).
ـ قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر (٣ أجـزاء فى ٦ مجلدات) . مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٧ تاريخ . مصور عن نسخة بنى جامع بالآستانة .

ابن مظفر ، محمد بن حمزة (ت ٩٢٥ هـ / ١٥٤٩ م) .
ـ كتاب الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان . مخطوط بمكتبة القاضى حسين بن أحمد السياغى من علماء صنعاء .

- مؤلف مجهول .
- أخبار الهجرة المنصورية . مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٧٠ تاريخ تيمور .

النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م) .
- نهاية الأرب فى فنون الأدب (٣١ جزءا) . مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة عن نسخة كوبريلى بالآستانة .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) .
- أنباء الزمن في تاريخ اليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٤٧ تاريخ .
- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى . ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٧٠٢ مصور عن نسخة مكتبة على أميرى رقم ٢٢٧٥ . وقد قام الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بتحقيقه ونشره بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .

ثانيا : مصادر مطبوعة

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٢٨ م) .

- الكامل فى التاريخ (القاهرة ١٣٠١ هـ) .

الاصطخرى ، أبو القاسم ابراهيم (أواسط القرن الرابع الهجرى) .

- كتاب المسالك والممالك Ed: De Goeje, Leiden, 1927 .

ابن أيوب ، تاج الدين شاهنشاه .

- منتخبات من كتاب التاريخ - ملحق بكتاب سيرة صلاح الدين لابن شداد - القاهرة ١٣١٧ هـ .

البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز بن أبى مصعب (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م) .

- معجم مااستعجم . القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهره ١٩٣٥ .

- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى تحقيق أحمد يوسف نجاتى . القاهرة ١٩٥٦ م .

- منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور . نشر Popper كاليفورنيا ١٩٣٠ - ١٩٣١ .

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتانى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .

- الرحلة ، تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة ١٩٥٥ .

الجندى ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م) .

- أخبار القرامطة باليمن - المنقول من كتاب السلوك فى طبقات العلماء والملوك - نشره هنرى كاى ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة . لندن ١٨٩٢ .

حاجى خليفة ، مصطفى كاتب شلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) .

ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . الآستانة ١٩٤١ .

ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م) .

ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (٤ أجزاء) حيدر أباد ، الهند ١٣٤٨ - ١٣٥٠ .

ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) .

ـ جمهرة أنساب العرب . القاهرة ١٩٤٨ . تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٤٨ .

الحمادى ، محمد بن مالك بن أبى الفضائل اليمانى (أواسط القرن الخامس الهجرى)

ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة ١٩٣٩ .

ابن حوقل ، أبو القاسم أحمد البغدادى (أواسط القرن الرابع الهجرى) .

ـ المسالك والممالك Ed, De Goeje, Leiden 1938.

الحيمى ، الحسن بن أحمد (ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م) .

ـ سيرة الحبشة ، نشر الدكتور مراد كامل . القاهرة ١٩٥٨ .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .

ـ المسالك والممالك Ed. De Goeje, Leiden 1889 .

الخزرجى ، أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) .

ـ العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (جزءان) من مطبوعات (Gibb Memorial Series) القاهرة ١٩١١ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر . بولاق ١٢٨٤ هـ .

- تاريخ اليمن المنقول من العبر . نشره هنرى كاى ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة لندن ١٨٩٢ .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر الشافعى (ت ٦٨١ هـ / سنة ١٢٨٢ م) .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦ أجزاء) نشر محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٤٨ .

الذهبى ، شمس الدين ابى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) .

- دول الاسلام (جزءان) حيدر أباد ، الهند ١٣٣٣ هـ .

ابن زهرة الحسينى ، تاج الدين بن محمد بن حمزة .

- غاية الاختصار فى أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار . القاهرة ١٣١٠ هـ .

ابن الساعى الخازن ، تاج الدين أبو طالب على بن أنجب (ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م) .

- الجامع المختصر - الجزء التاسع - نشره الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٩٢٧ .

سبط ابن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٧ م) .

- مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ ٨ ، حيدر أباد ، الهند ١٩٥١ .

ابن سمرة ، أبو حفص عمر بن على (ق ٦ هـ / ١٢ م) .

- طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٧ .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٩ .
أبو شامة ، شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٥ هـ / ١١٦٧م)
- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
ابن الشحنة ، أبو الوليد محمد بن كمال الدين محمد الحلبى (ت٨١٥هـ/ ١٤١٢ م)
- روض المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر ، مطبوع على هامش الجزء التاسع من كتاب (الكامل) لابن الاثير ، القاهرة ١٢٩ هـ .
ابن شداد ، القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، المعروف بسيرة صلاح الدين ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ١٩٠٤ .
الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .
- الملل والنحل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م .
ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م) .
- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها و بناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ١٩٣٨ .
ابن عبد الحق ، صفى الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨ م) .
- مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع
Ed. Juybol, Leiden, 1850 - 1859.
ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقى (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢ م) .
- تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازى . القاهرة ١٩٦٥ :

ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢ م) .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق الدكتور سامى الدهان . دمشق ١٩٥٤ .

عماد الدين الاصفهانى ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبى الرجاء (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) .
- خريدة القصر وجريدة أهل العصر .
- كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى . القاهرة ١٣٢١ هـ .

عمارة ، أبو الحسن نجم الدين الحكمى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) .
- النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، وقد نشره هرتويغ درنبرغ
Hartwig Derenbourg. Paris, 1897 - 1902.
- تاريخ اليمن ، تحقيق ونشر هنرى كاى . لندن ١٨٩٢ .

العمرى ، شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
- التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة ١٣١٢ .

أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن على (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٠ م) .
- المختصر فى أخبار البشر (٤ أجزاء) ، الآستانة ١٢٨٦ هـ .

ابن الفوطى ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادى (ت٧٢٣هـ/١٣٣٢م) .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، نشره الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ م .

الفيروز أبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤م)
- القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا (١٤ جزءا) ، القاهرة ١٩١١-١٩١٩ .

ابن كثير ، عماد الدين أبى الفدا اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) .

– البداية والنهاية (١٤ جزءا) ، القاهرة ١٣٤٨هـ / ١٢٥٨ م .

ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الدمشقى (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) .

– صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ويسمى تاريخ المستبصر ، نشره أوسكار لوفغرين

O. Loefgren, 2 vol. Leiden, 1951 - 1954.

بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠ م) .

– تاريخ ثغر عدن ، نشره أوسكار لوفغرين (O. Loefgren). Leiden 1936.

المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م) .

– أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم Ed.De Goeje, Leiden, 1906.

المقريزى ، تقى الدين بن أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ .

– الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ١٩٥٥ :

– السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور زيادة . الطبعة الثانية ١٩٥٦ .

– المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (٤ أجزاء) ، القاهرة ١٣٢٤ – ١٣٢٦ .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) .

– لسان العرب ، بيروت ١٩٥٦ .

مؤلف مجهـــول

- كتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر و تعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد . مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ .

ابن ميسر ، محمد بن على يوسف بن جلت (٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م) .

- تاريخ مصر ، من مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى ، تحقيق هنرى ماسيه Henry Massé . القاهرة ١٩١٩ .

نشوان بن سعيد الحميرى (ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ م) .

- الحور العين . القاهرة ١٩٤٨ .

- منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦ .

النهروانى ، قطب الدين الحنفى (٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م)

- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام .

الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) .

- الاكليل ، الجزء الثامن ، تحقيق الأب انستاس مارى الكرملى ، بغداد ١٩٣١

- الجزء العاشر تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٦٨ .

- صفه جزيرة العرب ، تحقيق بلهيد . القاهرة ١٩٥٢ :

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) .

- مفرج الكرب فى أخبار بنى أيوب ، نشر الدكتور الشيال ١٩٥٣-١٩٦٠ .

ابن الوردى ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) .

تاريخ ابن الوردى (جزءان) ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .

ياقوت ، شهاب الدين أبى عبد الله الحموى الرومى (٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) -
- معجم البلدان (١٢ جزءا) ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ٦ ١٩ م

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م)
- أنباء الزمن فى أخبار اليمن ، القسم الأول من سنة ٢٧٠ الى ٢٢ هـ
تحقيق الدكتور محمد عبد الله ماضى ، برلين ١٩٣٦ .
- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق الدكتور سعيد عاشور
القاهرة ١٩٦٨ .

ثالثا : مراجع عربية حديثة

أحمد حسين شرف الدين .

– تاريخ اليمن الثقافى (٤ أجزاء) ، القاهرة ١٩٦٧ .

– اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٢ .

أحمد فخرى (الدكتور) .

– اليمن ، ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٥٧ .

أرشيبالد د. لوس

– القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، نقله إلى العربية الأستاذ أحمد محمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠ .

بروكلمان ، كارل .

– تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس والأستاذ منير البعلبكى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٣ .

البستانى .

– محيط المحيط ، بيروت ١٨٦٧ – ١٨٧٠ .

بيربى ، جان جاك .

– جزيرة العرب ، نقله إلى العربية نجدة هاجر وسعيد الغز ، بيروت ١٩٦٠ .

الجرافى ، القاضى عبد الله بن عبد الكريم .

– المقتطف فى تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٥١ .

جمال الدين الشيال (الدكتور) .

– تاريخ مصر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ .

– العلاقات بين مصر واليمن ، بحث بمجلة الكتاب ، ابريل ١٩٤٨ .

– مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

– وحدة مصر وسورية ، محاضرة ضمن مجموعة محاضرات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) .
- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقـــافى والاجتماعي ، الطبعة الخامسة ١٩٦٠ .
- اليمن ، البلاد السعيدة ، القاهرة ١٩٥٨ .
حسن ابراهيم حسن وطه شرف (الدكتوران) .
- عبيد الله المهدى إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ، القاهرة ١٩٤٧ .
حسن الباشا (الدكتور) .
- الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٦٥ .
حسن سليمان محمود (الدكتور) .
- الصليحيون وعلاقاتهم بالفاطميين ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة القاهرة .
- الملكة أروى سيدة ملوك اليمن ، القاهرة بدون تاريخ .
حسنين محمد ربيع (الدكتور) .
- النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ .
حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود (الدكتوران) .
- الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ .
دار الكتب المصرية .
- فهارس الكتب العربية (٨ أجزاء) ، القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٢ .
- فهرست المخطوطات (٣ أقسام) تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٦١ .
- قائمة بالكتب والمراجع عن الجزيرة العربية .

- قائمة المخطوطات العربية المصورة بالميكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية ١٩٦٧ .

دائرة المعارف الاسلامية .

- النخيلى درويش (الدكتور) .

- السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ١٩٧٤ .

زامباور .

- معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى تاريخ الاسلام ، تعريب الدكتور زكى محمد حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٥٢ .

زبارة ، محمد بن محمد يحيى الحسنى الصنعانى (ت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) .

- اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ، صنعاء ١٣٤٣ هـ .

- أئمة اليمن ، تعز ١٩٥٢ .

- ملحق البدر الطالع ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن ١٣ (جـزءان) ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

الزبيدى ، السيد محمد المرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) :

- تاج العروس فى شرح القاموس ، ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ .

زينى دحلان (ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) :

- خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، ١٣٠٥ هـ .

سركيس ، يوسف اليان .

- معجم المطبوعات العربية والمعربة . القاهرة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م .

سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) .

- تاريخ المغرب العربى ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ .

- العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب الموحدى ، مجلة كلية آداب اسكندرية ، المجلد ٦ ، ٧ سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

- أوربا في العصور الوسطى ، (جزءان) ، القاهرة ١٩٦٤ .

- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ .

- الحركة الصليبية ، (جزءان) ، القاهرة ١٩٦٣ .

- مصر في عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ .

سليمان حزين (الدكتور) .

- تقرير عن أعمال بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن وحضرموت سنة ١٩٣٦ ، مجلة آداب القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ١٩٣٩ .

السيد الباز العرينى (الدكتور) .

- مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) .

- تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، القسم الأول ، بيروت ١٩٧٢

الشوكانى ، محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (جزءان) ، القاهرة ١٣٠٨ .

صلاح البكرى .

- تاريخ حضرموت السياسى ، القاهرة ١٩٥٦ .

- فى جنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

عبد الكريم غرايبة (الدكتور) .

- العرب والأتراك ، دمشق ١٩٦١ .

العبدلى ، احمد فضل بن على بن محسن .

– هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١ هـ .

عبد المحسن الحسينى (الدكتور) .

– الاقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، بحث بمجلة آداب اسكندرية ، المجلدان السادس والسابع سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣ .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) .

– نظم سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٦٤ .

العرشى ، حسين بن احمد الزيدى (١٣٢٩هـ/ ١٩١١) .

– بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، تحقيق الأب أنستاس الكرملى ، القاهرة ١٩٣٩ .

العقيلى ، محمد بن احمد عيسى .

– المخلاف السليمانى (أو الجنوب العربى فى التاريخ) ، الجزء الأول الرياض ١٣٧٨ ، الجزء الثانى القاهرة ١٣٨٠ هـ .

على بيومى .

– قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، القاهرة ١٩٥٢ .

فيت ، جاستون .

– المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد وهبى ، ونشرها فى كتاب « فى مصر الاسلامية ١٩٣٧ .

محمد أبو زهرة .

– المذاهب الإسلامية (مجموعة الألف كتاب رقم ١٧٧) .

– الميراث عند الجعفرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) .

ـ النفـــوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٦٤ .

محمـــد حسن .

ـ قلب اليمن ، بغداد ١٩٤٧ .

محمـــد عبد الله ماضى (الدكتور) .

ـ دولة اليمن الزيدية ، بحث بالمجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثالث ـ العدد الأول ، مايو ١٩٥٠ .

محمد فريد أبو حديد

ـ صلاح الدين الأيوبى (طبع الهلال العدد ٨٧) .

محـــد كامل حسين (الدكتور) .

ـ دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٥٧ .

ـ طائفة الاسماعيلية ، تاريخها ، نظمها ، عقائدها ، القاهرة ١٩٥٩ .

محمـــد مختـــار .

ـ التوفيقات الالهامية ، بولاق ١٣١١ هـ .

محمـــد مصطفى زيادة (الدكتور) .

ـ حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ،القاهرة١٩٦١ .

محمود بن محمد عرنوس .

ـ تاريخ القضاء فى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٤ .

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية .

ـ فهرس المخطوطات العربية (الجزء الثانى ـ التاريخ ـ م أقسام) ، اعداد الدكتور لطفى عبد البديع والأستاذ فؤاد سيد ١٩٥٦ .

مكتبة البلدية باسكندرية .

- فهرس التاريخ ، تصنيف أحمد أبو علي ، ١٩٢٥ .

نظير حسان سعداوي (الدكتور) .

- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ .

هل ، ى .

- الحضارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم احمد العدوي ، القاهرة ١٩٥٦ .

الواسعي ، عبد الواسع بن يحيي اليماني .

- تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٤٧ .

- البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .

الويسي ، حسين بن علي .

- اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ .

رابعا : مراجع أجنبية :

Arnold (T, W.) :

- The Caliphate, Oxford, 1924 .

Brockelmann (Carl.) :

- Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 vols .
  Weimair, 1898 - 1902 .
- History of the Islamic Peoples, London, 1949 .

نقله إلى العربيه الدكتور نبيه أمين فارس والأستاذ منير البعلبكى بعنـوان : (تاريخ الشعوب الإسلاميه) .

De Gaury (Gerald,) :

- ulers of Mecca, London, 1951 .

Derenbourg (H.) :

- Omara du Yémen, sa vie et son Oeuvre, 2 vols .
  Paris, 1897 - 1902 .

Dozy (R.) ;

- Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 vols .
  Leiden, 1881 .

Encyclopaedia of Islam .

Fuller (J. F. C.) :

- Decisive Battles , Their influence upon history & civilization, London, 1950.

Hogerth (D. G.) :

A History of Arabia, Oxford, 1922 .

Kammerer (Albert,) :

- La Mer Rouge, Tome I, Le Caire, 1929 .

Kay (H. C.) :

- yaman, Its Early Mediaeval History. London, 1892 .

El Khazrejiyy :

- The Perl - Strings. A History of the Resuliyy Dynasty of Yemen, Ed. Edward G. Browne, Gibb Memorial Series, 3 Vols . London. 1906 .

Lamb (H.) :

- The Crusades, The Flame of Islam, London, 1931 .

Lane - Poole (St.) :

- A history of Egypt in the Middle Ages - London, 1936 .
- The Mohammadan Dynasties, Paris, 1925.
- Saladin and the Fall of the kingdom of Jerunsalem, London 1898 .

Lewis (Archibald.) :

- Naval Power and Trade in the Mediterranean A. D. 500 - 1100, Princeton, 1951 .

نقلة إلى العربية الاستاذ أحمد محمد عيسى بعنوان « القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط » القاهرة ١٩٦٠ .

Marin (M.) :

- Histoire De Saladin, Sulthan D' Egypte et Syrie .

IBN AL - MUGAWIR :

- Desciptis Arabiae Meridionalis Preamissis Capitibus de Mecca et parte regionis Higaz qui liber inscribitur Tarih al - Mustabsir. Ed. Oscar Lofgren, Leiden, 1951 .

Reinaud (J. T.) :

- Extraits des Historiens Arabes Relatifs aux Guerres des Croisades .

Runciman (S.) :

- History of the Crusades. 3 vols. Cambridge; 1951 - 1954.

Sadek (H.) :

- Salah El - Din's on Ras El - Gindi in Sinai, Bulletin de L'Inst, d'Egypte, Tome II, Session 1919 - 1920 .

Scott (Hugh.) :

- In the High Yemen, London, 1947 .

Wiet (G.) :

- Histoire de la Nation Egyptienne, Vol IV. (L'Egypte Arabe.) Paris, 1926 .

- Le Egypte Contemporaine, 1933 .

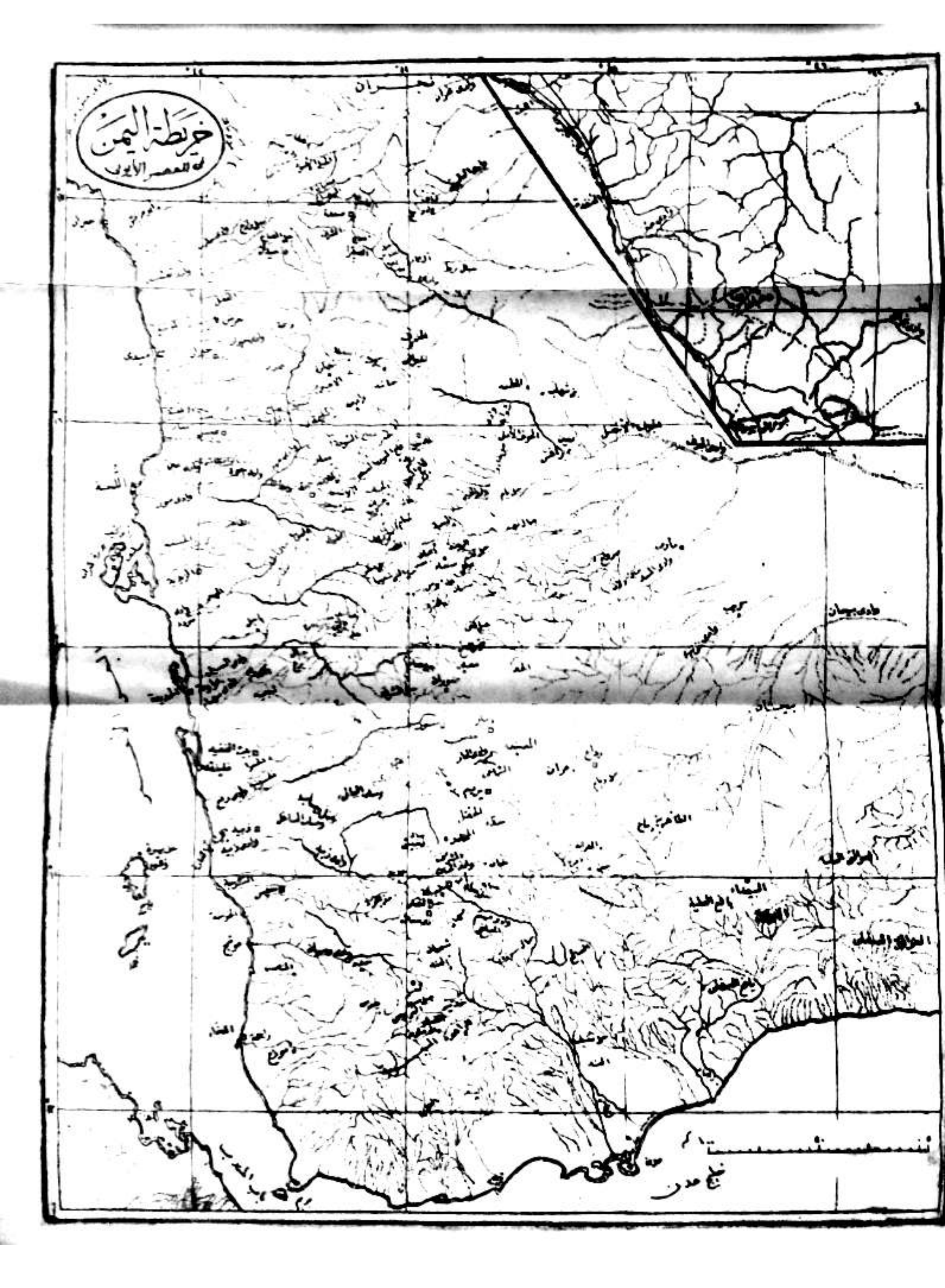
نقلها إلي العربيه الأستاذ محمد وهبى بعنوان « المواصلات في مصر في العصور الوسطى » ونشرها في كتاب « فى مصر الاسلامية » طبعة المقتطف سنة ١٩٣٧ .

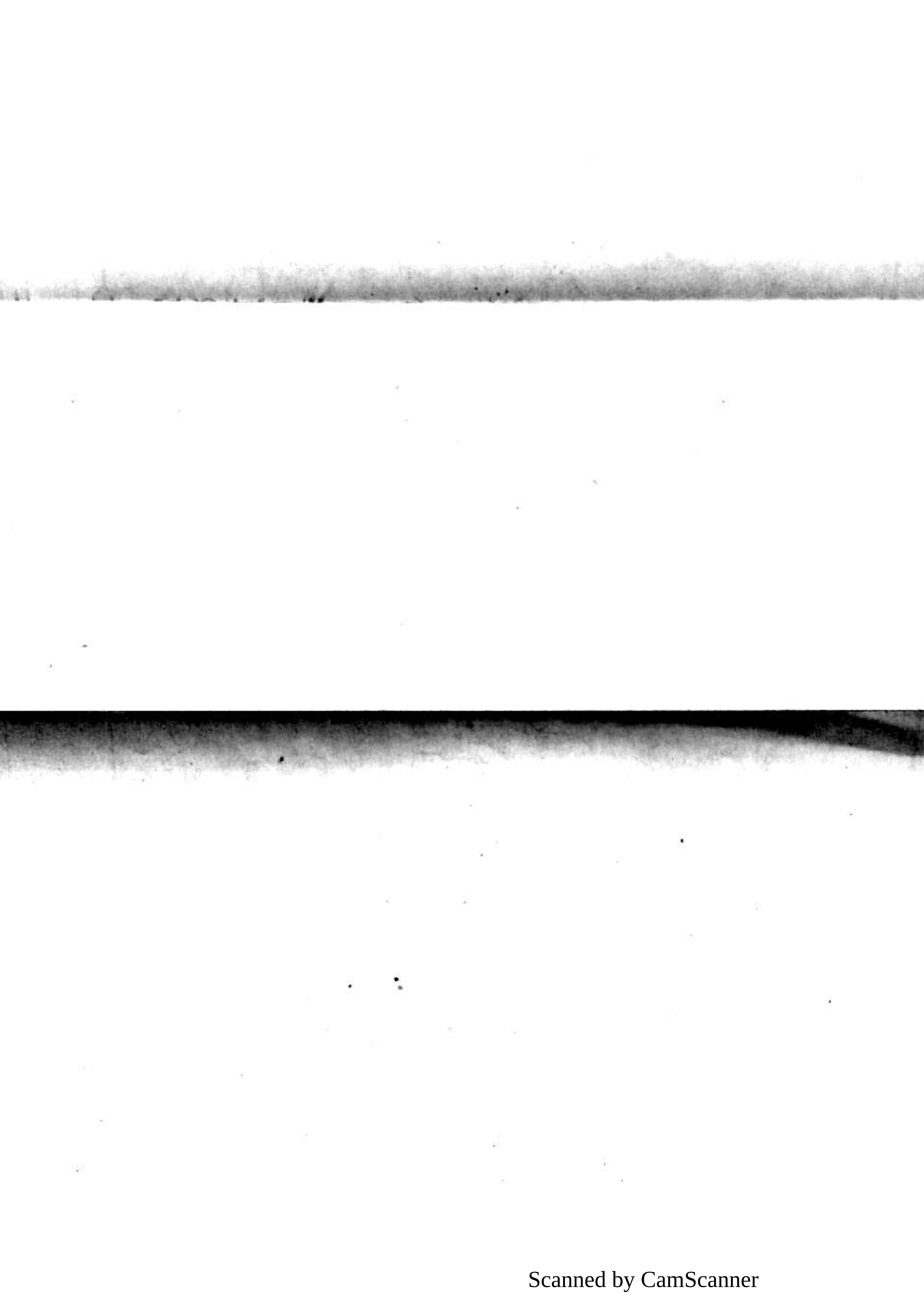
Zambaur (E De.) :

Manuel de Généalogie et de Chronologic pour L'Histoire de L'Islam, Hannover, 1997 .

نقله الى العربية الدكتور زكى محمد حسن وزميلاه في جزئين بعنوان « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى » القاهرة ١٩٥٢ .

* * *


خريطة اليمن
في العصر الأيوبي
نجران
خليج عدن



فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

تم بعـــون الله وتوفيقه

رقم الايداع بدار الكتب

٤٠٨١ / ٨٠

٩٧٧ - ٢٠١ - ٨٩٠ - X

مطابع دار الناشر الجامعي

ت:٨٠٣٧١٤

in their outobiographics and they were carnages of heroism. The history of the country was ueglected; furthermore the Ayyubids were enemies from the point of view of the Imamate.

Historians wrote about the Ayyubids in Egypt and Syria, they concentrated upon the struggle against the crusaders; but the history of Ayyubids in Yemen was slightly mentioned to.

This Work includes 9 Chapters, In addition to the study itself two appendices have been added;The first is the editing of a text from the MS. of « AL - SIMT - AL - GHALI AL-THAMAN » by Badr Al - Din M. Ibn Hatim, The Second is a study about the Collection of the yemeni heritage which I have undertaken by myself in yemen.

PREFACE

The Ayyuby Dynasty of Yemen is an episode of history which did not receive its due attention from historians. In addition to its being an important historical phase of this County, it reveals a hidden part of the history of the Ayyubids in Yemen. It opens a new field of research in yemen history, and adds an important and unknown part in the Ayyubids' history. It also brings to light the struggle against the Crusaders; and the unity of the Islamic front.

The Ayyubids' Conquest of yemen under the leadership of Toranshah the son of Ayyub (569 / 1174), Was in fact, the Core of Moslims efforts to sarengthen their front in their Confrontation against the Crusades. Furthermore, the Ayyubids' Conquest had far reaches consequences upon the internal conditions in yemen itself to the point that Yemen had achieved its independent status during the Resuliyy Dynasty (626 / 1229).

Research materials presented a difficult problem because most of the historians writings about Yemen history were prejudiced due to political or denominational characters such as the « Ismailites », « Zaydites » and the « Sunnis » . Writers were influenced dy whatever faith they followed, and thus were extremly prejudiced. They dropped antagonistic nations or exaggerated them unrealistically, Another difficulty was the secrecy with which many writers kept their books because of political or religious circumstances, therefore many were either lost or unpublished,

If this is a general problem of the Yemen history, the Ayyubids' history was a particular one. The Imams were interested

PREFACE

History of The Ayyubids In Yemen



By

DR. M. ABD EL AAL AHMED

CAIRO UNIVERSITY

1980

THE GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION, ALEX.